معرفة الخلفاء الراشدين

تـأليف:
أبـو الـعبـاس بـن كـمـال

الفهرست: صفحة

مقدّمة الناشر 9
مقدّمة المؤلّف 11
الباب الأوّل: أدلّة مشروعيّة «أوّل الخلفاء»: 67
1. «الإجماع»: 69
نقل البخاري 73
نقل الطبري وغيره 75
قصّة الهجوم على دار «علي وفاطمة» 76
لماذا لم يبايع على 93
اتّباع الأكثرية 98
ما تكلّم به «أبو بكر وعمر» في السقيفة 105
تحليل 108
«الوصية التحريرية لرسول الله »118
بيّن رسول الله، «طريق النجاة من الضلال» الى يوم القيامة ... 129
البخاري وعدم مبايعة علي لأبي بكر 149
سعد بن عبادة، لماذا لم يبايع؟163
2. «نص رسول الله » 167
. اقتدوا باللَذَيْن من بعدي «أبا بكر وعمر» 179
الهدف من غدير خم 185
3 و4. «صلاة الجماعة» و«سنّة الخلفاء الراشدين» 207
5. معنى «اولي الأمر» 217
6. السقيفة 235
7. «طاعة الصحابة» 253
- ملحقات: 285

1. الأُمّة الإسلامية الواحدة و«الخلافة» 289
2. سبب إخفاق «الثورة الإسلامية في مصر» 299

الباب الثاني: الافتراضات المسبقة: 307
أ: الافتراض الأوّل: حول عدالة «جميع الصحابة بلا استثناء» 311
استدلال أنصار نظرية «عدالة جميع الصحابة» على أنّ الصحابة كلهم عدول من غير استثناء: 314
1. الاستدلال العقلي..... 314
بحث حول هذا الاستدلال..... 316
2. الاستدلال بآيات القرآن على عدالة جميع الصحابة (بلا استثناء) 319
بحث حول هذا الاستدلال..... 321
3. هل كان هناك نفاق بين السابقين من الصحابة؟..... 328
4. من هم أوّل المسلمين؟..... 352
5. القرآن ومجهولية أكثر المنافقين..... 354
6. هل كان المنافقون كثيرين بين الصحابة؟..... 359

ب: الافتراض المسبق الثاني «الكتب الستة و. . . » 361
الرواة العدول والرواة المنافقون والفاسقون 363
بدء تأليف الكتب في «القرنين الثاني والثالث» ودور السلاطين في وضع الأحاديث 369
مذاهب المسلمين وحديث «ستفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهن في النار إلا واحدة» 373
الأحاديث الكاذبة أو التحريفات والتناقضات 376
المفارق «للسلطان» والمفارق «لجماعة المسلمين» 381
ج: «آخر وصايا رسول الله (ص) للصحابة» 397
القرآن ووصايا رسول الله (ص) 399
وصايا رسول الله (ص) .....
رسول الله (ص) يعين ما هو ضروري «لحفظ وحدة المسلمين» 414
لزوم الرجوع إلى «القرآن والسُنّة المتواترة» لمعرفة اولي الأمر المفترضي الطاعة 416
آخر وصية للرسول عند العودة من الحجّ 423
ومن هم اولوالأمر الّذين ورد ذكرهم في الآية 59 من سورة النساء؟ 436
الأيام الأخيرة من حياة رسول الله (ص) 442
«موقف عمر»، أثناء وصية النبيّ (ص) 444
تساؤلات حول هذه الحادثة 447
«موقف عمر» أثناء وصية أبي بكر 451
تقسيمات المهاجرين 453

ملحقات الكتاب..... 465
تفسير آية «أولي الأمر»،
والطاغوت بالاستعانة بسائر الآيات480
ما لا يمكن تجاوزه 500

مقدّمة الناشر:

هذا الكتاب الذي خُصص لمعرفة >أوّل خليفة للمسلمين< من بعد رسول الله، يتميّز عن سائر الكتب التي كُتبت في هذا المجال بما يلي:

1. المستندات الخاصة بهذا الكتاب، سعى مؤلّفه إلى كتابته على أساس >الآيات القرآنية< و>الأحاديث المتواترة التي تتفق عليها جميع الفرق الإسلامية<.

2. الابتعاد عن الثناء والتبجيل والألقاب الرنانة التي وضعها أتباع كل فرقة، وكذلك تحاشي الاساءة أو الاهانة أتباع الفرق الاخرى إلى ذلك الخليفة، مع السعي إلى اتخاذ موقف >محايد< تماماً وبعيداً عن >الثناء غير الواقعي للمحبين< وعن >الاساءات والتُهم المغرضة للمعادين<.

3. التدقيق والتنقيب الشامل لكل >ما حجبه مؤرخو فرقة أة فرق مُعيّنة<؛ لكي ينكشف المحتوى التام لما جرى في الحقيقة والواقع.

لكي يتسنّى لنا التعرّف على >القادة< >كما كانوا عليه في الواقع< - وليس كما يصوّرهم لنا محبّوهم أو مبغضوهم.

وهكذا الحال، إذا جاء في هذا الكتاب مدح لأحد الزعماء فانَّ سبب ذلك يُعزى إلى ان ذلك الزعيم لم تمتدحه الفرقة المؤيّدة له فحسب، بل امتدحته

جميع الفرق الاخرى.
وكذلك إذا أوردنا في هذا الكتاب >عيباً أو خطأ< فمن المؤكد ان ذلك العيب أو الخطأ ذكرته جميع الفرق ولم يقتصر ذكره على خصوم تلك الفرقة أو ذلك الزعيم.
ويتضح أيضاً مما جاء في هذا الكتاب ان مؤلّفه كان في بداية الأمر يحسن الظن بالوهابيين، ولكنه بالتدريج بعد ان لاحظ سلوكيّاتهم ودراسة تاريخهم، أخذت آراءه تتغير ازاء الوهابيين، بل ان دراسته هذه دفعته إلى التشكيك حتى في تاريخ ظهور مذهبه. وهذا ما دفعه إلى التحقيق من أجل التوصل إلى نتائج واضحة وقطعية لمعرفة الفرقة الناجية الوحدية من بين الثلاث وسبعين فرقة التي أخبر عنها رسول الله.
يبدو أن اسم المؤلف محمد بن كمال وكنيته أبو العباس. ويبدو أن اصله كان من أهل مكّة، ولكن بما أنّ طباعة مثل هذا الكتاب غير متاحة حالياً في مكّة وفي بلاد آل سعود الوهابية، لذلك فقد توجّه إلى أحد البلدان الإسلامية التي تتوفر له فيها الحريّة لطباعة كتاب هناك. وقد وصلتنا حالياً نسخة من هذا الكتاب، ونريد طباعتها للمرة الاولى في هذا البلد. ولا نريد الاطالة في الكلام حول المؤلف وكتابه، وإنما نكتفي بهذا المقدار ونترك للقارئ الكريم مهمة التعرّف على هذا الكتاب

وما جاء فيه.

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ وَالْحَمْدُ لله الَّذى لَوْ حَبَسَ عَنْ عِبادِه مَعْرِفَةَ حَمْدِه عَلى ما اَبْلاهُمْ مِنْ مِنَنِهِ الْمَتتابِعَةِ، وَاَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ الْمُتَظاهِرَةِ، لَتصرَّفُوا فى مِنَنِهِ فَلَمْ يَحْمُدُوهُ، وَتَوَسَّعُوا فى رِزْقِه فَلَمْ يَشْكُروهُ * وَلَوْ كانُوا كَذلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الاْنْسانِيَّةِ اِلى حَدِّ الْبَهيمِيَّةِ فَكانُوا كَما وَصَفَ فى مُحْكَمِ كِتابِه: اِنْ هُمْ اِلاّ كَالاْنْعامِ بَلْ هُمْ اَضَلُّ سَبيلاً.

ـ اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد اَمينِكَ عَلى وَحْيِكَ، وَ نَجيبِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَ صَفِيِّكَ مِنْ عِبادِكَ، اِمامِ الرَّحْمَةِ، وَ قائِدِ الْخَيْرِ، وَمِفْتاحِ الْبَرَكَةِ.

ـ اَللّهُمَّ وَ اَتْباعُ الرُّسُلِ وَ مُصَدِّقُ قَوْلِهِمْ مِنْ اَهْلِ الاْرْضِ عَلى جَميعِهِمُ السَّلامُ.

ـ اَللّهُمَّ وَ اَصْحابُ مُحَمَّد خاصَّةً الَّذينَ اَحْسَنُوا الصَّحابَةَ وَ الَّذينَ اَبْلَوُا الْبَلاءَ الْحَسَنَ فى نَصْرِه، وَ كانَفُوهُ، وَ اَسْرَعُوآ اِلى وِفادَتِه، وَ سابَقُوا اِلى دَعْوَتِه، وَ اسْتَجابُوا لَهُ حَيْثُ اَسْمَعَهُمْ حُجَّةَ رِسالاتِه فصلّ عليهم و على التابعين لهم باحسان الذين يقولون:

ربنا اغفرلنا ولا خواننا الذين سبقونا بالايمان.

في بداية حياتي كان أمثالي يظنّون أن هؤلاء الذين يسمّون أنفسهم سلفية، موحّدين حقاً، وانهم هم أهل الإسلام الأصيل و>أهل السُنّة الواقعيين<، ولكنني عندما رأيت أفعالهم وما يصدر عنهم من اهانات لجميع المسلمين باستثناء انفسهم، وما يصفون به سائر المسلمين من صفات الشرك، وحتى استباحة دمائهم، بل والأسوء من ذلك ما يقومون به من تفخيخ وتفجيرات تُراق على اثرها دماء نساء واطفال ابرياء، وحتى انّهم يأكلون اعضاء أجساد بعض الناس الذين يقتلونهم بعدما رايت ذلك كلّه أبغضتهم؛ فحتى الحيوانات الكاسرة لا تقوم بمثل هذه الأفعال الوضيعة بنظيراتها. وهذا ما دفعني إلى التحقيق والتقصي في اصل ظهورهم.

عندما رجعت إلى تاريخ ظهور الوهابيين وجدت انهم قد استمدوا مذهبهم من شخص كان يعيش قبل سبعمائة سنة اسمه ابن تيمية كان قد وُلِد ونشأ في الشام عاصمة بني أُميّة. وكان هذا الشخص يعتقد بالتجسيم[1] وهو القول بأنَّ الله جسم، حيث حُكِم عليه حينها من قِبل قُضاة ثلاثة مذاهب بالسجن

---

1. مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية، المجلد الخامس، فصل: «الطرق المثبتة في اطلاق لفظ العرض والجسم على الله».

المؤبّد[1].

إنّ اتهام ابن تيمية بالتجسيم قد جَعل منه مشركاً، ومات في ذلك السجن وذهب اسمه طي النسيان، إلى ان ظهر قبل ما يقارب مائة سنة شخص اسمه محمد بن عبد الوهاب، وأخذ يروّج لمذهب ان تيمية من جديد. ورغم ان محمد بن عبد الوهاب كان كسلفه ابن تيمية يعتقد بالتجسيم (أي انه كان مشركاً مثلما هو الحال بالنسبة إلى تيمية، ولكن هذه المرّة أخذ محمد بن عبد الوهاب المتهم بالشرك، أخذ يصف بقية المسلمين بالشرك. وبالاضافة إلى ذلك أصدر حكماً باستباحة دماء المسلمين وهجم على مكّة والمدينة وارتكب مجازر راحت ضحيّتها أعداد لا تُحصى من المسلمين، وقتل أعداداً لا حصر لها من الحجاج لا لذنب الا لأنّهم لم يكونوا وهابيين. وقد حصل ابن عبد الوهاب على هذه القدرة بالتعاون مع جاسوس بريطاني عرّفه على قبيلة آل سعود وعقد يومذاك تحالف بين آل سعود ومحمد بن عبد الوهاب. وهو ان يهجموا على مكّة والمدينة واذا نجحوا في السيطرة على الحكم تصبح السلطة لشيوخ قبيلة آل سعود وان يوفروا جيشاً قوياً لمحمد بن عبد الوهاب،

---

1. الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني (طبعة بيروت، ص 145): قال القاضي المالكي: فقد ثبت كفر ابن تيمية.

ولكن يصبح مقام السلطة الدينية لمحمد بن عبد الوهاب والرجال الذين تربّوا على يده.

وبالنتيجة في اعقاب الهجوم على مكّة والمدينة وقتل أعداد غفيرة من المسلمين رجالاً ونساءً، تمكنوا من اسقاط حكومة الحجاز والسيطرة على زمام الامور واطلاق تسمية المملكة السعودية (واسم قبيلتهم) على منطقة الحجاز بالاضافة إلى نجد، وهي الموطن الاصلي لقبيلة آل سعود.

تجدر الاشارة إلى ان رسول الله كان قد أخبر عن تمرّد هؤلاء القوم وفتنتهم وسمّى ذلك قرن الشيطان مشيراً إلى ان قرن الشيطان هذا يخرج من نجد[1]

كان الوهابيون طيلة مدّة حكمهم ولازالوا تبعاً للحكومة البريطانية. وكان آل سعود من أول الدول التي اعترفت بوجود دولة اسرائيل مصاصة الدماء وقاتلة الاطفال. ورغم انهم في الظاهر يرفضون التهمة الموجهة اليهم بمؤاخاة الصهيونية، الا انهم مساعداتهم الخفية لاسرائيل تمثل أفضل واوضح دليل على ذلك، وقد اتضح اليوم

---

1. قول النبي (ص) الفتنة من قبل المشرق عن عبد الله بن عمر: اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: وفي نجدنا.
قال: اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا. قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا.
(فأظنه قال (ص) في الثالثة:) هناك الزلازل والفتن وبها يطلع «قرن الشيطان».

لجميع أبناء البشرية ان آل سعود عملاء ادلاء لأمريكا واصدقاء من وراء الستار لاسرائيل وعدو لبلدان الخط الأوّل من جبهة محاربة اسرائيل؛ أي انهم أعداء لسوريا و. . . .

وعلى كل حال، فانني عندما رأيت هذه الامور تراجعت عن >المذهب الوهابي< وليس هذا فحسب، بل بدأت أشك حتى في المذهب الذي أنتمي إليه بعد أن رأيت هذا الحديث المتواتر وهو قول رسول الله: «ستفترق أُمّتي من بعدي الى ثلاث وسبعين فرقة، واحدة ناجية وإثنان وسبعون في النار»[1].

فأخذت أبحث لأعرف من هي الفرقة الناجية من بين كل هذه الفرق والمذاهب المختلفة التي يُطلق عليها اصطلاحاً أهل السُنّة وهي المذهب الحنبلي، والحنفي، والمالكي، والشافعي؟ وما هو تاريخ نشوء هذه المذاهب الأربعة؟ وهل كان زعماء هذه المذاهب موجودون في زمان رسول الله ؟ أم لم يكونوا موجودين يومذاك؟ وعندما راجعت التاريخ لاحظت أن زعماء هذه المذاهب السنيّة الأربعة كانوا يعيشون في القرنين الثاني والثالث للهجرة، ولم يكن أي منهم في القرن الأوّل، ولم يكن لهم أتباع في القرن

---

1. سنن ابن ماجة، في باب افتراق الامة: قال رسول الله (ص): ستفترق امتي من بعدي ثلاث وسبعين فرقة، واحدة ناجية وإثنان وسبعون في النار.

الأوّل ومن بعد رحلة رسول اللّه. بل ان مذاهبهم كانت أيضاً من المذاهب التي نشأت في القرنين الثاني والثالث. وبعدما لاحظت تاريخ ظهور هذه المذاهب السنيّة الأربعة تراكمت الشكوك والشبهات في ذهني؛ للأسباب التالية:

أوّلاً: من بين المذاهب الإسلامية التي قال رسول اللّه: إنّ فرقة واحدة ومذهب واحد منها على الحق وأهل النجاة[1] وليس إثنان أو ثلاثة أو أربعة فرق. فمن هذه الفرقة الناجية من بينها؟

وثانياً: قال رسول الكريم: هناك فرقة واحدة ناجية الى يوم القيامة. والحال أن أياً من هذه الفرق الأربعة لأهل السُنّة، لم تكن موجودة في القرن الأول. وأن «الفرقة الناجية» الموجودة كه في جميع القرون وكانت موجودة في القرن الأوّل أيضاً، لا يمكن أن تكون واحدة من هذه المذاهب التي أُنشئت في القرون التالية»[2]،[3]، أي لا

---

1. سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب افتراق الامة: ستفترق امتي من بعدي ثلاث وسبعين فرقة، واحدة ناجية وإثنان وسبعون في النار؛ سنن أبي داوود في كتاب السنّة؛ سنن الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق الامة؛ مسند أحمد؛ ج2، ص 332.

2. أبوحنيفة «إمام الحنفيين» توفّي في عام 150؛ مالك «إمام المالكية» توفّي في عام 179؛ الشافعي «إمام فرقة الشافعية» توفّي في عام 204؛ أحمد بن حنبل «إمام الحنابلة» توفّي في عام 241.

3. عمرو بن عبيد «شيخ المعتزلة» توفّي في عام

يمكن أن يكون المذهب الحق والفرقة الناجية هي «المذهب الحنبلي، أو الحنفي، أو المالكي أو الشافعي».

ثالثاً: أكثر المذاهب الأربعة تعتقد برؤية الله. وفي الوقت الحاضر تعتقد هذه المذاهب الأربعة وهي المذاهب الموجودة بامكان رؤية الله بناءً على ما جاء في كتاب البخاري وغيره من الكتب التي كُتبت في القرون اللاحقة[1] وهي تقول بالرؤية ولو في القيامة، في حين ان مذاهب إسلامية أُخرى كالشيعة مثلاً تعتقد ان القول برؤية الله مخالف لما جاء في القرآن الكريم، وتعتبر هذا القول شركاً. وتقول لو كان الله يُرى فمعنى ذلك انه جسم؛ والجسم محدود ويشغل حيّزاً مكانياً في السماء مثلاً أو في العرش؛ كأن نقول على سبيل المثال إن الله في السماء أو في العرش. واذا كان الأمر كذلك أين إذاً كان الله قبل خلق السماء والعرش؟ واذا كان يحتاج

144؛ وأبو علي الجبائي رئيس المعتزلة في القرنين الثالث والرابع توفّي في عام 303؛ وأبو الحسن الأشعري «رئيس الأشاعرة» ومؤسس المذهب الأشعري توفّي في عام 344 (في القرن الرابع) وكان الحنابلة يعتبرونه كافراً.

1. كانت وفاة البخاري في عام 256.
أصحاب الكتب المسمّاة بالصحاح والسنن (لدى أهل السنّة اصطلاحاً):
«البخاري» توفي في عام 256؛ «مسلم» توفّي في عام 261؛ «ابن ماجة» القزويني توفّي في عام 273؛ «أبو داود» توفّي في عام 275؛ «النسائي» توفّي في عام 303.

إلى مكان، فمعنى ذلك أن وجوده لم يكن ممكناً قبل خلق السماء والأرض وقبل خلق العرش. وهذا تناقض في مفهوم الله (الله بالمعنى الذي يذهب إليه البخاري ومسلم وهو إله يمكن رؤيته). وهذا يثبت أن الله لا يحتاج إلى مكان ولا تمكن رؤيته، وهو خالق كل جسم ومكان كما جاء ذلك في نصّ القرآن الكريم في قوله تعالى لموسى: {**لَن تَرَانِي**}[1] وكذلك في قوله تعالى في القرآن الكريم: {**وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا**}[2]. ولو كان الله يُرى وله مكان لكان مُحاطاً به وليس محيطاً.

وكذلك جاء على امتداد التاريخ وفي القرون اللاحقة، ظهور مذهبي >الأشاعرة< و>المعتزلة<[3]. حيث كان الأشاعرة يقولون: الإنسان غير مختار، وحتى الإنسان العاصي مجبر؛ الله يجبره على المعصية وبعد ذلك يعذّبه ويلقيه في النار. في حين ان هذا الاعتقاد يتنافى مع عدل الله. يقول الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم: {**إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**}. ولا يمكن القول إن الله يُدخل الأنبياء في جهنم يوم القيامة. بينما يذهب الأشاعرة وغيرهم

---

1. سورة الأعراف، الآية 143، {لَنْ تَراني}.
2. سورة النساء، الآية 126، {و كان الله بكل شيئ محيطاً}.
3. عمرو بن عبيد، شيخ المعتزلة توفّي في عام 144، وأبو الحسن الأشعري رئيس الأشاعرة توفّي في عام 344.

من أصحاب المذهب الجبري إلى القول بامكانية ان يُدخل الله الأنبياء إلى النار؛ وذلك لأنّ أصحاب هذه التيارات والمعتقدات لا يعتبرون الله عادلاً.

واما بالنسبة إلى المعتزلة الذين كنوا من العدلية ويعتقدون بعدالة الله فيقولون إنّ الله تعالى بعد خلق العالم وخلق الناس، يترك لهم الحرية ليفعلوا ما يشاؤون؛ فمن يعصي منهم فبإرادته واختياره، وكل من يعمل صالحاً فباختياره وإرادته، والله تعالى عادل. ولابد من الاشارة إلى ان شيعة عليّ يعتقدون أيضاً بعدل الله وان الإنسان حرٌّ ومختار في افعاله، ولكنهم يقولون إنّ هذه الحرية محدودة في حدود عمر الإنسان، وعمر الإنسان بيد الله الذي يقدّر عمر الإنسان وفقاً لما يرى فيه المصلحة؛ ومتى ما انتهت مدّة عمر الإنسان وقبضه الله إليه يُزال عنه التكليف. وفي بعض الأحيان قد تحصل أثناء حياة الإنسان مواقف، يرى الله تعالى فيها ان المصلحة تقتضي منع الإنسان من القيام بعمل فيه ضرر على البشرية كلّها؛ فيخلق الله تبارك وتعالى أمامه موانع وعراقيل تحول دون قيامه بذلك العمل؛ كما هو الحال حين أغرق الفراعنة ليحول دون تسلّطهم على أصحاب موسى. وهو تعالى لا يعاقب الإنسان على عمل إذا أراد فعله وعجز عنه. ومثل هذا التدخّل الإلهي لا يتعارض مع العدالة الالهية. ومن ذلك

مثلاً ان فرعون أراد قتل موسى في صغره، ولكن الله تبارك وتعالى أوجد ظروفاً وخلق موانع حالت دون ذلك.

من المؤسف الآن أن أكثر مذاهب أهل السُنّة يقولون إنّ الله يُرى وانه يحتاج إلى مكان. ويقولون إنّ الله على العرش. كما انهم يؤمنون بالجبر ويقولون إنّ الله يجبر عباده على المعاصي، ثم يعاقبهم بعد ذلك في نار جهنم على ارتكاب تلك المعاصي. ومن الواضح ان مثل هذا الاعتقاد لا ينسجم أبداً مع ما وصف به الله نفسه من صفات الرحمن الرحيم، وهي الصفات التي نعت نفسه بها في بداية كل سورة من سور القرآن الكريم.

هذه القضايا والمواضيع أثارت انتباهي ودفعتني إلى البحث والتحقيق حول القادة الاوائل الذين جاءوا بعد رسول الله، وهل كانت خلافتهم لرسول الله على الحق ووفقاً للسياقات السليمة؟ ام لم تكن الامور على هذا النحو؟

وأما الدوافع والمنطلقات التي حفّزتني للقيام بهذا التحقيق فهي:

لم يكن هناك في ما مضى زمان أصعب ولا أشد علينا (نحن المؤمنون الحقيقيون) و<الأتباع الواقعيون لرسول الله> من هذا الزمان، ولا أكثر منه اثارة للتساؤلات فأتباع ابن تيمية والوهابيون أتباع محمد بن عبد الوهاب الذين يعتبرون أنفسهم رواد أهل السُنّة وممثّليهم، يؤمنون بمعتقدات لا تنسجم مع معتقدات معظم أهل السُنّة. ومن ذلك مثلاً ان ابن تيمية كان يقول بالتجسم ويعتبر الله جسماً، وكما ذكرنا من قبل ان قضاة من المذاهب الثلاثة أفتوا بشركه وحُكم عليه على اثر ذلك بالسجن المؤبّد، ومات في ذلك السجن. واليوم غدت الامور على العكس من ذلك. فها هم هؤلاء أتباع محمد بن عبد الوهاب الذي يقولون بالتجسيم ويعتقدون بحرمة السفر لزيارة قبر رسول الله[1]، صاروا اليوم يتهمون جميع المسلمين - عدا

---

1. كتاب مختصر الصواعق المرسلة، تأليف ابن قيم الجوزية، الطبعة الاولى، بيروت، سنة 1405هـ. ، ص 113: حيث إنه غضب على الموحدين ممن قال إن الله ليس بجسم حين سماهم بالنفاة المعطلة بقوله: فانظر ماذا تحت تنزيه المعطلة النفاة بقولهم ان الله ليس بجسم.
كتاب مجموعة الرسائل والمسائل تأليف ابنتيمية، المجلد الخامس، في فصل اثبات صحة اطلاق لفظ الجسم والعرض على الله، فصل الطرق المثبتة في اثبات لفظ العرض والجسم علىالله.

أنفسهم - بالشرك، بل حتى انهم يعتبرونهم مهدوري الدم، ويقومون بعمليات التفجير لقتل الناس وذبح الأطفال والنساء، في حين ان رسول الله كان في غزواته لا يتعرّض لنساء واطفال الكفّار المحاربين، وكانوا يعفوا عن الاطفال غير البالغين للمشركين المحاربين. واما الجماعات التكفيرية التي تعتبر نفسها وهابية، فهي لا تتورع عن قتل من ينطقون بشهادة لا إله الا الله ومحمد رسول الله، بل ويقتلون حتى نساءهم واطفالهم مثلما كان الخوارج يفعلون في النهروان، بل انهم أسوأ حتى من الخوارج؛ فهم أحياناً يأكلون من اعضاء أبدان القتلى، وهو عمل مخالف للشرع ومحرّم في جميع الآديان، ويمثل أبشع درجات الوحشية.

هذه الجماعات متحالفة مع أمريكا والصهاينة ومع الكفار المحاربين ومتأخية مع تلك الجهات، وتسير وفقاً لسياستها (والدول المتحالفة في الخفاء مع اسرائيل قاتلة الاطفال، مثل العربية السعودية)، ويوجهون اسلحتهم الينا ويقتلوننا نحن المسلمين الذي نعادي اسرائيل والصهيونية، وهذا كلّه يجري تحت مسمّى مناصرة أهل السُنّة والدفاع عن السلف الصالح معاوية ويزيد بن معاوية وأمثال معاوية ممن حاربوا الإمام المفترض الطاعة علي بن أبي طالب،

ويزيد بن معاوية الذي قتل الحسين بن علي وبني هاشم آل رسول الله وعترته الطاهرة، بل وقتل حتى الطفل الرضيع. وفي السُنّة التالية هاجم يزيد مدينة رسول الله واستباحها ثلاثة أيام وأباح لجنوده نفوس وأموال وأعراض الصحابة وأهل المدينة ليزنوا بمن يشاؤون من نساء الصحابة وبناتهم أو يقتلوا من يشاؤون منهم وينهبوا أموالهم. وفي السُنّة التالية هجم على مكّة وضرب الكعبة بالمنجنيق وأحرق أستارها، في حين أن رسول الله قال: ستفترق أُمّتي من بعدي الى ثلاث وسبعين فرقة، واحدة ناجية وإثنان وسبعون في النار. ولاشك طبعاً في أنّ تلك الفرقة الناجية هي الفرقة التي تتبع السُنّة الحقيقية، وليس مجرّد اتباع ما يُسمّى بأهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي، حيث لم يكن أي من المذاهب الأربعة موجوداً في القرن الأوّل ولا يمكن أن يكون أي منها هو الفرقة الناجية.

السؤال الذي يُثار هنا هو من هي الفرقة التي تُعتبر أهل السُنّة الحقيقية؟

1. هل هي الوهابية التي تعتبر كل من سواها مشرك ومهدور الدم، وتعلن انها تسير على نهج يزيد بن معاوية قاتل عترة النبي. يزيد بن معاوية الذي صرّح علانية بانكار رسالة النبي ونزول الوحي. فهل هؤلاء هم أهل السُنّة الحقيقية؟ وهل السُنّة التي يستندون إليها هي السُنّة الحقيقية؟ أم لا؟

2. الشافعية الذين يزعمون أنهم من مؤيدي ذوي القربى آل رسول الله، وهم يلعنون يزيد بن معاوية إلى حدٍّ ما، وحتى عندما يصل الدور إلى لعن معاوية يتوقفون عنده ويختارون الصمت؟ فهل السُنّة التي يستندون إليها هي السُنّة الحقيقية؟ وهي السُنّة التي يفتي الشافعية على أساسها على خلاف الأحكام التي تفتي بها سائر الفرق.

3. أو هي السُنّة التي عند الحنابلة ويفتون على أساسها على خلاف ما يفتي به الشافعية والمالكية والحنفية؟ أو هي السُنّة التي أخذها شيعة علي عن طريق عترة رسول الله وآل محمد عن رسول الله ؟ أهل السُنّة الحقيقيون هم شيعة علي الذين يعتبرون أنفسهم فرقة الإمأميّة و هي فرقة الإمأميّة الإثني عشرية و هم أتباع الأئمة من عترة النبي. أي انهم العاملون بحديث

الثقلين: >إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله و«عترتي»، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً< الذي نقله النسائي والترمذي في سننه، وهما يعرفان سنده حقّ المعرفة. وشيعة علي يقولون نحن أتباع «السُنّة الواقعية لرسول الله» التي وصلتنا عن عن طريق العترة؛ وذلك لأنّه «لا أحد أعلم وأدرى من أهل بيت رسول الله وعترته وذوي قرباه بالسُنّة الواقعية لرسول الله». وكان رسول الله قد أخبر عن إثني عشر خليفة و إثني عشر أميراً[1] وليس هناك من أحد سواهم تنطبق عليه آية التطهير التي وردت في سورة الأحزاب، ولا أحبّ الى الله من آل محمد الذين أوجب محبّتهم في القرآن.

وشيعة علي لهم مؤاخذات على حديث >إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله و«سنتي»<، وهي كالآتي:

1. إنّ هذا الحديث موضوع ومدسوس من قِبَل أتباع «بني أميّة»، وذلك لأنّ هذا الحديث غير موجود في الكتب مثل كتاب مسلم وسنن النسائي والترمذي وغيرها من الكتب الستّة. وانّما جاء في موطأ مالك ومن غير سند، في حين أن حديث الثقلين: كتاب الله و«عترتي»، موجود في سنن الترمذي وسنن النسائي.

ونظراً الى أن تشخيص «السُنّة

---

1. البخاري في آخر كتاب الأحكام، ومسلم في كتاب الإمارة.

الواقعية» لرسول الله من بين «الأحاديث المتعارضة والمتناقضة» التي نُسبت الى رسول الله من بعد رحلته، وأدت الى تفرّق أهل السُنّة في معتقداتهم، وتشظّيهم الى فرقتي الأشاعرة والمعتزلة، وفي الفقه، الى حنبلية وشافعية ومالكية وحنفية، لا يمكن النظر الى كلّ هذه الأحاديث المتعارضة والمتناقضة على أنها مطابقة للواقع وتمثّل «السُنّة الواقعية لرسول الله».

2. ما يستنبطه الوهابيون منها من استنباطات متعارضة ومتناقضة تماماً، وبها يكفّرون جميع فِرق المسلمين - باستثناء أنفسهم - ويوظّفونها في وجوب التحالف مع الصهاينة قتلة الاطفال، ومحاربة أكثرية شعوب العالم الإسلامي، وتفسّرها كل فرقة أو تأولها وفقاً لرؤاها.

وهنا ينبغي أن نتساءل: أي من هذه الأحاديث المنسوبة إلى رسول الله حديث حقيقي ويمثل <السُنّة الحقيقية>؟

وأي الاستنباطات من القرن والسُنّة تمثّل الاستنباط الصحيح والواقعي؟ كل هذه الفرق الأربعة وغيرها ترى نفسها متمسّكة بالقرآن والسُنّة، على الرغم مما يكتنف كل واحدة منها من استنباطات متضاربة وما تستند إليه من أحاديث متعارضة ومتناقضة. وكل واحدة من هذه الفرق تدّعي ان ما لديها من أحاديث تمثل <السُنّة الحقيقية>، وان استنباطاتها هي

الاستنباطات الصحيحة والمطابقة للواقع. أي على الرغم من كل هذه الأحاديث المتعارضة والاستنباطات المتناقضة، إلا أن كل واحدة من هذه الفرق الثلاثة والسبعين ترى انها هي أهل السُنّة[1] في حين ان فرقة واحدة منها فقط هي الفرقة الحقّة التي تسير على الصراط المستقيم وينطبق عليها وصف أهل السُنّة حقّاً وحقيقة، واما سائر الفرق فهي على ضلال ومصير أتباعها إلى النار، أي انهم أهل السُنّة وانّما أهل بدعة.

إذاً فقول من يقول إنَّ >الفرقة الناجية< هم >أهل السُنّة< لمعنى لكلامه إلا إذا أخذنا مصطلح أهل السُنّة بمعنى المسلمين؛ وذلك لأنّه قد يكون هناك من يعتبر نفسه مسلماً ولكنه لا يسير على القرآن والسُنّة؛ ذلك لأنّ سمة المسلم وسمة أهل السُنّة وهو عنوان عام وينطبق على جميع الفرق الإسلامية الثلاث والسبعين وليست مَعْلماً للفرقة الناجية. الفرقة الناجية ينبغي أن تتميز بخصوصية لا تتوفر في سواها من الفرق الاخرى.

ومما ينبغي الالتفات إليه أيضاً هو أن أتباع الفرقة الناجية يتبعون >أئمة وقادة لديهم علم تام بكل

---

1. كلمة أمّتي في الحديث المذكور تعني من يدّعون اتّباع سنّتي:
سنن ابن ماجة، باب افتراق الامّة، ستفترق أمّتي. . . .

التفسير الصحيح للقرآن وكل السُنّة الحقيقية<.

1. أئمتهم هذه الفرقة لديهم علم كامل لجميع السُنّة الحقيقية ولا تلتبس عليهم الأحاديث المتعارضة والمتناقضة؛

2. استنباطهم صحيح ومطابق للواقع، وهذا من سمات قادة الفرقة الناجية؛ وذلك لأنّ الأمر إن لم يكن كذلك فلا شيء يضمن عدم وقوعهم ضحية للأحاديث الموضوعة والمدسوسة. ولا يُستبعد أن يؤدي بهم ذلك إلى استنباطات مغلوطة ومضلّة؛ لأنّ الجهل يكون عذراً في المواضع التي لم يجعل فيها الله قادة وأئمة حق. ولكن بما أنّه تبارك وتعالى جعل للناس أئمة حق من عترة النبي، فلا عذر لأخطاء القادة من غير العترة.

وهذا هو منطوق الآية 83 من سورة النساء، وهو ان اولي الأمر الذين هم أولى بامور المسلمين حقّاً (ولديهم حق الأمر والنهي من الله) هم اؤلئك الذين تكون استنباطاتهم على الدوام صحيحة ولا يقعون في ضلال أبداً ولا حتى من باب السهو والخطأ. وهذا هو نص الآية الشريفة: {**وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً**}.

اذاً من بعد رسول الله، >اولو الأمر< (الذين لهم شرعاً حق الأمر على الأُمّة الإسلامية) (هم العالمون الكاملون بجميع السُنّة الحقيقية والاستنباط الصحيح من القرآن والسُنّة). ومعنى هذا الكلام هو ان الفرقة الناجية لابد وأن يكون لها >مثل هؤلاء القادة والأئمة< الذين يكون كل واحد منهم عالماً كاملاً بجميع التفسير الصحيح للقرآن، وعالماً كاملاً بكل السُنّة الحقيقية؛ لكي لا يقعوا في حبائل الأحاديث الموضوعة التي وصلت عن طريق المنافقين الذين يتظاهرون بالعدالة. كما وينبغي أيضاً. . . .

3. ان تكون استنباطاتهم صحيحة لكي لا يقعوا في متاهات الاستنباطات المغلوطة والمُضِلّة التي وقع فيها قادة >الفرق الضالّة<.

ومن الناحية العقلية، نلخّص ما سبق قوله في كلمة واحدة وهي ان >الفرقة النجية< لابد أن يكون لها >أئمة مصانون ومعصومون من الخطأ< لكي يصونوا أتباعهم من الخطأ والضلال إلى يوم القيامة؛ ذلك لأنّ الخطأ واحتمال الوقوع في الخطأ، كان على امتداد تاريخ البشرية مدعاة إلى الانحراف نحو الضلال.

هذا فضلاً عن الامور التالية:

1. العلم التام بكل التفسير الصحيح للقرآن ولكل السُنّة الحقيقية؛

2. العصمة من الخطأ في الاستنباط،

وبكلمة واحدة >عصمة أئمة الفرقة الناجية< متعذّر بدون علم إلهي وتأييد من الملائكة الالهيين، فهذه الميّزات يتفرّد بها الأئمة المُصفين من الله.

وعلى العكس من ذلك الفرق التي ليس لها أئمة وقادة >ذوي علم كامل بكل التفسير الصحيح للقرآن<، و>كل السُنّة الواقعية<، ويُحتمل وقوع الخطأ في استنباطاتهم، فهذه الفرق لا يمكنها تسمية نفسها >بالفرقة الناجية إلى يوم القيامة<؛ وذلك لأنّ الاقرار بأن القائد الذي لا تتوفر فيه صفة >العالم الكامل بكل التفسير الصحيح للقرآن وبجميع السُنّة الحقيقية، ويمكن ان يخطأ في الاستنباط< يساوي القول إن تلك الفرقة من الفرق الضالة إلى يوم القيامة؛ إذ ان الجهل واحتمال الخطأ في الاستنباط عند القادة من أبناء البشر العاديين< لا يضمن هداية أتباعهم إلى يوم القيامة، بل عملياً لا يمكن أن يبقى بمعزل عن الخطأ، وهو ما يعني بالنتيجة ان >القادة الذين يحتمل منهم الخطأ< وقعوا ويقعون في الضلال ومن غير الممكن ان يبقى مصوناً من الخطأ والضلال إلى يوم القيامة< بدون >القيادة المُعيّنة والمؤيدة والمسدّدة من الله<.

سؤال: 1. أيّة «فرقة» من الفرق الإسلامية، تقرّ بـ «احتمال خطأ

قادتها»؟
2. وأيّة فرقة 1. تدّعي «عدم خطأ قادتها»، وبالإضافة الى ذلك 2. لديها حديث متواتر لإثبات «عدم خطأ قادتها» وهو حديث مروي عن رسول الله (ص) و (تُجمِع عليه كلّ الفرق الإسلامية)؟ وهو قول النبي:
«إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً».

لابد للفرقة التي تسير - من بين ثلاث وسبعين فرقة على الطريق القويم وطريق النجاة إلى يوم القيامة - ولا تشط على طريق الانحراف والضلال إلى يوم القيامة، أن يكون لها قائد عالم وكامل ومصون من الخطأ على مدى القرون إلى يوم القيامة، لكي يحفظ الأتباع من الاخطاء ولا يلقيهم في غياهب الضلالة حتى وإن كان ذلك من باب الخطأ.

ولابد أن يكون لهذه الفرقة على مدى القرون >سواء في القرن الأوّل أم في القرون التالية وإلى يوم القيامة< قادة وأئمة لديهم علم كامل بكل القرآن وتفسيره الصحيح وبكل السُنّة الحقيقية، مع قدرة على الاستنباط الصحيح من كل السُنّة الحقيقية ومن غير خطأ، لكي يتسنّى لهم >هداية أتباعهم وابعادهم عن الضلال إلى يوم القيامة<.

المقصود من «الإمام» عند كلّ فرقة: من «عموم المسلمين» «وخصوص الشيعة»:

تمهيد:

الإمام في اللغة بمعنى «الرئيس ومن يُقتدى به». والإمام اصطلاحاً بمعنى «خليفة رسول الله بالحق». وله في مذهب «عموم المسلمين» و«الشيعة»، معناه الإصطلاحي عند كل واحد منهما.

في الادبيات يطرح كل فريق ما يحمله من تصوّر حول معنى الإمام، ويردّ عليه المقابل بما يحمله هو من معنى مفهوم لهذه الكلمة. ولهذا نطرح هنا كلا التصوّرين اللذين يراهما >عموم المسلمين< و>خصوص الشيعة< كل واحدٍ على حدة، لمنع ما يحتمل ان يقع من لبس.

تصور عموم المسلين لمعنى الإمام أي >خليفة رسول الله< انه يعني السلطان والحاكم على المسلمين.

نذقل في ما يلي نص عبارات علماء أهل السُنّة في بيان المقصود من معنى الإمام:

نذكر مثلاً معنى الإمام حسب ما جاء في كتاب:

«حديث غدير، مولاي مؤمنان وما أهل سنت»
جمعه وحققّه: محمد سليم آزاد (من عموم المسلين)
بمقدّمة وتحقيق: ايوب گنجي
عدد النسخ: 3000 نسخة
الطبعة الثانية: ربيع 2006م
مراكز التوزيع:
1. طهران، نشر احسان
2. زاهدان، انتشارات صديقي
3. سنندج، انتشارات كردستان

(من بعد ما بيّن كاتب المقدّمة في ص 7 ان الإمام معناه من يقوم بالأحكام عند >عموم المسلين<، كتب في الصفحة الثامنة والصفحة التاسعة من كتاب هذا الفارق بين الإمام عند >عموم المسلين< وعند >الشيعة< على النحو التالي:

في رأي أهل السُنّة، الأهلية والكفاءة ضروريّتان للإمام، ولكن لا تجب فيه العصمة.
ولكن في رأي الشيعة، الإمام >معصوم< دائماً.
يرى أهل السُنّة ان عدد

الأئمة[1] منذ زمن النبي إلى يوم القيامة، غير محدد والمسلمون يعيّنون إماماً لهم تبعاً لظروف الزمان والمكان، ويقوم هو بأداء واجبات الإمامة.

وامّا من وجهة نظر الشيعة فانّ الله تبارك وتعالى قد عين من بعد زمان رسول الله إلى يوم القيامة إثني عشر إماماً[2]، ولا يحق لأحد

---

1. الإمام عند أهل السنّة بمعنى السلطان، ولهذا فإن عددهم غير محدد.
2. البخاري في آخر كتاب الأحكام، ومسلم في باب الإمارة:
يكون بعدي إثنا عشر أميراً كلهم من قريش (مسند أحمد، ج5، ص 87؛ سنن الترمذي،ج4، 501؛ سنن أبي داوود، ج 4، ص 106) يكون بعدي إثنا عشر خليفة كلهم من قريش). الإمام عند الشيعة بمعنى «الهادي بالحق المنصوب من الله» لهداية الأمّة في الامور «العلمية والإعتقادية والفقهية والسياسية وغيرها»، واتّباعه يصون الأتباع من الفرقة والضلال الى يوم القيامة، وفقاً لحديث الثقلين: كتاب الله وعترتي ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا. وخطبة الغدير.
وفقاً للآية 123 من سورة طه، إتّباع الإمام المنصوب من الله إتّباع للهداية الإلهية التي لا شقاء ولا ضلال فيها؛ إذ إن الهداية الإلهية، معصومة من الخطأ {**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**}..
ومصداق هذه الآة هو ذات مصداق حديث الثقلين >كتاب الله وعترتي< الذي يفيد أن اتّباع العترة كفيل بحفظ السنّة الواقعية من التحريف الى يوم القيامة وإبقائها على الصراط المستقيم.

غيرهم ان يتبوّأ منصب الإمامة. واستناداً إلى هذه النظرية تُطلق الشيعة تسمية الإمأميّة والإثني عشرية.

وكتب في صفحة 10، ما يلي:

«أهل السُنّة»، على أساس، الأحاديث الصريحة واشارات النبي الأكرم (ص)، يرون نيابة عن «الأمّة الإسلامية»، «أربعة أئمة» بالحق على الترتيب التالي:

الإمام الأوّل: أبو بكر الصديق رضي الله عنه

الإمام الثاني: عمر الفاروق رضي الله عنه

الإمام الثالث: عثمان ذي النورين رضي الله عنه

الإمام الرابع: علي المرتضى رضي الله عنه[1]

والشيعة يتّبعون عترة رسول الله من بعده امتثالاً لأمر الله، وانطلاقاً من كونهم منصوبين من قِبل الله ورسوله لجميع الشؤون العلمية والسياسية، وهداة بالحق من الله حتى يوم القيامة، بينما عامّة المسلمين لا يعملون بهذا الحديث. وهو ما يعني بالنتيجة أنهم لا يعملون بالسنّة الواقعية لرسول الله، ولا يعتقدون بمثل هذه الإمامة.

1. يكون بعدي إثنا عشر خليفة، كلهم من قريش، عن كتاب مسند أحمد بن حنبل، ج5 ص 87، 90، 93، 97، 98، 99، 100، 101، 106، 107، (يعني كذب الإدعاء بأن رسول الله قد عيّن أربعة خلفاء، وإنما عيّن إثني عشر خليفة).
يكون بعدي إثنا عشر أميراً. . . كلهم من

ومن بعدهم تستمر سلسلة الإمامة وتبقى مستمرة إلى يوم القيامة، وليس هناك شخص معصوم من بين الأئمة الذين ينتخبونهم. ومن الطبيعي ان هؤلاء الأئمة بعضهم عدول والبعض الآخر ظلمة[1].

(وكتب مرّة اخرى في الصفحتين 160 - 161 إنَّ رسول الله لم يستخلف أحداً من بعده:)

لم يقم رسول الله بالتعيين والتصريح بشأن أي أحد انه سيكون خليفة ووليّاً لأمر

قريش، نقلاً عن كتاب البخاري، آخر كتاب الأحكام.
وجاء هذا الحديث في كتاب مسلم باب الإمارة
وجاء في كتاب مسند ابن حنبل، ج5، ص: 90، 92، 93، 98، 99، 101، 107، 108.
وكذلك جاء في كتاب مسند أحمد بن حنبل، في مسند أبي سعيد الخدري، قال رسول الله (ص) حول الأمراء: إنّ لهم عليكم حقاً ولكم عليهم حقٌ مثل ذلك:
1. ما إنْ استرحموا فرحموا
2. وإن عاهدوا وفوا
3. وإن حكموا عدلوا. فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.
1. الظالم وفقاً للآية القرآنية في سورة البقرة {لا ينال عهدي الظالمين} لا يمكنه أن يكون إماماً.
وكذلك الظالم الذي يحكم بغير ما انزل الله - وفقاً لما جاء في هذه الآية من سورة المائدة - كافر. ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً. وقد أمر الله أن لا تعاونوا على الاثم والعدوان، فالتعاون مع الظالم، حرام.

المسلمين من بعده[1].

(وكتب مرّة اخرى في الصفحة 17 ما يلي:)

عند الشيعة، رأي المعصوم معصوم مثله، ولا يمكنه أن يأتي بشيء سوى من القرآن والسُنّة!

(من البحوث المعروضة في المؤتمر العلمي التحقيقي السابع عشر للمذاهب الإسلامية، مباحث حول حديث الثقلين، تأليف «عبد الغني شاهوزي»، الصفحة الأولى:)

«مدّعى الشيعة الاستناد الى «حديث الثقلين»[2]».

---

1. مسلم في أبواب الإمارة، الحديثان 11 و12؛ سنن الترمذي أبواب الفتن، الباب 48، الحديث 2225؛ مسند أحمد الباب الأول، الحديث 322. مسند أبو يعلى الموصلي، 110/1، الحديث 201؛ جامع المسانيد والسنن، ج18، ص 543.
عندما ضُرب عمر (رضي الله عنه) قيل له: ألا تستخلف؟ قال: إنْ استخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله.
(هذا الحديث يتعارض مع ادّعاء من يقول إن رسول الله قد عيّن أربعة خلفاء بأسمائهم بالترتيب وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان وعلي. ولكن في غدير خم عيّن عليّاً وليّاً للمسلمين. وذكر في نص خطبة الغدير، كلمة خليفة عند إعلان استخلاف علي).

2. قال رسول الله في حديث صحيح متواتر: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً (يعني أن التمسك بالقرآن والائمة من العترة، يصون الأتباع من الضلال الى يوم القيامة).

ينصّ القرآن على أن الإمام المعيّن من الله لا يخطأ، واتّباعه طاعة لله، ومن يسير على هديه لا يضل ولا يرتكب معاصٍ ولا جرائم ولا يضل عن طريق الصواب. الآية 123، سورة طه: {**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**}.

خصوصيات «الفرقة الناجية» عقلاً:

كبرى القضية: وجود «الفرقة الناجية الى يوم القيامة»، غير ممكن عقلاً بدون قادة وأئمة معصومين من الخطأ ومنصوبين من الله.

صغرى القضية: «الأئمة المنصوبون من الله»،

1. قطعاً مؤمنون واقعيون وليسوا منافقين،

2. ولابد أنهم أفضل الأفراد وأكثرهم أهلية للقيادة،

3. ولابد انهم «معصومون من الخطأ في القيادة لكي يتسنى لهم حفظ أتباعهم على الصراط المستقيم الى يوم القيامة.

النتيجة: هي أن «الفرقة الناجية» التي تسير على الصراط المستقيم الى يوم القيامة لابد أن يكون لها مثل هؤلاء القادة >المنصوبون من الله، وهم بالنتيجة معصومون من الخطأ في القيادة والإمامة»، لأنّ السير على الهداية الإلهية لا يوقع في الخطأ والضلال. جاء في القرآن الكريم، في سورة طه، الآية123 {**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**}.

سنّة متواترة: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً.

معنى الإمام في آراء علماء الشيعة
تصوّر الشيعة لمعنى الإمام:
الإمام عند الشيعة >هادٍ بالحق في جميع الشؤون العلمية والسياسية< لكي يتسنّى للأئمة الحفاظ على أتباعهم من الضلال إلى يوم القيامة. القرآن الكريم يتوجه بالخطاب إلى رسولِ الله قائلاً: { **إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** }؛ اي ان الله لا يترك قوماً بغير هادٍ بالحقّ إلى يوم القيامة. ومن يأتي من بعد الرسول لابد أن يكون لديه علم بجميع الشؤون التي تحتاج إلى قائد حيّ؛ مثل:
1. حفظ السُنّة من النسيان والتحريف؛
2. وحفظ السُنّة من الاخفاء والكتمان؛
3. وكذلك الاستنباط الصحيح من القرآن والسُنّة الحقيقية في المجالات الاعتقادية والفقهية والسياسية، التي بدونها تقع الأمّة فريسة للفرقة والضلال، والسير على نهجها يضع الأتباع على الطريق القويم إلى يوم القيامة.
إنّي تارك فيكم الثقلين، «كتاب الله» و«عترتي» أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما، لن تضلوا أبداً.

معنى الإمام[1] عند «علماء الشيعة»:

ذكرنا ان «الإمام» عند الشيعة بمعنى «الهادي بالحق في جميع الشؤون العلمية والسياسية وهو منصوب من الله». والأئمة المنصوبون من الله هداة بالحق ويصونون أتباعهم إلى يوم القيامة من الضلال. وليس هناك من أحد - سوى الأئمة المنصوبين من الله - قادر على أن يكون معصوماً من الخطأ ومن الضلال، وان يحفظ الأُمّة من الضلال إلى يوم القيامة، ويقدّم لأبناء الأُمّة العلوم الكافية والوافية من الله، لكي لا يضل الأتباع؛ كما جاء في حديث الثقلين المروي عن رسول الله: «كتاب الله وعترتي».

وبالنتيجة فقد تكون الامور بالنحو الذي كانت عليه في زمان معظم الأنبياء، حيث لم يكن الناس يتبعونهم، أو كما عليه الحال بالنسبة إلى رسولنا صلوات الله عليه قبل الهجرة، حيث لم تكن له سلطة على أهل مكّة، أو كما هو الحال بالنسبة إلى النبي موسى حيث ذهب إلى جبل الطور حيث تمرّد قومه على أخيه الذي

---

1. الإمام بمعنى الهادي بالحق، المنصوب من الله سواء في الامور العلمية أم في الامور الإعتقادية والفقهية، وكذلك في الامور السياسية وما الى ذلك. ومن ذلك مثلاً ما جاء في الآية الكريمة: {انك منذر ولكل قوم هاد}، وما نصّ عليه الحديث النبوي: <إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً>. وما بيّنته سورة طه، الاية 123 {**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**}.

كان خليفته بالحق (وتركوه وامتثلوا لأمر السامري)، من المحتمل أن يواجه الإمام المنصوب من الله مثل هذه الحالة بسبب >عصيان الأكثرية تفوّق الطغاة< فلا تتوفر له السلطة التنفيذية أو تكون لديه ثم يفقدها، إلا انه يبقى على ما هو عليه إماماً منصوباً من الله ومن الرسول ويجب اتّباعه شرعاً. أو مثلما هو الحال بالنسبة إلى النبي موسى حين ذهب إلى جبل الطور وغاب عن مجتمعه (من الممكن أن يغيب الإمام المنصوب من الله عن مجتمعه، ويفعل مثلما فعل موسى وهو أن يترك مندوباً أو خليفة لهداية الناس. كذلك الإمام المنصوب من الله قد يغيب ويستخلف أثناء غيابه نائبين وممثلين عنه بين أتباعه لهداية الناس في الميادين العلمية (الاعتقادية والفقهية) والسياسية؛ ليمتثل الأتباع لأمر النواب إلى ان تتوفر الظروف لظهوره؛ أي الثورة العالمية لمهدي آل محمد آخر وصي لرسول الله، ليأتي ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ان مُلِئت ظلماً وجوراً.

وعلى كل حال، الإمام عند الشيعة ليس مطلق السلطان، بل بمعنى الهادي بالحق من الله (خلفاً لرسول الله) في جميع الشؤون العلمية والسياسية، وفقاً لحديث الثقلين الذي قال فيه رسول الله :

- إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما

لن تضلوا أبداً.

حيث يفهم من هذا الحديث ما يلي:

1. الإمامة منصب من الله ورسوله. (اتّباع هذا النهج يحفظ أتباعه من الضلال إلى يوم القيامة).

2. عصمة الأئمة الذين من عترة النبي؛ لأنّه من غير الممكن أن يُصان الأتباع من الضلال إلى يوم القيامة ما لم يكن الإمام معصوماً ومنصوباً من الله. أي انه تبارك وتعالى بما حباهم به من علم كامل، وما جعله لهم من قدرة على سماع صوت الملائكة[1] وتعليماتهم، جعلهم معصومين من الخطأ، وبالنتيجة الحفاظ على الأتباع من الضلال والإضلال. (ان رؤية الملائكة وسماع صوتها وتلقّي الارشاد منها غير مستبعد بالنسبة إلى الإمام المعصوم من الله؛ خاصة إذا علمنا ان السيدة مريم العذراء كانت ترى الملائكة وتسمع صوتها رغم انها لم تكن نبيّة ولا إماماً منصوباً من الله).

وعلى العكس من ذلك، يُستفاد من مفهوم حديث «**اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا**»، أن «الأئمة من غير العترة» كما يعترفون هم أنفسهم وكما يعترف أتباعهم، يحتمل منهم الخطأ - على أدنى الإحتمالات - بل ومن الممكن

---

1. لم تكن مريم من الأنبياء ولم تكن إماماً منصوباً من الله، ومع ذلك فقد كانت ترى الملائكة وتكلمهم. ويفهم من ذلك أن سماع كلام الملائكة ليس بمعنى الوحي، ولايختص بالأنبياء.

أن يكونوا ظلمة ومنافقين. وهو ما يعني بالنتيجة أنهم لا يستطيعون حفظ أنفسهم وأتباعهم من الضلال والإضلال الى يوم القيامة، وذلك لأنّ >احتمال صدور الخطأ منهم< الى يوم القيامة، يتلازم مع الضلال وإضلال الأتباع.

وذلك لأنّ الأئمة والقادة إذا كان يُحتمل منهم الخطأ، فمن المستحيل أن لا يصدر منهم أي خطأ الى يوم القيامة، أو أن يحفظوا أتباعهم من الضلال الى يوم القيامة.

>كيف< وعن أي >طريق< نستطيع التيقّن من المعرفة الصحيحة لخصوصيات الفرقة الناجية؟

كيف وما السبيل للوصول إلى المعرفة الصحيحة للفرقة الناجية:

من الناحية الشرعية، جاء في حديث نبوي متواتر: «ستفترق أُمّتي من بعدي الى ثلاث وسبعين فرقة، واحدة ناجية وإثنان وسبعون في النار . . . < وبقية الفرق؛ أي إثنان وسبعون فرقة، كلّها فرق ضالّة ومن أهل النار».

و هذا ما يؤثر العقل أيضاً؛ اذ لا يمكن أبداً ان تكون العقائد والأفكار والأحكام المتعارضة والمتناقضة (التي تحملها الفرق المختلفة) كلّها على حق ومطابقة للواقع وعلى الصراط المستقيم، بل من الممكن ان تكون واحدة منها فقط و منهج واحد، هو الصراط المستقيم والفرقة الحقّة والناجية، وأمّا سائر الفرق كلّها ضالة وغير ناجية.

1. ولأجل التوصل إلى الحقيقة ومعرفة الفرقة الناجية لا ينبغي التعويل فقط على الكتب والأحاديث الخاصة بأية فرقة من الفرق والقول مثلاً بأن هذه الفرقة هي الفرقة الناجية؛ وذلك لأنّ الكتب والمصادر والأحاديث التي تستند اليها هذه الفرقة قد تتعارض مع ما لدى الفرق الاخرى من مصادر ومستندات. إذ من الطبيعي ان كل فرقة تنقل من الأحاديث

ما يؤيد اطروحتها وتستند إلى المصادر الداعمة لها. وبالنتيجة فانه لا يمكن عقلاً اثبات أحقية أية فرقة؛ ولهذا فلابد من الرجوع إلى الأحاديث المتواترة التي تُجمع عليها الفرق كلّها.

2. بما أنّه من المتعذر أو من غير الممكن التحقيق بشكل تفصيلي في جميع الفرق الإسلامية الثلاث والسبعين من أجل التعرّف على فرقة واحدة منها وهي الفرقة الناجية، لا مناص أمامنا سوى العدول عن >هذا العمل المتعذّر< إلى الطريق الوحيد الممكن. وهذا الطريق الوحيد الممكن هو الرجوع إلى أول انشقاق وانقسام وقع بين المسلمين. أي أول افتراق وقع بين الصحابة وهو الافتراق التي انتهى إلى افتراق أبناء الأُمّة، ثم تفاقمت الانقسامات تصاعدياً في كل واحدة من هاتين الفرقتين. وقد كان رسول الله قد أخبر عن اختلاف الصحابة من بعده وهذا منقول بالتواتر في جميع الكتب المقبولة عند جميع الفرق. وهذا الخبر مقبول ومتّفق عليه عند كل الأُمّة. وقد وصلنا هذا الخبر (الذي أخبر فيه الرسول بأساليب وتعابير مختلفة عن تنازع أصحابه من بعده) بشكل متواتر وتتفق جميع الفرق على صحّته. نذكر من ذلك على سبيل المثال أن أصحاب رسول الله عندما فرّوا جميعهم في غزوة أُحد الا نفراً قليلاً منهم،

وتركوا رسول الله بين اولئك الأعداء الشرسين، قال رسول الله لأصحابه:

1. « إنّي لست اخشى عليكم ان تشركوا ولكنّي اخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها. »[1]

وقد قال النبي هذا الكلام في مواقف اخرى أيضاً غير غزوة أُحُد. وهذا الحديث منقول في جميع الكتب المقبولة عند جميع فرق المسلمين.

2. وفي ما يتعلّق بالفتن والأخبار عن يوم القيامة، قال:

قال رسول الله: >يرد عليّ الحوض رجال من أصحابي فيحلؤون عنه، فأقول: يا ربّ أصحابي فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك؛ انهم ارتدّوا على أدبارهم القهقري<. (قال رسول الله بعد نقل هذا الحديث[2]) هؤلاء لا تنالهم شفاعتي.

هذا الحديث المتواتر نقلته جميع الكتب المقبولة عند المسلمين في مواقف مختلفة، وبالأخصّ في الباب المتعلّق «القيامة»، وفي الأخبار المتعلقة بالحوض في يوم القيامة >انهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم<. مجموعة من الصحابة يدخلون جهنم بسبب البدع وتحريف الدين، ولا ينجو منهم إلا قليل مثل

1. البخاري، ج5، ص 29.
2. البخاري، ج7، ص 208.

همل الإبل».[1] والهمل بمعنى القليل من الإبل الذي يتخلّف عن القطيع.

وقال أيضاً في حديث متواتر آخر: «يُهلكُ الناسَ، هذا الحيُّ من قريش»[2]

وقال رسول الله (ص): يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنّون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين. وقال أيضاً في حديث آخر مخاطباً من كان حوله من أصحابه: «ستحرصون على الإمارة وتكون ندامة يوم القيامة»[3] (ومن الطبيعي أن الحرص على الإمارة والرئاسة، يعدّ مصداقاً بارزاً لحبّ الدنيا الذي كان رسول الله كثيراً ما يحذّر أصحابه منه ويلفت أنظارهم الى أن حبّهم للدنيا سيكون سبباً لدخولهم النار. وكان أوّل اختبار مرّ به الصحابة بعد رسول الله هو السعي للحصول على الرئاسة.

وكما أخبر رسول الله في حديث متواتر فقد حصل أوّل نزاع بين من كان في نفوسهم حبّ الرئاسة من الصحابة القريشيين للاستيلاء على الحكم، فدبّ

---

1. البخاري، ج7، ص 208 - 209.
2. كتاب، البخاري، أبواب المناقب، باب علامات النّبوّة؛ كتاب مسلم، أبواب الفتن (المجلد الثامن، ص 186) (أشار النبي إلى أصحابة من قريش ممن كانوا في المدينة فقال: يهلكُ الناسَ هذا الحيُّ من قريش).
3. البخاري، المجلد الثامن، ص 106، أبواب الأحكام، عن النبي(ص) قال: إنّكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة.

بينهم الصراع ولم يكن الرسول قد دُفِن بعد. وعندما كان أقارب النبي وهم علي والعباس وبنو هاشم مهمكون في تكفين وتدفين النبي، سارع طلاّب الرئاسة من الصحابة نحو سقيفة بني ساعدة وتركوا الجسد الشريف لرسول الله مسجّى على الأرض، ولم يقفوا مع آل بيت النبي ويساعدوهم على التكفين والدفن[1] وكانت هذه أوّل فرقة وأول انشقاق بين الصحابة. ووقع النزاع الثاني في السقيفة بين أبي بكر وعمر من قريش من جهة، وبين سعد بن عبادة من الخزرج والأنصار، حول السلطة والرئاسة.

- قال الأنصار نحن أنصار رسول الله تحالفنا معه وحامينا عنه وعندما جاء بيننا زالت عنه الغربة التي كان يعانيها في مكّة، واقام في هذه المدينة حكومة، وفي الغزوات كنا نحن أنصاره والذابون عنه باخلاص ففي غزوة أُحُد عندما شعر أصحابه وخاصة القريشيين منهم بالخطر، فرّوا إلا رجلين من اقاربه وهما حمزة سيد

---

1. طبقات ابن سعد، ج2، ص277. ذكر غسل النبي ومن غسله: غسل رسول الله صلى الله عليه وسلّم علي بن ابي طالب، والفضل بن العباس واسامة بن زيد. وفي ص 300 ذكر من نزل في قبر النبي صلى الله عليه وسلّم: دخل قبر النبي صلى الله عليه وسلم عليّ والفضل واسامة.
وجاء في آخر قصة السقيفة من تاريخ الطبري ان عائشة قالت: ما علمنا بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلّم الا بصوت المساحي.

الشهداء وعلي بن أبي طالب، وبقي منا نحن الأنصار سبعة رجال مع رسول الله استشهدوا كلّهم أو جلّهم.

في هذا النزاع قال «أبو بكر» رداً على كلام «الأنصار»: قال رسول الله: الأُمراء من قريش[1]، أو قال: «العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش» (ولكن لم يقل: قال رسول الله: يُهلكُ الناسَ هذا الحيُّ من قريش[2] وأيضاً لم يقل: إن رسول الله قال لنا نحن الصحابة: إنّكم ستحرصون على الإمارة وتكون ندامة يوم القيامة[3] وأيضاً لم يقل عن النبي(ص) إنه قال: إنّكم ستحرصون على الإمارة وتكون ندامة يوم القيامة.[4] وما الى ذلك.

أمّا بالنسبة إلى الأنصار الذين كانوا في جميع غزوات الرسول يسارعون إلى التضحية بأنفسهم في سبيل الإسلام، ونادراً ما كان يفرّون في المعارك، عندما سمعوا في السقيفة ان رسول الله كان قد قال: >الامراء من قريش<، سكتوا. ولكن سعد بن عبادة ومعه رهط الخزرج من الأنصار لم يبايعوا أبا بكر وعمر، وامتنعوا عن البيعة مادام سعد بن عبادة على قيد الحياة، إلى

---

1. البخاري في أبواب الحدود، حد الحبلى، في نقل عمر لقصة السقيفة.
2. البخاري في أبواب المناقب، ومسلم في أبواب الفتن: يُهلك الناسَ هذا الحي من قريش.
3. البخاري، ج5، ص 29.
4. البخاري ، ج8 ، ص 106، أبواب الأحكام.

أن اغتيل سعد بن عبادة أثناء حكم عمر وكان اغتياله في طريق سفره إلى الشام وقد قُتِل ليلاً لكي لا يُعرف قاتله، ولكن من المؤكد أنه سيُكشف يوم القيامة. ومهما يكن الحال فانّه لم يكن مِن فِعل شخص واحد؛ لأنّه قد أُشيع لاحقاً أن سعد بن عبادة قتلته الجن بسهم[1]، في حين أن القتل بالسيوف وبالسهام من فعل الناس وليس من فعل الجن. وقد قال البعض إنّ الذي قتله هو المغيرة بن شعبة أحد المقرّبين إلى عمر.

ومن جانب آخر، بايع في السقيفة أبا بكر كلٌّ من عمر وأبو عبيدة بن الجراح وشخص من رهط الأوس من الأنصار وغادر أبو بكر وعمر وأبو عبيدة، السقيفة وتوجهوا نحو المسجد وأخذوا البيعة من سائر المسلمين طوعاً أو كرهاً. وكان من جملة من جيء بهم إلى المسجد كرهاً لمبايعة أبي بكر، علي بن أبي طالب[2].

وعلى كل حال، فقد نقل البخاري في كتابه قول عمر إنَّ علياً والأنصار لم يرضوا باستخلاف أبي بكر وتخلفوا عن بيعته[3]. ونقل ايضاً في كتاب الخمس عن عائشة انها قالت ان فاطمة سيدة نساء

---

1. تاريخ الطبري، في حوادث الأعوام 13- 15.
2. تاريخ الطبري، في حوادث ما بعد رحلة النبي.
3. البخاري في أبواب الحدود، في باب حدّ رجم الحبلى، حسب قول عمر نفسه.

أهل الجنّة قد نازعت أبا بكر لأنّه صادر جميع أموالها (بما في ذلك ارثها من أراضي بني النضير، وفدك التي وهبها لها رسول الله، اضافة إلى مالها من سهم خمس خيبر باعتبارها من ذوي القربى) حيث انه جعلها في ضائقة اقتصادية عسيرة، ولم يدفع لها أياً من حقوقها؛ فهجرته ولم تكلمه وبقيت غاضبة عليه وعلى عمر إلى آخر حياتها، حتى انها أوصت زوجها علياً أن لا يخبر أبا بكر وعمر بوفاتها والصلاة عليها ودفنها. وقد فعل عليّ ما أوصته به[1].

كانت «فاطمة»، تؤمن أن الإمام والخليفة من بعد رسول الله هو علي بن أبي طالب، طبقاً لوصيّة رسول الله في «غدير خم» وأن أبا بكر طاغوت زمانه، والكفر بالطاغوت واجب. فكلّ آل محمد، وطبعاً جميع شيعة علي يؤمنون أن «علياً» هو الخليفة الشرعي لرسول الله.

وهكذا كانت النتيجة ان وقع أول فصام وافتراق بين الصحابي المضحي بنفسه من أجل رسولالله ألا وهو علي بن

---

1. البخاري في أبواب بدء الخلق في باب غزوة خيبر - عن عائشة - ان فاطمة بنت النبي (ص) ارسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله (ص) مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر - (الى أن قالت): فأبى أبو بكر ان يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فوجدت على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتّى توفيت. وعاشت بعد النبي (ص) ستة اشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر.

أبي طالب من جهة، وبين أبي بكر وعمر من جهة اخرى، وكان هذا اخطر انشقاق وقع في الأمّة الإسلامية. وكان ما قام به أبو بكر وعمر لاحقاً من تنصيب بني أميّة ولاة على الشام، وتسليم الخلافة في المدينة من بعدهما إلى عثمان، أدى إلى مزيد من الانشقاق والفرقة، وإلى بروز المزيد من احتجاجات من لقوا الظلم على يد بني أميّة. ولهذا فمن بعد مجيء بني أميّة إلى السلطة، انقسم >الصحابة من أتباع أبي بكر وعمر< إلى طائفتين، طائفة مؤيدة لبني أميّة، وطائفة معارضة لبني أميّة، حيث تمكن المعارضون لبني أميّة ان يتعاونوا لاحقاً مع بني العباس ويسقطوا حكومة بني أميّة، ويؤسسوا حكم سلالة بني العبّاس.

وأما على صعيد «العقائد» فقد انقسم «أتباع أبي بكر وعمر»، في القرنين الثاني والثالث الى فرقتي «الأشاعرة» و«المعتزلة». وفي مجال الفقه أيضاً انقسموا في القرنين الثاني والثالث الى «الفرق الأربعة» الحنبلي، والحنفي، والمالكي، والشافعي وما شابه ذلك.

وفي ما يخص الحكم، انقسمت البلاد الإسلامية من بعد سقوط بني العبّاس، بين حكومات مختلفة ومتعددة لأتباع أبي بكر وعمر.

لقد كان هذا هو سبب أول انشقاق أدى إلى تفرقة الأمّة الإسلامية

الواحدة، إلى شقّين هما: «أتباع أبي بكر وعمر وهم الذين يسمّون بأهل السُنّة» و«أتباع علي وهم الذين يسمّون بشيعة علي» وكذلك تقسيم أهل السُنّة إلى معارضين لبني أُميّة ومؤيّدين لبني أُميّة.

ثمّ أن «أهل السُنّة بالمعنى الإصطلاحي»، وقعوا في تناقض واضطراب فاضح حتّى في نقل «السُنّة النبوية». ومن ذلك على سبيل المثال التعارض المشهود بين هذه الأحاديث:

1. حديث الثقلين «كتاب الله وعترتي» الذي يؤلّف مجموعة مبادئ لاتّباع «القرآن والأئمة من العترة» يوجب حفظ الأُمّة من الضلال يوم القيامة، الذي نقله الترمذي والنسائي وغيرهما بسند صحيح، وهو موضع قبول واجماع محدثي كلّ الفرق الإسلامية.

2. و«الحديث الموضوع الذي يقول بكفاية التمسّك بـ «القرآن» فقط للنجاة من الضلال الى يوم القيامة» حيث ثبت عملياً كذب هذا الحديث على مرّ التاريخ؛ وذلك لأنّ الأُمّة كلها ترى نفسها متمسّكة بالقرآن وتؤمن به وتستدل به، وحتى خوارج النهروان وحتى الوهابيين التكفيريين يدّعون التمسّك بالقرآن، ولكنهم في الوقت ذاته متفرّقون، وهوما يعني بالنتيجة انهم كلّهم أو معظمهم على ضلال. هؤلاء متعارضون ومتناقضون مع بعضهم حتى في تفسيرهم للقرآن. هذا الحديث نقله

أبو داود وابن ماجة ويزعم هذا الحديث ان التمسك بالقرآن وحده يحفظ الأُمّة من الضلال.

3. وهناك أيضاً حديث ثالث من غير سند نقله مالك في موطئه إلى جانب الحديث السابق وهو ان (القرآن كاف وحده لنجاة الأُمّة من الضلال إلى يوم القيامة)، ويقول فيه ان رسول الله قال: من بعدي حين لا اكون بينكم (حتى ارد من ينسبون إليَّ ما ينسبون من الأحاديث المكذوبة) وعليكم بالتمسّك بالقرآن والسُنّة فهما كافيان لهداية كل الأُمّة إلى يوم القيامة. أي ان معرفة الأحاديث الصحيحة من الأحاديث الكاذبة لا تحتاج إلى الرجوع إلى الأئمة من عترة النبي، من أجل التمييز بين الأحاديث المعبّرة عن السُنّة الواقعية، والأحاديث المدسوسة والزائفة. في حين ان الأُمّة الإسلامية كلها سواء كانوا من أهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي - الذين يُقسمون إلى عدّة فرق ومذاهب - أم شيعة علي الذين يعتبرون أنفسهم أتباع السُنّة الواقعية لرسول الله، عن طريق علي بن أبي طالب والأئمة من العترة الذين يمثلون جميع هذه الفرق الثلاثة والسبعين، يعتبرون أنفسهم أتباع القرآن والسُنّة، بينما هذه الفرق كلها متناقضة ومتضاربة في ما بينها، والأحاديث المنسوبة إلى رسول الله التي وردت عن طريق هذه المذاهب، متناقضة ومتعارضة في ما بينها، ومن

غير الممكن ان تكون جميعها صادقة ومعبّرة عن السُنّة الواقعية<. ومن اليقين ان ما نقلته فرقة واحدة فقط من هذه الثلاث والسبعين فرقة كلّه حق وعلى الصراط المستقيم، بشهادة رسول الله[1].

ومن البديهي ان أحاديث السُنّة المتعارضة والمتناقضة في ما بينها والمختلف فيها من بعد رسول الله، هي بحد ذاتها تؤدّي إلى ايجاد التفرقة والانشقاق، ولا يمكن لمثل هذه السُنّة >المختلف فيها< ان تكون منقذة للأُمّة من الضلال والفرقة.

ان >أهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي< المتورّطون في نقل هذه الأحاديث المتعارضة والمتناقضة قد انقسموا بسببها إلى فرق متضادّة ومتعارضة، وعلماؤهم أكثر ما ينقلون على المنابر حديث >كتاب الله وسنّتي< باعتباره كافياً للنجاة من الضلال إلى يوم القيامة، وهذا بشهادة التاريخ >كذب<؛ فهم لم ولن يستطيعوا انتشال أتباعهم من التخبّط والحيرة في ما بين هذه الأحاديث المتناقضة والاستنباطات المتعارضة والتشرذم بين مذاهب متضادّة.

وخلاصة الكلام هي أن هذه الأحاديث

---

1. ابن ماجة في باب افتراق الامة: ستفترق امتي من بعدي ثلاث وسبعين فرقة، واحدة ناجية وإثنان وسبعون في النار.

التي تُنسب الى رسول الله، حول «النجاة من الضلال الى يوم القيامة» يمكن أن تُشاهد بيينهما الأحاديث الثلاثة المتعارضة التالية:

1. أحدها الحديث القائل إن «التمسك بالقرآن وحده كافٍ للنجاة من الضلال الى يوم القيامة» الذي ورد في سنن أبي داود وابن ماجة، اللذين كانا يميلان الى بني أُميّة، وقد أثبت «التاريخ»، كذبه، إذ أن جميع الثلاث وسبعين فرقة، ترى ذاتها «متمسكة بالقرآن»، بينما كلّها على ضلال إلا واحدة منها.

2. الآخر هو الحديث الذي نقله مالك في موطئه بلا سند، ومضمونه ان التمسّك بالقرآن والسُنّة يكفي للنجاة من الضلال إلى يوم القيامة (بدون الحاجة إلى الأئمة من العترة وتلقّي الأحاديث الصحيحة والسُنّة الواقعية منهم)، حيث اثبت التاريخ كذب هذا الحديث أيضاً؛ وذلك لأنّ كل هذه الفرق التي يبلغ عددها ثلاث وسبعون فرقة ترى نفسها متمسكة بالقرآن والسُنّة، والحال هو انها جميعها على ضلال ومصيرها إلى النار باستثناء واحدة منها وذلك بشهادة رسول الله.

3. الحديث الثالث الذي ورد حول >النجاة من الضلال الى يوم القيامة» هو حديث الثقلين «كتاب الله وعترتي» الذي نقله الترمذي والنسائي وغيرهما من «أهل السُنّة» و«الشيعة» بشكل

متواتر عن رسول الله، بينما يتلقى أتباع العترة >السُنّة النبوية الواقعية< عن طريق علي وعترة رسول الله، وقد ثبت عملياً صدق هذا الحديث على امتداد التاريخ؛ ذلك أن علياً والحسنين يمثلان مصداقاً لحديث الثقلين: كتاب الله وعترتي، وفضلاً عن ذلك فهم مشمولون بآية التطهير وبوجوب مودّة ذوي القربى، وليس ثمة ادنى شك في صدقهم وايمانهم، وكانوا على الدوام أهل تقوى وعدالة وحتى عصمة، وسلسلة السند التي ينقل آل محمد الأحاديث بواسطتها عن طريق محمد بن عليّ بن الحسين الباقر وعلي بن الحسين زين العابدين عن الإمام الحسن والإمام الحسين عن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء سيّدة نساء أهل الجنة أهل الجنّة، هو افضل سند ولا مجال للشك في صدقهم. ولهذا فان >الإمام الصادق< الذي نقل أحاديث جدّه رسول الله عن هذا الطريق سُمّي >بالإمام الصادق< في مقابل >الأئمة من غير العترة<. وهذا على الضد من رؤساء المذاهب الاخرى الذين يوجد بين رواتهم منافقون قليلاً أو كثيراً؛ وكانوا بطبيعة الحال >منافقون مجهولون< اشار إليهم الله تعالى في الآيتين مائة وواحد من سورة التوبة منبّهاً النبي إلى وجودهم دون أن يكشف له عنهم {**وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ**

مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ}. فان كان النبي الخاتم لا يعلم المنافقين من أصحابه، فمن الاولى ان بقية الأُمّة لا تعلم من هم المنافقون. وبالنتيجة فان اولئك المنافقين المجهولين عند رسول الله نقلوا أحاديث موضوعة من جاء من بعدهم ضلّ أن هذه هي السُنّة الحقيقية؛ لأنّهم يظنون أن ناقليها مؤمنين حقيقيين، في حين ان قسماً من اولئك الناقلين والرواة كانوا في حقيقتهم منافقين، وكانت أحاديثهم باطلة وبدعة وضلالة.

والخلاصة هي:
انا ينبغي أن نبتدأ البحث بالتعويل فقط على <الأحاديث المتواترة التي تُجمع عليها الأُمّة كلّها> من أهل السُنّة والشيعة، ونعتمد فقط على الأحاديث التي نقلها <الصحابة الذين شهد لهم رسول الله بالعدالة في الأحاديث المتواترة التي تتفق عليها الأُمّة كلّها>، لكي لا تلتبس علينا الأحاديث الموضوعة التي جاء <المنافقون المتضاهرون بالعدالة> الذين قال القرآن عنهم في الآية المائة من سورة التوبة ان رسول الله نفسه لا يعلم نفاقهم. {**وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ**}، وهذا يعني ان القائلين بعدالة جميع الصحابة بلا استثناء ولا يأخذون بنظر الاعتبار الآيات التي نزلت بشأن المنافقين من الصحابة، ولا يبالون للآيات التي جاءت في سورة الحجرات معلنة فسق بعض الصحابة مثل الوليد بن عقبة اخ عثمان الأموي، وكذلك الصحابة الذين اقيم عليهم الحد الشرعي على يد رسول الله أو من بعد رسول الله، بسبب ارتكابهم كبائر[1]

---

1. راجع: كتب البخاري ومسلم وسائر كتب الحديث في أبواب الحدود أو في ذيل تفسير آيات الحدود، التي نقلت بشكل متواتر أن عدداً كبيراً من الصحابة ارتكبوا كبائر، وأُقيم عليهم الحدّ من قِبل رسول الله.

مثل الزنى بالمحصنة أو السرقة أو شرب الخمر أو غير ذلك، ويصرّون على عدالة جميع الصحابة بلا استثناء[1]، فمعنى ذلك انهم بكلامهم هذا يكذّبون الله الذي انزل آيات كثيرة بشأن المنافقين من الصحابة، وخاصة سورة المنافقين التي شهد الله تبارك وتعالى في أولها ان المنافقين كاذبون {**وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**}. عندما يشهد الله على وجود >صحابة منافقين< لا يعلمهم حتى رسول الله، وقد أشار إليهم تبارك وتعالى في سورة التوبة، وسورة الاحزاب، وسورة محمد، مبيّناً انهم مجاورين لرسول الله، وحتّى أنه عزّ وجلّ هددهم في سورة الاحزاب انهم ان لم ينتهوا عن بث الاشاعة التي اختلقوها في غزوة الاحزاب، فانه سيكشفهم للرسول ولن يستطيعوا بعد ذلك مجاورته ومعاشرته. وبعد ان وصل ذلك التهديد الالهي إلى أسماع اولئك المنافقين الذين أشاعوا تلك الإشاعة في غزوة الاحزاب، كفوا عنها وسكتوا، فكانت النتيجة ان الله عزّ اسمه، لم يكشفهم ولم يفضحهم. وعلى كل حال، إذا كان هناك صحابة منافقون إلى جوار رسول الله وهو لا يعلمهم، كيف

---

1. القول إن جميع الصحابة عادلون بلا استثناء، قول وُضع في زمان «بني اميّة». كتاب نظريّة عدالة الصحابة، تأليف المحامي أحمد حسين يعقوب، ص 39، طبعة مؤسسة الفجر، لندن.

يمكن الوثوق بقول كل صحابي.

في سورة الأحزاب هدد الله المنافقين إنكم إن لم تكفّوا عن هذه الفتنة التي اثرتموها في غزوة الأحزاب ستفضحون على رؤوس الأشهاد ولا يبقى لكم بعدئذ مجال لمجاورة رسول الله {حتّى لا يجاورونك إلا قليلاً}.

عندما يكيل بعض[1] الصحابة البدريون تهمة زنا المحصنة الى زوجة رسول الله ام المؤمنين، ومن جانب آخر يقول الله تبارك وتعالى في الآية الحادية عشر من سورة النور: {لكل منهم ما اكتسب من الاثم وللذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم}، فكيف يمكننا القول إنهم لا يكذبون بعد رسول الله ؟ ولا يضعون أحاديث تخدم منفعتهم أو تخدم منافع سلاطين زمانهم؟ ومن هنا يمكن القول إن اولئك الذين يقولون بعدالة جميع الصحابة بلا استثناء >وحتى اولئك المنافقين الذين لا يعلمهم النبي<، وحتى >مرتكبي الكبائر من الصحابة< ونزلت بشأنهم آيات الحدود في القرآن الكريم، وحتى اولئك الذين كانوا يفرّون في الغزوات أثناء احتدام المعارك، يريدون من وراء هذا القول اقرار صحّة الأحاديث التي وضعها اولئك

---

1. ذكرت عائشة إن من وجّهوا تهمة زنا المحصنة لإحدى زوجات رسول الله ، كانوا من أصحاب بدر. البخاري، ج5، ص 21، كتاب المغازي، باب غزوة بدر.

>المنافقون مرتكبوا الكبائر< لصالح أنفسهم أو لخدمة سلاطين زمانهم، لكي تبقى هذه الأحاديث محفوظة على مدى التاريخ، ولكي لا يتنبّه أتباعهم الغافلون، ولا يستيقضون من نوم الغفلة، ولكي تبقى اسماؤهم مخلّدة في هذه الدنيا بصفتهم رواة لحديث رسول الله وتبقى لهم الوجاهة باعتبارهم من علماء الإسلام، ويستمرّون بالتمتّع بملذّات الدنيا. ومن أجل ان لا تستفيق الجموع الضالّة كما هو الحال بالنسبة إلى أتباعهم، ويستمرّون على تبعيّتهم لهم، حتى وإن أدّى عدم وعي أتباع هذه الإثنين و سبعين فرقة الهالكة، إلى تقاتلهم وتناحرهم في ما بينهم، أو إلى استهداف الفرقة الناجية ومحاولة القضاء عليها. هذا العمل كان يقوم به معاوية وسائر حكام بني أميّة من أجل اضلال أتباعهم لكي يتسنّى لهم التسلّط عليهم ويعيشوا حياة رفاهية واستمتاع بملذات الدنيا، فان ما كانوا يقومون به من ظلم وجنايات ومخالفات للشريعة لم تكن خافية على المساندين لهم والداعمين لسلطانهم من أمثال البخاري الذي اعترف في كتابه بما كان يقوم به معاوية من ظلم ومخالفات للشريعة. (فقد نقل البخاري في كتابه الجامع، في كتاب الامارة إنَّ الناس كانوا يقولون لعمر

وبن العاص ان ابن عمك يأكل المال الحرام ويسفك الدم الحرام[1] وما إلى ذلك).

وفضلاً عن ذلك، لم يكن ايمان عليّ وعدالته خافيين على معاوية فقد كان يرى على الدوام - في جيش أبيه؛ أبو سفيان في حربه ضد رسول الله - مدى اخلاص علي بن أبي طالب وتفانيه، وقد رأى بام عينه مقتل عمّه وخاله وجدّه على يد بني هاشم وعلي بن أبي طالب. وكان ذلك سبباً لبغضه له وحقده الدفين عليه، وهذا ما دفعه إلى لعن علي الذي كان أوّل القوم إسلاماً وأوّل الصحابة المؤمنين وأقربهم إلى رسول الله، وولي المؤمنين. بل والأنكى من ذلك انه سنّ بدعة سبّ علي ولعنه على المنابر وفي جميع المساجد الخاضعة لسلطته واعتبر ذلك من الفرائض والعبادات، مع علمه بقول رسول الله: بغض علي علامة النفاق وحبّ علي، علامة الإيمان؛ لا يحبه[2] إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق.

---

1. مسلم في كتاب الإمارة: إنّ معاوية كان يأمر الناس بأكل المال الحرام وسفك الدم الحرام.
2. السيوطي في الدر المنثور في ذيل تفسير قوله تعالى: {قل لا أسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربى} في سورة الشورى. وأخرجه أحمد والترمذي وصححه النسائي والحاكم عن المطلب بن ربيعة. وتفسير الزمخشري في ذيل هذه الآية السابقة. وأخرج الطبراني والخطيب من طريق ابن عباس، ج1، ص 61 ، قال علي: عَهِدَ النبي الأُمّي إليّ أنه لا يحبّني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق.

طبعاً لم يكن معاوية هو الوحيد الذي كان مبغضاً لعلي، بل كل قريش كانوا مبغضين لبني هاشم، وهذا بشهادة العباس عم النبي[1]، ففي اعقاب معركة بدر التي قُتل فيها الكثير من القريشيين (من غير بني هاشم) على يد رجال من بني هاشم، صارت قريش تنظر بعين الغضب والبغض إلى بني هاشم. فكانت قلوبهم تكن الحقد والغضب والكراهية لبني هاشم وعلي بن أبي طالب. وهذا يكشف عن أن وقوف قريش الى جانب أبي بكر وعمر في مناهضتهم لعلي من بعد النبي، كانت له أسبابه ودوافعه الخفية.

فإن كان الأمر كما هو متواتر، وبالنحو الذي تُجمع عليه الأُمّة، وكما نقله مسلم[2] من أن بغض علي علامة النفاق، فلا مناص من الاذعان أن علامة النفاق هذه كانت موجودة في الكثير من الصحابة، وليس فقط في بني أُميّة وأعوانهم وأنصارهم والرواة المقبولين عندهم، بل هذه العلامة المشهورة التي لا سبيل لإنكارها كانت موجودة في الكثير من القريشيين غير

---

1. مسلم في أوّل كتابه، ج1 ص 61، في كتاب «الإيمان»، قال علي: عهد النبي الأُمّي اليّ ان لا يحبّني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق.
2. مسلم، كتاب الإيمان، ج 1، ص 61: قال علي: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة انه لعهد النبي الامي إليّ أنه لا يحبّني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق.

الهاشميين. وكذلك الحال بالنسبة إلى من قُتِل ذويهم المشركين في معارك بدر وأحد وحنين وغيرها، على يد علي بن أبي طالب، كانوا من اولئك الرواة الذين نقل عنهم البخاري وأصحاب السنن وغيرهم ممن كانوا مبغضين لعلي، أو من أمثال سمرة بن جندب (راوي البخاري) الذي كان وفقاً لشهادة مسلم، بائع خمر، فما بالك بخوارج النهروان الذين كان عدد لا يُستهان به منهم، من رواة البخاري. هؤلاء هم الذين نقل البخاري ان رسول الله قال إن الله جسم وله مكان ومحدود ويُرى، وهذا الكلام على الضد تماماً مما يقول به القرآن والعقل، حيث ينص القرآن الكريم على أن الله محيط بكل شيء، ولا تدركه الأبصار؛ وذلك لأنّ الشيء إذا كانت تدركه الأبصار فمعنى ذلك انه محدود ومُحاط. واما القول بأن الله محدود فهو من عقيدة المشركين. كما نلاحظ ان البخاري ومسلم يحثّان حتى على طاعة السلطان الجائر، وينسبون وجوب هذه الطاعة إلى رسول الله في حين ان رسول الله لا ينطق بما يتعارض مع حكم الله في القرآن. ومن المعروف ان الله تبارك وتعالى يقول في قرآنه الكريم لنبيّه ابراهيم في سورة البقرة {**لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**}. والواقع هو ان أهل السُنّة بالمعنى الإصطلاحي وجماعة المسلمين غالباً ما يعتقدون بالجبر وهو ان الله تعالى يجبر

الظالمين والمذنبين وعلى ارتكاب المظالم والمعاصي في الدنيا ويعاقبهم على هذه الأفعال في الآخرة ويعذّبهم في نار جهنم. وهذا المعتقد لا ينسجم مطلقاً مع منطق القرآن الذي يصف الله بصفتي الرحمن الرحيم ويؤكد ان الله لا يظلم أحداً من عباده.

هؤلاء يعتقدون بعدم عدالة الله ويقولون، وحتى إن كان الله قد وعد عباده بالعدل الا انه يوم القيامة يستطيع تعذيب الأنبياء العظام في نار جهنم ويدخل جميع أهل المعاصي والظالمين إلى الجنّة؛ ذلك لأنّ الله غير عادل وغير ملتزم بمبادئ العدالة. وهؤلاء عندما يطلقون مثل هذه الاقاويل على خلاف صريح نص القرآن، وعلى الضد مما جاء في الأحاديث المتواترة التي تُجْمع عليها الأُمّة حول صدور كبائر من بعض الصحابة ومن المنافقين والفاسقين من الصحابة، وما إلى ذلك، ورغم كل ذلك يقولون بعدالة جميع الصحابة بلا استثناء، ويعتبرون جميع الأحاديث التي رواها الصحابة وحتى المنافقين والمجهولين منهم وحتى مرتكبي الذنوب الكبيرة، أحاديث صحيحة وصادقة وحجّة وينبغي العمل بما جاء فيها، وبالنتيجة فان وجود هذه الأحاديث المتعارضة والمتناقضة التي ينسبها هؤلاء الصحابة إلى رسول الله أدّت إلى ايجاد الحيرة والارتباك، فالتصريح بهذه الاعتقادات والأحكام

جعلهم مناهضين لصريح القرآن وانتهى بهم إلى الانقسام إلى فرق الأشاعرة والمعتزلة والمجسّمة الذين يقولون إنّ الله جسم والجسم يحتاج إلى المكان، وتفرّقوا على اثر هذه الاقاويل إلى حنابلة، وحنفية، ومالكية، وشافعية، حيث ظهرت هذه الفرق في القرنين الثاني والثالث، وتطرح كل واحدة منها معتقدات وأحكام تتناقض تماماً مع بعضها الآخر، وتتعارض كلياً مع صريح القرآن ومع ما جاء في الأحاديث التي تتفق عليها كلّ الأُمّة، في حين ان > شيعة علي< يكتفون بنقل الأحاديث التي جاءت عن طريق علي بن أبي طالب، وسلمان، وأبي ذر، والمقداد، وجابر بن عبد الله الأنصاري وسائر العدول من الصحابة الذين ثبتت عدالتهم بالتواتر وبشهادة رسول الله على عدالتهم، وبهذا فقد تحصّن هؤلاء الشيعة في الوقوع في معتقدات باطلة مثل القول بجسمانية الله ورؤية الله، وعقيدة الجبر، ووجوب اتّباع السلطان الجائر، وما إلى ذلك.

نظراً الى أن الله يقول في القرآن الكريم {ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا} فقد أخذنا على أنفسنا أن لا نعتمد منذ بداية بحثنا هذا إلا على «محكمات القرآن» و«الأحاديث المتواترة التي تُجْمع عليها كلّ الأُمّة. وعلى هذا الأساس، فنحن ننطلق من

اعتماد اليقين والمتواترات، لأجل بحث الأدلّة على مشروعيّة «أوائل خلفاء المسلمين».

الباب الأوّل:

الأدلّة على مشروعيّة «أوّل الخلفاء»

1. الإجماع:

الدليل الأوّل الذي ساقوه على إثبات مشروعيّة حكومة أبي بكر (أول خلفاء أهل السُنّة)، هو اجماع الصحابة، ومفاده أن جميع الصحابة، بدون استثناء قد بايعوا أبا بكر، ورضوا بخلافته وزعامته.

نقل «البخاري»: ما قاله عمر حول مخالفة «علي ومن كان معه» لمبايعة «أبي بكر» وكذلك مخالفة الأنصار لبيعة أبي بكر، خصوصاً «سعد بن عبادة ورهطه» من الخزرج.

عن كتاب «البخاري» في أبواب الحدود، في باب حدّ الحبلى، وفي كتب التاريخ ومنها تاريخ الطبري، في نقل وقائع السُنّة الحادية عشر للهجرة، في ذكر قصّة السقيفة ونزاع الأنصار والمهاجرين:

(حسب نصّ البخاري:) -

عمر: . . . فلا يغترن أمرء أن يقول إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمّت إلا انه قد كانت كذلك . . .

إنه قد كان من خبرنا حين توفي نبيه (ص): «ان الأنصار خالفونا» واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة و«خالف عنا، علي والزبير ومن معهما».

يعني خالفوا بيعة أبي بكر.

قال أبو بكر في السقيفة للأنصار:

إنا والله يا معشر الأنصار ما نذكر فضلكم ولا بلاءكم في الإسلام ولا حقكم الواجب علينا، اما «المهاجرون الأولون» فهم قومه وقد سبقوكم الى الإيمان، وهم عشيرة رسول الله وأولى منكم بالحكم، ومن يتقدم عليهم فهو ظالم.

(استمرار نص البخاري:) عمر: فتكلم

أبو بكر فقال:
ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل،
1. ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش
2. هم (قريش) أَوْسَطُ العرب نسباً وداراً
و قد رضيتُ لكم أحدَ هذين «الرجلين» فبايعوا أيهما شئتم فأَخَذَ بيدي وبيد أبي عبيدة الجراح وهو جالسٌ بيننا...
فقال قائلُ الأنصار:... منّا أمير ومنكم أمير يا مَعْشَرَ قُريش، فكثر اللغط وارتفعت الاصواتُ حتّى فرقت من الاختلاف
فقلتُ ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعتُه وبايعه المهاجرون.

« تاريخ الطبري»: (جاء في تاريخ الطبري في حوادث السُنّة الحادية عشرة حول ما وقع بين المهاجرين والأنصار أبو بكر: (من كلام أبي بكر في السقيفة:)

المهاجرون الأولون من قومه . . . أول من عبد الله في هذه الأرض وآمن بالله وبالرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده، لا ينازعهم إلا ظالم (الكامل في التاريخ، ج2، ص329).

وقال عمر: والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبينا من غيركم.

(تاريخ الطبري، ج2، ص 457).

(استمرار كلام) الحباب بن المنذر (من الأنصار) حيث قام وقال: يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه. . .

قال عمر: إذا ليقتلك الله.

فقال الحباب: بل إياك يقتل.

(تاريخ الطبري، ج2، ص 457)

وحمل الخزرج (وهم عشيرة سعد بن عبادة) سعداً فأدخلوه في داره، وتُرك أياماً، ثم بعث إليه أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك. . .

فقال: أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبل وأخضب سنان رمحي وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي فلا

أفعل. وأيم الله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الانس ما بايعتكم حتى أعرض على ربّي وأعلم ما حسابي.

الهجوم على دار علي وفاطمة:

1. جاء في تاريخ الطبري، ج2، ص 443:

- قال زياد بن كليب: أتى عمر بن الخطاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة.

2. العقد الفريد، ابن عبد ربه (المتوفى 328)، ج2، ص 250 وج 3، ص 64.

3. كتاب أنساب الأشراف للبلاذري (المتوفّى 279)، ج1، ص 586.

4. كتاب الملل والنحل، للشهرستاني، فصل النظام.

5. تاريخ اليعقوبي، ج2، ص 105 طبعة بيروت.

6. المسعودي المتوفّى عام 346 في كتاب اثبات الوصية، ص 142، في قصة السقيفة.

7. تاريخ أبو الفداء، ج1، ص 156.

8. أعلام النساء، ج3، ص 205.

9. كنز العمال، تأليف المتّقي الهندي، ج5، ص 651.

10. نهاية الإرَب في فنون الادب، تأليف النويري، ج19، ص 40.

11. الوافي بالوفيات، تأليف الصفدي، ج17، ص 311.

12. الاستيعاب، تأليف ابن عبد البر، ج3، ص 975.

13. الأموال، تأليف أبي عبيد، ص

.31
14. مروج الذهب، تأليف المسعودي، ج1، ص 414.
15. عبد الفتاح عبد المقصود، من علماء أهل السُنّة المعاصرين، في كتابه >الإمام علي بن أبي طالب< طبعة بيروت، ج1، ص 190.
16. محمد حافظ ابراهيم، من كبار الشعراء المعاصرين عند أهل السُنّة المتوفّى 1351 هـ. . في ديوانه طبعة بيروت، ج1، ص 82:

وقَولةٍ لعَليٍّ أكرِم بسامِعِها
قالَها عُمَرُ أعظِمْ بمُلقيها
حرقتُ دارَك لا إن لم تُبايع
أبقِى عليك بها وبنتُ المصطفى
فيها.

17. ابن قتيبة المتوفّى 276، في كتاب الإمامة والسياسة،[1] ج1، ص 12 - 13، تحت عنوان «كيف كانت بيعة علي بن أبي طالب»:
إن أبا بكر تفقّد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي، فبعث اليهم «عمر» فجاء فناداهم وهم في دار علي فأبوا ان يخرجوا. فدعا بالحطب وقال: «والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنّها علي من فيها». فقيل له: يا

1. كتب محمد فريد وجدي في كتاب دائرة معارف القرن العشرين، في المجلد الثالث ص 750، ما يلي: كتاب الإمامة والسياسة، تأليف ابن قتيبة، من أقدم وأوثق الكتب في مسائل الخلافة الإسلامية.

أبا حفص ان فيها فاطمة «قال: وإن».
18. و هذا الحديث نقله ابن أبي شيبة (المتوفى 235)، في كتابه >المصنف< ج7، ص 432.
وخلاصة ما جاء في النقل والأخبار هي أن عمر جاء الى باب دار فاطمة وطلب ناراً وقال: والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة. فقيل له إن فيها فاطمة! قال: وإن. ونقلت بعض المصادر المذكورة آنفاً أنهم أحرقوا الدار ودخلوها بالقوة.

اسقاط جنين فاطمة وشهادتها:

19. كتاب البدء والتاريخ:
وَلدّت فاطمةُ محسناً وهو الذي اسقط من ضربة عمر.
20. كتاب الفصول المهمة، لابن صباغ، انه كان في أولاد علي بن أبي طالب محسناً وانه كان سقطاً.
قسم من أهل السُنّة يقرّون أن عمر جاء الى باب دار فاطمة وطلب ناراً وهدد من فيها وخوّفهم بإحراقها إن لم يخرجوا منها، إلا أنه في الواقع لم يفعل ذلك ولم يحرق الدار. ولكن هذا الكلام غير صحيح أيضاً؛ وذلك لأنّه جاء في التاريخ بسند صحيح أن أبا بكر أعلن لاحقاً عن ندمه على اقتحام دار فاطمة. (وهذا يعني أنهم دخلوا الدار).
فقد قال أبو بكر: «وددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة». وكشف البيت يعني

دخوله. والندم على كشف البيت يدلّ على أن الداخلين دخلوه بغير إذن صاحب الدار. أي أنهم دخلوه عنوة. ونظراً الى أن باب الدار كان مغلقاً ولم تفتحه لهم فاطمة، فمن المؤكد أن الدخول الى دار ذات باب خشبي قديم وسميك لا يمكن إلا بإحراقه. ولابد أن يترافق دخوله بالقوة مع إحراقه ومن بعد إحراقه كسروه. ومن المؤكد أن هذا الخبر صحيح، وهو أن الباب قد أُحرق وكُسر. وفيما إذا كانت فاطمة خلف الباب (ولابد أنها كانت خلف الباب) فالنتيجة هي لابد وانها أُصيبت. إذ أن الروايات الواردة عن طريق أولاد فاطمة وهم الأئمة من العترة، تبيّن أن شهادة فاطمة كانت نتيجة لهذه الإصابة وأن جنين فاطمة قد سقط أيضاً على اثر هذه الإصابة أو بسبب رفسة عمر على بطنها.[1]

تاريخ ابن جرير الطبري، ج2، ص 619، عن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عبد الرحمن بن عوف انه دخل على أبي بكر، في مرضه الذي توفي فيه فأصابه مهتماً (إلى ان قال) قال أبو بكر: إنّي لا آسي على شيء من الدنيا إلا على ثلاثٍ فعلتهنّ وددت اني تركتهن (إلى أن قال) فوددت انّي لم اكشف بيتَ فاطمة.

- الذهبي في ميزان الاعتدال،

---

1. اصول الكافي، وغيره من المصادر الاخرى.

المجلد الثاني، ص 215، ذكر عن العقيلي حديثاً مسنداً قد اعترف هو بصحته عن عبد الرحمن بن عوف قال: دخلت على أبي بكر اعوده فاستوى جالساً فقلت: اصبحتَ بحمد الله بارئاً (إلى ان قال) ما ارى بك بأساً والحمد لله (إلى ان قال) فقال أبو بكر: إنّي لا آسي على شيء إلا على ثلاث وددت اني لم افعلهن. . . وددت اني لم اكشف بيت فاطمة.

- وهذا ما نقله أيضاً ابن قتيبة في >الإمامة والسياسة< تحت عنوان: مرض أبي بكر.

وجاء في كتاب «اصول الكافي» الذي يُعدّ من أكثر كتب الشيعة اعتباراً، وهو من تأليف محمد بن يعقوب الكليني (المتوفّى عام 328)، في كتاب الحجة، باب مولد الزهراء فاطمة، شهد موسى بن جعفر (في القرن الأوّل للهجرة) على شهادة فاطمة:

عن موسى بن جعفر قال: «إن فاطمة صديقة شهيدة» وإن بنات الأنبياء لا يطمثن.

- أحمد بن ادريس عن محمد بن عبد الجبار الشيباني عن القاسم بن محمد الرازي عن علي بن محمد الهرمزاني عن أبي عبد الله الحسين بن علي، قال: لما قبضت فاطمة، دفنها «أمير المؤمنين» سرّاً وعفا على موضع قبرها، ثمّ قال: فَحوَّلَ وَجْهَهُ إلى قبر رسول الله فقال:

السلام عليك يا رسول الله

عنّي السلام عليك وعن ابنتك...
أما حزني فسرمد واما ليلي فمسّهد...
و «ستنبئك ابنتك بتضافر أُمّتك على هضمها» فاحفها السؤال واستخبرها الحال...
واغتصب حقها

- جاء في كتب الزيارات المنقولة عن الأئمة من العترة، ما يلي:
ايتها المضطهدة المقهورة...
- المظلومة المقهورة المغصُوبة حقها، الممنوعة ارثها، المكسورة ضلعها، المظلوم بعلها المقتول ولدها فاطمة بنت رسولك.

- شكوى علي من الأُمّة بعد دفن فاطمة، متوجهاً بالخطاب الى رسول الله:
... وستنبئك ابنتك بتضافر أُمّتك على هضمها فاحفها السؤال واستخبرها الحال. هذا ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر[1]

---

1. الحديث عن كتاب «تذكرة الخواص» تأليف سبط بن الجوزي، ص 318.
وعن كشف الغمّة، للاربلي، ج2، ص 147.
وعن دلائل الإمامة، للطبري، ص 47.
وعن كتاب الأمالي، للطوسي، ج1، ص 108.
و عن كتاب المجالس، للشيخ المفيد، ص 165.
وعن كتاب اصول الكافي، للكليني (المتوفّى 328)، ج1، ص 485.

غضب فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة على أبي بكر:

- بداية غضب فاطمة الى آخر عمرها على أبي بكر وعمر، نقله «البخاري» ايضاً:

روى البخاري في كتاب بدء الخلق، في باب غزوة خيبر، بسنده عن عروة عن عائشة ان فاطمة÷ بنت النبي (ص) أرسلت إلى أبي بكر تسأله:

1. ميراثها من رسول الله (ص) مما أفاء الله عليه بالمدينة
2. وفدك
3. وما بقي من خمس خيبر

.... فأبى أبو بكر ان يدفع إلى فاطمة منها شيئاً (يعني انه لم يدفع لها حتى سهمها من خمس خيبر من سهم ذوي القربى). فوجدتْ فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفيت.

وعاشت بعد النبي ستة اشهر فلما توفيت، دفنها زوجها علي، ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها علي.

ورواه البخاري ايضاً في باب الخمس،

و«مسلم» في كتاب الجهاد والسير، في باب: لا نورث.

وقد نقل البخاري ومسلم وآخرون بشكل متواتر أن فاطمة بقيت إلى آخر

عمرها غاضبة على أبي بكر وعمر. فقد منع أبو بكر فاطمة من جميع أموالها وإرثها من أراضي بني النضير وفدك وسهمها من خمس خيبر ولم يعطها أياً منها.

وقد حرمت فاطمة حتى من سهم بيت المال الذي كان يأخذ منه الجميع ومن خمس الغنائم الذي كان يُعطى لذوي قربى رسول الله (طبق حكم القرآن في سورة الانفال).

ورد في سنن أبي داود، الجزء 8، باب الخمس، «أبو بكر لم يكن يعطى قربى رسول الله ما كان يعطيهم إياه النبي»، وهذا ما نقله أيضاً كتاب <تاريخ المدينة، لابن شبّة< في باب فضل بني هاشم. بل إن غضب فاطمة على أبي بكر وعمر إلى آخر عمرها يمكن أن يكون دليلاً كافياً على عدم مشروعية حكم أبي بكر وعمر، وبالطبع يأخذ حديث رسول الله: **<أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة<** بعين الاعتبار ونظراً إلى أن فاطمة التي هي سيدة نساء أهل الجنّة بقيت إلى آخر عمرها غاضبة على أبي بكر وعمر: **لأنّهما لو كانا يمثّلان بالنسبة الى فاطمة إمامي حق، لما كان من المعقول أن تغضب سيدة نساء أهل الجنّة عليهما إلى آخر حياتها÷، وفي الوقت ذاته يسميها سبحانه وتعالى سيدة نساء أهل الجنّة وقد قال رسول الله: <من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية<**؛ أي أنه

يكون من أهل النار وبالتالي يتضح أن فاطمة كانت تعتبر >علي بن أبي طالب<، حسب وصية رسول الله ، إمامها، وهي كانت مطيعة لعلي حتى آخر حياتها؛ وكانت تعتبر >أبي بكر وعمر< طاغوتين وغاصبين لحقها وحق زوجها وبقيت غاضبة عليهما إلى آخر العمر.

جاء في صحيح مسلم ج 6، ص 22؛ >من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية<. وفي طبقات ابن سعد ج 5، ص 144، وفي المعجم الاوسط ج 1، ص 69 للطبراني، وكذلك كنز العمال تأليف المتقي، ج 1، ص 103: >من مات ولا بيعة عليه مات ميتة جاهلية<. كما ورد في مسند أحمد، ج 4، ص 96، ومسند أبي داود الطيالسي ص 259، والمعجم الكبير، ج 19، ص 388، وكنز العمال، ج 1، ص 103: >من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية<.

والمثير للدهشة ما كتبه السيد >عبد العزيز النعماني< في مجلته >نداء الإسلام< في الصفحة 68 و96: >إن أول من وضع قصة شهادة السيدة فاطمة الزهراء، هو ابراهيم بن سيّار النظام (160 - 231) رئيس الفرقة النظاُميّة والذي ينقل عنه الشهرستاني في كتابه >الملل والنحل< الذي ألفه في القرن السادس.

الجواب:

1. أصل قضيّة اختلاف علي وفاطمة مع أبي بكر وعمر نقلها حتى البخاري وغيره وهي متواترة وكذلك:

2. أن أصل هجوم عمر على منزل فاطمة وعلي وتهديده بحرقه نقله بشكل متواتر الطبري والبلاذري وغيرهما ولا يمكن إنكاره.

3. وأيضاً؛ دخول بيت فاطمة عنوة نقله أبو بكر عن عبد الرحمن بن عوف بسند صحيح لدى عموم المسلمين.

4. وكذلك >الشيعة؛ في كتاب الكافي (توفي مولّفه سنة 328) وفي كتب الشيخين المفيد والطوسي بسند صحيح عن الإمام الصادق والإمام الباقر عن طريق علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أهل بيت رسول الله عن فاطمة نفسها أنها قالت (إنها سوف تموت شهيدة من ضربة عمر)، كما ونقل ذلك عن طريق سلمان وعلي بن أبي طالب والإمام الحسن والإمام الحسين بسند صحيح، ونقل خبر شهادتها أيضاً كتاب المجالس تأليف الشيخ المفيد، وكتاب الشيخ الطوسي، كما نقلها أيضاً سليم بن قيس الهلالي وهو من كبار التابعين في كتابه في أوائل ذلك القرن نفسه، ومثل إبن قولويه في كتاب كامل الزيارات ونُقلت أيضاً عن طريق سلمان، هذا فضلاً عن ابن قتيبة المتوفى في 276 والبلاذري المتوفى في 279 والمسعودي المتوفى في 346 وغيرهم.

وفي ضوء ما نقل عن أنها اسقطت طفلاً جنيناً بريئاً بسبب ضربة عمر ومن سواه، يُستدلّ من مجموع هذه الأخبار بشكل متواتر أن هناك نزف دماء حصل بفعل أبي بكر وعمر.

5. إلى جانب هذا فإنّ >بقاء مكان قبر سيدة نساء أهل الجنّة مجهولاً< خاصّة أنها بنت رسول الله، علماً أن قبور أبناء رسول الله الآخرين وغلمانه معروفة للجميع، فكيف لا يُعرف قبر سيدة نساء أهل الجنّة فاطمة الزهراء بنت رسول الله؟ كما أن رحيلها عن الدنيا وهي في عنفوان الشباب وتغاضي عامة المسلمين من أتباع أبي بكر عن توضيح >سبب مرض فاطمة<، كل ذلك يجعل من شهادة فاطمة الزهراء أمراً قطعياً لا مجال لإنكاره.

ومما يدعو الى الدهشة هو كيف سمح >السيد عبد العزيز النعماني< لنفسه، من دون ذكر كل هذه الأقوال الموثّقة والصحيحة غالباً وبالأخصّ اعتراف >أبي بكر< نفسه بانتهاك حرمة بيت فاطمة، وكذلك الأحاديث الصحيحة المنقولة عن >أهل بيت رسول الله الأطهار< الذين نزلت فيهم آية التطهير وآية وجوب مودتهم وهم الذين لا يكذبون أبداً، حول استشهاد فاطمة وهي في مطلع شبابها، وبقاء قبر امرأة مثلها مجهولاً - وهي سيدة نساء أهل الجنّة - يمثّل أحد الأدلة على أنها ماتت مقتولة. ومع ذلك يقول السيد النعماني كذباً أن أول من وضع قصّة هذه الشهادة هو

>النظام< وأن كتاب الملل والنحل للشهرستاني المتوفى في 548 هو أول كتاب نقل شهادة فاطمة الزهراء في القرن السادس.

إنّ السيد >عبد العزيز النعماني< أدلى بهذا الكلام دون نقل كامل الروايات حول حرق بيت فاطمة، التي وردت عن عترة رسول الله وأصحابه مثل (سلمان) وباعتراف أبي بكر نفسه نقلاً عن عبد الرحمن بن عوف، وكذلك ما نقله الشيعة بسند صحيح عن أهل بيت رسول الله؛ علي بن أبي طالب والحسن والحسين الذي لا يصدر عنهم الكذب مطلقاً وباقي الأئمة من العترة وعلماء الشيعة الأوائل في القرون الاولى من الهجرة وأول الكتب المعتبرة في تلك الحقبة.

ومع ذلك يقول السيد النعماني: أن النظام المتوفى في 231 هو أول شخص وضع قصة استشهادها، وأن كتاب الملل والنحل تأليف الشهرستاني المتوفى في 548 أول كتاب نقل شهادة فاطمة بعد خمسة قرون من وقوعها.

وكما تقدم، لم يكن >النظام< على الاطلاق أول شخص تحدث عن شهادة فاطمة ولم يكن كتاب >الملل والنحل< أبداً أول كتاب نقل شهادتها، فقد نقل ذلك عن أصحاب رسول الله وأهل بيته الطاهرين من طرق صحيحة ومعتبرة وفي كتب معتبرة أيضاً ألفت في القرون الاولى للهجرة، ثم بماذا يجيب السيد

النعماني عن بقاء قبر فاطمة مجهولاً مع كونها سيدة نساء أهل الجنّة وأهم امرأة في تاريخ الإسلام وتاريخ الأديان؟

وقد كتب السيد عبد العزيز النعماني في العدد الثالث من هذه المجلة <نداء الإسلام>: «ابن أبي الحديد الشيعي»، يذكر شهادة السيدة الزهراء، في حين أن القاصي والداني يعلم أن ابن أبي الحديد ليس شيعياً، ويعتقد أن علياً رابع الخلفاء، وليس اول خليفة لرسول الله؛ و هذا يعني أن السيد النعماني، يكذب في وضح النهار.

وبالطبع لابد من الانتباه إلى أن قتلة فاطمة ومن يدافع عنهم كانوا يهيمنون على التاريخ وعلى كتّابه ويتحكمون بهم لأكثر من ألف سنة. وأنهم جميعاً كانوا يودّون <محو وصمة العار التي تركها الهجوم على بيت سيدة نساء أهل الجنّة وقتلتها من صفحات التاريخ>. ولهذا لا ينبغي أن نتوقع وجود أدلة ومستندات أكثر مما هو موجود الآن. وهذا القدر من الاعترافات كان قد تم في مواطن وظروف خاصة، كما أن ما نقله عبد الرحمن بن عوف جاء بسبب إعلان أبو بكر توبته ومسح ذنب الهجوم على بيت فاطمة، ولكن فاته أن إظهار أبي بكر لندمه، يدلّ بحد ذاته لا شعورياً على أصل الحادثة. وإلاّ فإن الأئمة من أهل

البيت وعترة رسول الله كانوا يذكرون هذه الشهادة على الدوام ويتحدّثون عنها. وبقاء قبر بنت رسول الله مجهولاً مع كونها >سيدة نساء أهل الجنّة< وأفضل من مريم ومن الشخصيات الأبرز من أعلام الإسلام، مع عدم خفاء قبر إبراهيم ابن رسول الله وإمائه وخدّامه على أحد، أسطع دليل على قتلها على يد حكام عصرها >أبو بكر وعمر<.

هذان الحاكمان اللذان استهلا حكمهما بقتل المظلومين وتهديد المعارضين لهما، وحرق منازلهم وتهديدهم بالقتل في حالة الإمتناع عن مبايعتهم، وختماه بتسليط بني أميّة على الشام والمدينة، وهم الذين كان أقل ما يرومونه هو طمس >إسم رسول الله< والقضاء على الإسلام كما ورد ذلك في التاريخ عن معاوية وابنه يزيد. بنو أميّة الذين كان دأبهم نهب أموال المسلمين والأُمّة الإسلامية والاعتداء على أرواح وأعراض الصحابة والمسلمين. فنتجت عن ذلك ثورات شعبية عمت الدولة الإسلامية آنذاك، رافقها قتل وسفك للدماء بشكل مستمر بقي متواصلاً إلى الآن وسيبقى حتى يظهر المهدي من آل محمد ليضع حداً للظلم في العالم بشكل نهائي. هذه هي نتائج حكم أبي بكر وعمر، اللذين أرسَيا اسس حكم بني أميّة؛ فحل بالأُمّة الإسلامية ما لم يكن يجب أن يحل، لولا أفعال وسياسات أبي بكر وعمر وأذنابهما من

بني أُميّة.

وكان من ذلك أيضاً «منع كتابة الأحاديث النبوية» من قبل أبي بكر وعمر وبني أُميّة، بحيث لو أن حكم بني أميّة لم يسقط بثورة بني العباس والمطالبين بالثأر لـ «الحسين بن علي»، لأدّت سياستهم في منع تدوين الحديث النبوي - لو كان تسلطهم قد استمرّ عدة قرون اخرى - الى محو السنة النبوية تماماً.

عدم الإجماع أم نوع من الاجماع؟

إذا كان المقصود من >إجماع المسلمين< على بيعة أبي بكر هو الإجماع الحاصل بالترغيب والترهيب، وإن لم يحصل هذا النوع في الاجماع على خلافة أبي بكر، فإن علياً وشيعته وكذلك سعد بن عبادة وقبيلته لم يبايعوا أبا بكر إلى آخر العمر مطلقاً. هذا النوع من الاجماع يحصل عليه الحكام في هذه الدنيا وعبيد الرئاسة، من أولئك الذي لا يملكون إيماناً حقيقياً بالله والمُستسلمين في مقابل الظالم، لكن الاجماع في ظل التهديد والارعاب ليس دليلاً على أحقّية أحد حتى وإن كان بمباركة ورضى الأكثرية التي كانت تبادر إلى الفرار في غزوات رسول الله >وتتركه وحيداً بين يدي الأعداء<. بيد أن رضا هذه >الأكثرية الفارة دائماً في الغزوات< وضعفاء الايمان ليس لها أية قيمة أو اعتبار ولا يثبت أحقية أحد. وعندما يخالف هذه البيعة >الثابتون في غزوات رسول الله< أمثال >سعد بن عبادة< و>علي بن أبي طالب< والعترة التي أوجب الباري تعالى التمسّك بهم واتّباعهم، ولم يبايعوا أبداً فلا معنى لأي إجماع من دون عترة رسول الله والأنصار وسعد بن عبادة ورسول الله يقول: >لو سلك الناس وادياً أو شعباً

لسلكت مع الأنصار<[1] وقوله في العترة: >إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً<.

1. أوائل كتاب مسلم.

رسول الله: هلاك الأُمّة بيد قريش

وعن أصحابه من قريش يقول: «ستحرصون على الإمارة وتكون ندامة يوم القيامة»[1] وكذلك يقول: يُهلكُ الناسَ هذا الحيُّ من قريش[2] وأما عن عدم قيام علي بن أبي طالب >وهو من الأئمة من العترة ووصي رسول الله< بالسيف على أبي بكر وعمر فذلك يعود إلى اولاً عدم وجود العدد الكافي من الأنصار، وثانياً هو أنه لو قام بهذا العدد القليل وانتصر على معارضيه ولو بعد سفك دماء كثير منهم، فقد يرتد حديثو العهد بالإسلام بسبب ضعف الايمان، وبسبب الحرب الداخلية وسوف يتم إجتثاث الإسلام لو شنّ الأعداء الخارجيون الحرب عليه من الشرق والغرب (كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب نفسه حين سألته فاطمة الزهراء سؤالاً بهذا المضمون: لماذا لا تقاتل هؤلاء ولا ترفع السيف في وجوههم وهم الذين كانوا يفرّون في الغزوات من شدّة الخوف وأنت الذي كنت تقاتل أبطال الكفر بتلك الشجاعة والايمان؟

---

1. البخاري في كتاب الأحكام، ج8، ص 106.
2. البخاري، أبواب المناقب، باب علامات النبوة؛ مسلم في أبواب الفتن، ج8، ص 186، قال (ص): يُهلك أمتي هذا الحي من قريش.

لماذا لم يشهر علي السيف على أبي بكر وعمر؟:

يجيب علي (بهذا المضمون): أريد أن يبقى ذكر أبيك في الاذان؛ أي لكي يبقى دين أبيك ويعني أنه إذا وقعت الحرب الداخلية في هذه الظروف فقد يتم القضاء على أصل الدين ويتم طمس إسم أبيك رسول الله بسبب: ضعف إيمان اغلبية اولئك الذين دخلوا الإسلام حديثاً الذين كانوا يلوذون بالفرار عندما يستشعرون انكساراً في الغزوات، والخشية من ضعف ايمانهم بعد رسول الله، أكثر. والسبب الآخر هو أن هذا العمل يوفّر الأرضية لانقضاض القوتين الكبيرتين في ذلك الوقت ايران في الشرق والروم في الغرب على الإسلام والمسلمين.

ومعنى ذلك أن علياً يريد القول: إنه ومع ما يراه من هضم أبي بكر وعمر لحقّه، غير أنه لا يسلّ عليهما سيفاً، ويؤثر الجلوس في البيت حفظاً لأصل الإسلام.

كان السبب في عدم قيام علي بن أبي طالب هو خوفه على مستقبل الإسلام فيما لو شهر السيف على أعدائه الداخليين؛ ولهذا فقد لازم بيته لحفظ أصل الشهادتين وبقاء الإسلام، ولم يسلّ السيف على أبي بكر وعمر، لكن لماذا أرسل علي بن أبي طالب فاطمة الزهراء إلى المسجد لتخطب ضد أبي بكر بسبب ظلمه لهما، ولتعلن معارضتها لأبي بكر

بين الصحابة بصفتها <سيدة نساء أهل الجنّة>؛ فدفعهم ذلك إلى مهاجمة بيت فاطمة وعلي وبالتالي فقد تبيّن للجميع معارضة علي لإستيلائهم على الخلافة وعدم اعترافه بشرعية هذه الحكومة؟

والجواب هو أنه كما قَرَنَ رسول الله في حديث الثقلين أهل بيته بالقرآن <كتاب الله وعترتي>، فإن الله تعالى قد حبا <الأئمة من العترة>، الذين أولهم علي <بالعلم والمعرفة والعصمة اللازمة لكي يتمكنوا من إنقاذ أتباعهم إلى يوم القيامة من الضلالة>. كان عليّ يعتقد أن إعلان أحقّيته وعدم أحقيّة حكومة مخالفيه يمثّل تكليفاً شرعياً كلّفه به الله تعالى ورسوله؛ ولهذا السبب أعلن عن معارضته لحكم أبي بكر بهذا الشكل، ولو لم يعلن مخالفته لبيعة أبي بكر لتصور البعض أنه يقرّ هذه البيعة وأنه قد بايع أبا بكر. بينما قال رسول الله لأُمّته بأنها لن تضل بعده أبداً إلى القيامة إذا إتبعت القرآن والعترة، أي أن من بين الثلاث وسبعين فرقة التي افترقت اليها الأُمّة بعد رسول الله، فرقة واحدة فقط هي الناجية والمهتدية إلى الصراط المستقيم وفي الجنّة وهم أتباع عترة رسول الله، وباقي الفرق على ضلال. وقد كان عليّ يعتقد أن قيادة أبي بكر وعمر للأُمّة الإسلامية تتعارض وحديث الثقلين <القرآن والعترة>، ويرى في استيلاء أبي بكر

وعمر على الخلافة، نقض للسنة وأحكام القرآن في موارد مختلفة >وقد مر بعضها< و تمهيد أبي بكر وعمر لحكم بني أميّة من بعدهما لنهب بيت المال ونقض سُنّة رسول الله أكثر من السابق؛ حيث أدّى نهبهم لبيت المال في أثارة الناس ضدهم. وكان من نتائج وصول أمثال معاوية ويزيد من بني أميّة إلى سدّة الحكم تجاهل أحكام القرآن وسنّة رسول الله. وبلغ الأمر بـ >يزيد< الى القول، بعد المجزرة التي ارتكبها بحق آل محمد من ذريّة فاطمة الزهراء، في مجلسه بالشام:

لعبت هاشم خبر جاء ولا وحي
بالملك فلا نزل

بمعنى أنه لم تكن هناك نبوّة أساساً وأن محمداً قد إدّعى النبوّة كذباً من أجل الرئاسة وأن القرآن ليس وحياً من الله على الاطلاق.

لماذا لم يبايع علي[1]؟

وفي ظلّ تلك الأحوال لو كان عليّ المرتضى قد أقرّ زعامة أبي بكر وعمر للأُمّة الإسلامية فإنه بالنتيجة يكون قد أيد بنى أُميّة الذين أوصلهم أبو بكر وعمر إلى الحكم أيضاً. ويكون كلام يزيد بن معاوية الذي كفر فيه بكل شيء، مقبولاً عند علي بن أبي طالب. ولذا فهو لم يسلّ السيف على أبي بكر وعمر وفي الوقت ذاته عبّر عن معارضته لبيعتهما؛ لأنّه كان يعتقد بأن الولاء لزعامة أبي بكر وعمر هو منشأ للاضلال. ولهذا السبب أوصى رسول الله بالتمسّك بكتاب الله والعترة >في حديث الثقلين< الذي يُفهم منه أن زعامة أي واحد من البشر غير الأئمة من العترة الطاهرة تؤدي إلى الضلال سواء كانت زعامة أبي بكر وعمر المؤَسِسيْن لحكم بني أُميّة أو حكومة >بني أُميّة< ذاتها. أي >عثمان الأموي< أو >معاوية< أو >يزيد< أو >بني مروان< أو غيرهم، من >الأئمة من غير العترة< كبني العباس وآل سعود و. . . ولذلك تصبح زعامة غير العترة وفقاً لما جاء في حديث الثقلين >إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا أبداً<، زعامة وإمامة ضلال سواء

---

1. كتاب الفصول المختارة، تأليف الشيخ المفيد، الناشر دار المفيد، ص 56. والمحققون من أهل الإمامة يقولون: لم يبايع علي ساعة قط.

كانت زعامة يزيد أو غيره.

مسألة >حفظ الوحدة<

أما قول بعض علماء >العامة< أن علياً قد بايع أبي بكر وعمر من أجل >حفظ وحدة أكثرية المسلمين<، فإنه كلام مخالف للواقع لأن عليّ بن أبي طالب نفسه قد قال في موارد مختلفة من جملتها كلامه مع فاطمة الزهراء وما جاء في الخطبة >الشقشقية< أنه لم يشهر سيفه مخافة إرتداد المسلمين عندما تندلع حرب داخلية >وقلة الأنصار الكافين لحسم هذا الأمر بسرعة وبأقل خسائر< فضلاً عن أن القيام بالسيف يؤدي إلى القضاء على أصل الإسلام والشهادتين وهو لم يلجأ إلى السيف لا لأنّه مع وحدة أكثرية المسلمين وولاء لزعامة أبي بكر وعمر فهذا الولاء ينتهي بضلال الأُمّة، فالوحدة في طريق الحق مطلوبة وجائزة لا الوحدة في طريق الضلال والباطل؛ ولهذا أيضاً أرسل علي فاطمة إلى المسجد لكي تعترض على أبي بكر لظلمه لهما وبعدها أعلن علي أيضاً معارضته للبيعة لأبي بكر وأثبت عملياً أنه حتى لو واجه القتل فإنه لا يبايع أبا بكر > لأنّ بيعة أبي بكر هي مخالفة صريحة لأمر رسول الله في حديث الثقلين وخطبة الغدير<.

أما قول بعض الأنصار الذين كانوا متواجدين في السقيفة بـ >أنهم لن يبايعوا إلاّ علياً< والذي نقله أيضاً >الطبري< فإنما كان لاعلانهم الوفاء

لأمر رسول الله وإلاّ فعلي لم يكن حاضراً في السقيفة ولا أي من بني هاشم لكي يدافع عنه بسبب قرابته منه.

وأما قول القائلين >أن المسلمين لا ينبغي أن يختلفوا مع بعضهم< فهي مقولة صحيحة وأن المسلمين يجب أن يكونوا متحدين معاً في طريق الاعتصام بالحق هو نص القرآن. وهو ما يعني أنهم ينبغي ألاّ يختلفوا مع بعضهم في طريق الحق واتّباعه، لا في طريق إتباع الباطل وإنتهاج السبيل الذي يؤدي إلى ضلال وفرقة الامة، وعدم الاختلاف لا يتحقق في التحاق >الأقلية التي نسير على طريق الحق< بـ >الأكثرية التي تسير على طريق الباطل<. فالقرآن يذكر في آخر سورة الجمعة أن أكثرية الصحابة قد تفرقت عن رسول الله وهو يصلي عندما سمعوا صوت الداعي إلى اللهو وإلى التجارة، وتركوه قائماً مع قلّة تُعد بأصابع اليد:

{**وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ**} وقد ورد في حديث متواتر أن رسول الله قال: >والذي نفسي بيده لو انهم انصرفوا جميعاً لأضرم الله عليهم الوادي ناراً<. ومعنى ذلك أن رفع الاختلاف بين المسلمين وتوحيدهم يستدعي من الفئة العاصية حتى وإن كانت كثرة، أن تلتحق وتنضم إلى الفئة السالكة للصراط المستقيم

حتى وإن كانت قلة، لا أن يحصل العكس وهو أن تلتحق الأقلية وهي على الحق بالأكثرية الضالة والعاصية. ويصدق ذلك على الذين كانوا يفرون في الغزوات وكانوا يشكلون أكثرية الصحابة.

وكذلك جاء في القرآن: {**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ**}[1].

أي قاتلوا الفئة الظالمة حتى وإن كانت أكثرية. حسناً، حسناً، السؤال الآن بعد أن ذكرنا السبب في عدم قيام علي بن أبي طالب وامتناعه عن البيعة لأبي بكر وعمر في زعامة الأُمّة الإسلامية، هو لماذا لم يذهب علي بنفسه لفتح الباب عندما هاجموا بيته وذهبت فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة بدلاً عنه وهو المعروف بشجاعته في الحروب والغزوات؟

وجواب هذا السؤال يتضح في جواب السؤالين الآخرين وكذلك من مضامين أحاديث الأئمة من العترة فيما أوصى به رسول الله. فعندما قصد المهاجمون بيت علي لقتله وأقسم عمر أنه سيقتل علياً إن لم يبايع، لم يبقَ أمام علي إما أن يحمل سيفه كما فعل مهاجموه ويفتح الباب ليقاتلهم، وقد ذكرنا أن

1. سورة الحجرات، الآية 9.

علياً كان يعتقد آنذاك أن الحرب معناها القضاء على الإسلام. أو أنه يأتي بنفسه ويقوم بتسليم نفسه إلى قاتليه ليُقتل على أيديهم لأنّه لا يبايع أصلاً وهو خلاف حكم القرآن الذي يقول:

{وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}

فضلاً عن وصيّة رسول الله لعلي بأن يحفظ نفسه من بعده لئلا تبقى الفرقة الناجية بلا قائد: لأنّه لو قُتل علي بعد وفاة رسول الله على يد حكام عصره - حيث كان ولداه الحسن والحسين صغيرين - لكان ولداه سيتعرضان للقتل أيضاً. وذلك يؤدي بطبيعة الحال الى القضاء على أئمة الفرقة الناجية وبالتالي الى القضاء على هذه الفرقة إلى الأبد؛ ولهذا تطوعت الزهراء للذهاب لفتح باب الدار والتضحية بنفسها من أجل أن يبقى إمام زمانها حياً. وقد تحقق ما أرادت. وعلى الرغم من إصابة فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة في هذه الحادثة التي أدّت أخيراً الى رحلتها عن الدنيا بعد أربعين أوخمس وسبعين يوماً أو أكثر، ولكن على ما نقل في التاريخ أن فاطمة قد قامت وتبعت عليّاً إلى المسجد وهي لازالت تعاني من الضربة التي تعرضت لها على يد المهاجمين لدارها. واستطاعت من خلال تهديدها بالدعاء على الظالمين الغاصبين حقها و حق أهل بيتها أن تغيّر الجو الحاكم على المسجد وإنقاذ

علي من القتل وإعادته إلى البيت. فرسول الله لم يُطلق على فاطمة تسمية >سيدة نساء أهل الجنّة< إعتباطاً؛ فهي قد تمكّنت من حماية >إمام الفرقة الناجية< من خطر القتل.

كان عليّ وفاطمة يعلمان أن الحفاظ على حياة علي في ذلك الظرف الخطير هي وظيفتهما الاولى و هي أيضاً وصية رسول الله لهما كما ذكر ذلك الأئمة من أهل البيت.

مسألة >اتّباع الأكثرية<

النقطة الاخرى هي أن الوحدة التي يجب حفظها هي الوحدة على طريق الحق والصراط المستقيم وليس الوحدة في طريق الضلالة والابتعاد عن الحق والخروج عن الصراط المستقيم التي كان يدعو إليها مخالفو علي، وهي الوحدة التي ألزم الله سبحانه وتعالى المسلمين بها في القرآن الكريم. فقد دعا الجميع إلى التمسك بقرآنه وحبله واجتناب الفُرقة: {**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ**}.

وكذلك قوله تعالى في قرآنه الكريم:

{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللّهِ} ولا يقول إتبعوا الأكثرية وإن كانت على باطل وضلال.

كانت أكثرية الجيش الإسلامي تفر من سوح القتال عندما كانت تشعر بالإنكسار والخطر الجاد مثلما حدث في معركة أحد حيث لاذ بالفرار جميع القريشيين إلاّ علياً وحمزة سيد الشهداء، وهذا يعني أن أبا بكر وعمر كانا من الفارّين أيضاً وقد تكرر ذلك في غزوة حنين أيضاً. وبعض الأنصار ثبتوا أيضاً في تلك المعركة ولم يفرّوا {**ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ**} (سورة التوبة).

فهل كان ينبغي أيضاً أن يفرّ النبي

وعلي وحمزة والأنصار الذين كانوا أقليّة وظلّوا كذلك؛ لأنّ أكثرية المسلمين قد لاذت بالفرار ولأنّهم أقليّة؟ وقد قلنا فيما تقدم أن الكثير من الصحابة قد تفرقوا عن رسول الله وهو يصلي الجمعة، سعياً وراء اللهو والتجارة إلاّ تلك القلّة التي تعد بأصابع اليد ولم تكن تفر في جبهات الحرب مطلقاً.

وقد قال رسول الله فيهم: >والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادي ناراً<.

أي أن القضاء على الفرقة والاختلاف في الإسلام تتحقق من خلال عودة الفئة التي تتحرك بعكس إتجاه الصراط المستقيم - حتى وإن كانت أكثرية - الى لحركة في الإتجاه الصحيح والاتحاد مع الأقلية على طريق الحق وليس العكس.

ويؤكد القرآن في الآية التالية على نبذ الفرقة وخاصة فيما يتعلق بمصير الإمة: {أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ} أي أنه حتى لو وقع الاختلاف والنزاع بين المسلمين في تشخيص >مصداق أولي الأمر< فعليهم ألاّ يتخذوا القرار بأنفسهم بل الرجوع إلى كتاب الله وسنّة رسوله.

{فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ}. وقد اتضحت سنّة رسول

الله في غدير خم، في حديث الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً.

عندما يقول الله تبارك وتعالى في القرآن: إذا شئتم تشخيص «مصداق اولو الأمر» يجب عليكم الرجوع الى الله ورسوله، فلابد أن يكون جواب هذه المسألة موجود في كتاب الله وفي السُنّة المتواترة لرسول الله، وإلا فمن غير الممكن أن يحيلنا الله من أجل حلّ هذه المسألة الى مصدر لا وجود لجوابها فيه.

وقد عيّن رسول الله مصداق اولي الأمر في غدير خم بقوله: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه». . . من بعد قوله: <إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً>. أي إذا أردتم ألاّ تضلوا إلى يوم القيامة بعد وفاتي فعليكم باتّباع القرآن وعترتي (الأئمة من العترة الذين لا يخطئون إلى يوم القيامة أبداً في هداية أتباعهم إلى الصراط المستقيم ولا يضلون أوليائهم< أي أن الأئمة من العترة هم صِنو القرآن في هداية متبعيهم وهم معصومون لا يخطئون ولا يضلون أو يُضلون.

وهذا معناه أن <الأئمة من غير العترة> الذين هم بحسب مفهوم الحديث المتقدم على العكس، غير مصانين عن الخطأ والانحراف (ولا يمكن أن يبقوا

إلى يوم القيامة بلا خطأ أو انحراف) أي >أنهم يضلون ويُضلون أيضاً<.

والخلاصة هي أنه لم يكن هناك أي إجماع بين الصحابة حول >البيعة لأبي بكر< كما تدل على ذلك الأخبار التاريخية المتواترة وإنما:

بايع المهاجرون من قريش الذي كانوا يشكلون أقلية في المدينة، أبا بكر لقرابته منهم وتقديمه الوعود بتقسيم الحكم بينهم، أو لتهديده لهم. وبقيت الأكثرية التي كانت معروفة بفرارها في غزوات رسول الله - عندما كانت تشعر بالخطر - ساكتة ومن الذين كانوا يفرون عند الخطر، أبو بكر وعمر.

هناك أقلية من المؤمنين الحقيقيين الذين كانوا على درجة عالية من الإيمان، ولم يكونوا يفرون في الغزوات مطلقاً وهم >عترة رسول الله< شيعة علي والأنصار الذين عارضوا البيعة لأبي بكر والذين يرون في علي خليفة ووصياً بحق لرسول الله بحسب وصيته في >غدير خم<.

أما علي فكان يعتقد أنه ليس في مصلحة الإسلام الثورة على أبي بكر الغاصب للخلافة مع قلة الأنصار والمؤمنين الحقيقيين؛ ولأنّ الإسلام كان في بداية نشأته ولم يكن ايمان أكثر الناس قوياً كما أنهم لم يكونوا يطيقون الحرب الداخلية فضلاً عن أن المسلمين كانوا مهددين من قبل عدوّين

خارجيين هما الروم وايران، فصبر ولم يحارب >لقد تقمصها إبن أبي قحافة وهو يعلم أن محلي منها، محل القطب من الرحي. . . . . ، صبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهباً. . . <.[1]

لقد صبر عليٌّ ولم يقاتل أبا بكر إلاّ >أنه لم يسكت أبداً<، فأرسل فاطمة التي غصبها أبو بكر فدك، إلى المسجد لتعترض عليه، كما كان يحثّ الصحابة من أنصاره على تبليغ حادثة الغدير وإعلان عدم مشروعية حكم أبي بكر. فقد كان أبو بكر يقول لأنصاره من غير الهاشميين من المبغضين لعلي ولبني هاشم أن يتركوه (في ما يخصّ بعض الامور) ويتوجّهوا الى عليّ، ولكنه من جانب آخر أرسل عمر لاعتقال علي وحرق بيته وبيت فاطمة لكي يجبره على البيعة، وتهديده بالقتل إن لم يبايع. فحرقوا بيت علي وفاطمة وأخذوا علياً مقيداً إلى المسجد ولكن بفضل تدخل فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة وتهديدها بالدعاء عليهم وتأثر المسلمين في هذه الحادثة التي كادت أن تؤدي إلى اضطراب الأوضاع، نجا علي من سيف عمر وأطلق سراحه، ولم يكن علي مستعداً لمبايعة أبي بكر رغم

---

1. الفهرست، ابن النديم، ص224.
- تذكرة الخواص، ابن الجوزي.
- العقد الفريد، ابن عبد ربه، المجلّد الرابع، وغير ذلك.

تهديد عمر له.
يعني ذلك أن علياً كان مستعداً للموت على أن لا يبايع لأبي بكر الذي إدعى الرئاسة مخالفاً قول رسول الله (وكانت رئاسته مدعاة لانتزاع الخلافة من علي وعترة رسول الله) وأنه كان يعتبر إمامة أبي بكر ـ وهو من غير العترة ـ تجسيداً لإمامة أئمة الضلال طبق مفهوم حديث الثقلين)[1].

---

1. كما تقدم، لم يكن علي بن أبي طالب مستعداً لمبايعة أبي بكر حتى عندما هدده أبو بكر وعمر بالقتل. كما أن فاطمة الزهراء كانت غاضبة عليهما حتى آخر عمرها وأنها كانت تعتبرهما طاغوتا زمانها، وهي كانت على يقين ان عليّ بن أبي طالب هو الإمام حسب وصية رسول الله في غدير خم وفي مناسبات اخرى وأن مخالفة علي وفاطمة وهما من عترة رسول الله للبيعة لأبي بكر دفعت زمرة عمر لمهاجمة بيت علي أمير المؤمنين وفاطمة سيدة نساء أهل الجنّة بأمر أبي بكر وبالتالي تعرض فاطمة للضرب. وأخيراً شهادتها بعد أربعين أو خمسين يوماً أو أكثر على اختلاف الروايات. وقد تقدمت تفاصيل ذلك إجمالاً ولم يبايع سعد بن عبادة كذلك. وقد تآمر أبو بكر وعمر لقتل علي إلاّ أن مؤامرتهما باءت بالفشل كما فشل الهجوم على بيت علي وأخذه إلى المسجد وتهديد عمر له بالقتل ولولا إغاثة فاطمة أو لو أنها كانت وصلت متأخرة قليلاً لقتل علي وكذلك قرار عمر بعد طعنه بإدخال علي في الشورى التي عيّن أعضاءها عمر نفسه ولم تكن تضم أحداً من شيعته (مثل أبو ذر والمقداد وعمار وسلمان وغيرهم) فكان عليّ في أقلية واضحة وكان يعرف الجميع أنه سوف يتم انتخاب عثمان وأن علياً سيبقى وحيداً بلا مؤيد، منذ أن تم تعيين الشورى وحتى قبل أن يتم تشكيل الجلسة. وقد صرح على نفسه بذلك وتفاصيل ما حدث مذكورة في كتب التاريخ، وكان عمر قد أوصى بضرب عنق كل من يبقى في الاقلية ولكن هذه المؤامرة لم يحالفها النجاح، وبعد موت عثمان وشهادة علي

وتسلط معاوية على رقاب المسلمين وتحمّل الحسن بن علي الهزيمة في الحرب مع معاوية، ثم إقرار وقف الحرب بينهما، بقي الحسن على رفضه للبيعة لمعاوية حتى إستشهاده بالسمّ الذي أرسله معاوية لزوجة الحسن بن علي لتدسه إليه في طعامه. ولم يبايع الأئمة من عترة رسول الله بعد الحسن سلاطين الجور حتى قتلوا الواحد تلو الآخر بيد حكام عصرهم ولو أنهم كانوا قد بايعوا هؤلاء الحكام لم يستشهدوا أو يتعرضوا للتهديد بالقتل وهذا خير دليل على إختلافهم العقائدي مع حكام عصرهم. إن إتهام >محمد سليم آزاد< و>أيوب كنجي< بأن عليّاً وأولاده من الأئمة الإثني عشر قد بايعوا حكام عصرهم (ص 11) هو كذب وتزوير، وجميع القرائن والشواهد المذكورة تدل على كذب هذه التهمة. وما زعمه محمد سليم آزاد، وأيوب كنجي وناصر الغفاري في كتاب >اصول مذهب الشيعة< أن علياً وأئمة الشيعة قد نافقوا في بيعتهم لحكام زمانهم، زعم لا أساس له؛ لأنهم لم يبايعوا أصلاً.

أقوال أبي بكر في السقيفة

لننظر الآن هل كان المجتمعون في السقيفة حريصين على العمل بقول الله ورسوله لحل النزاع الذي نشب بين >المهاجرين< و>الأنصار<؟ أم أنهم إتخذوا قرارهم غير مبالين بالقرآن وبسنة رسول الله ؟ وقد ذكرنا استناداً الى ما رواه >الطبري< إن الأنصار أو فئةً منهم قالوا: إنا لا نبايع إلاّ علياً<. وبما أن علياً لم يكن حاضراً في السقيفة، لا هو ولا أحد من بني هاشم، يتبيّن أن هذه الفئة من الأنصار هم المؤمنون الحقيقيون بالله وبرسوله، الذين كانوا يريدون أن يبقوا أوفياء لوصية رسول الله في غدير خم.

ويُذكر أن بعض الأنصار قالوا: >منّا أمير ومنكم أمير<.

وقد نقل عمر أن >أبا بكر< قد ردّ على الأنصار قائلاً:

إنّ المهاجرين الأوائل الذين آمنوا قبلكم وهم >قوم رسول الله< أحق من غيرهم بالرئاسة والامارة؛ وكما نرى أن >أبا بكر< ركّز في كلامه على:

1) الرئاسة والامارة

و2) أنهم من قريش، وقريش أوسط العرب وأكثرها أصالة، ثم يقول أبو بكر للأنصار بأنه يرضى بأن يبايعوا أحد الرجلين ويقصد >أبا عبيدة الجراح وعمر<؛ >وقد رضيت

لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم< (وهذا هو نص عبارة البخاري) >وعندها علت الأصوات واشتدّ الاختلاف. وعندما سكت الجمع< قال عمر: >فقلت أبسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون...<.

تحليل: النقطة الجديرة بالملاحظة في كلام >أبي بكر< و>عمر< أن دافعهما الرئيسي لطلب الرئاسة يقوم على أساس عنصري: 1) وقول أبي بكر: >أن للمهاجرين القدماء السبق في الايمان برسول الله على الأنصار< فرغم أن أبا بكر وعمر من المهاجرين إلاّ انها لم يقدما أية مساعدة لرسول الله في >شعب أبي طالب< وكانا يفران في الغزوات. بينما علي والأنصار على العكس من ذلك. فلماذا تناسى أبو بكر ذلك؟

2) وقوله أن رئاسة العرب يجب أن تكون لـ >قريش< وقريش هم >أصل العرب< وهو اعتقاد بـ >التمييز العنصري<.

3) اما قوله: إني >أبو بكر< أرضى أن تبايعوا أحد هذين الرجلين >أبو عبيدة< أو >عمر<، فرضا أبي بكر ليس دليلاً شرعياً على أحقية أحد.

4) إن مبايعة عمر لأبي بكر واصرار أبي عبيدة الجراح وعمر على البيعة لأبي بكر (بسبب الوعود التي قطعاها لبعضهما والمواثيق التي عقداها سراً ومواكبة قبيلتهما بسبب الحسّ الطائفي والعنصري، ومن ثم سلّ السيوف والاسلحة في مسجد رسول الله لإرهاب الآخرين وإرغامهم على اتّباعهم، لا يُعدّ أياً منها دليلاً على أحقية ومشروعية حكومتهم.

إضافة إلى أن >التمييز العنصري<

يتعارض مع حكم الإسلام بعدم أفضلية أحد على آخر ولا قبيلة على أُخرى ولا عربي على أعجمي إلاّ بالتقوى.

5) لقد نصب >رسول الله< في غدير خم علياً خليفة ووليّاً من بعده وأوجب على الأُمّة - في حديث الثقلين على أدنى تقدير - لزوم التمسّك بالعترة. وعلى هذا الأساس تكون مخالفة علي لبيعة أبي بكر عملاً بوصية رسول الله وبالتالي كان على أبي بكر أيضاً أن يرفض بيعة الآخرين له، وكان عليه مثلما بايع علياً في غدير خم، أن يطيع أمر الله تعالى ورسوله في لزوم اتّباع علي وعترة رسول الله.

هل كان الله راضياً على جميع >السابقين من الصحابة<:

{**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ**} (التوبة: 100).

لابد من القول في جواب هذا السؤال إن هذه الآية تنطبق بشكل مطلق - على الأوائل إسلاماً من >السابقين من الصحابة< (المهاجرين والأنصار) وليس على الذين آمنوا بعدهم أو الذين دخلوا الإسلام متأخرين أي أن المقصود منها علياً وخديجة من (المهاجرين) وسعد بن زرارة وذكوان من الأنصار فقط الذين كانوا أول المسلمين من المهاجرين والأنصار وأما الذين أسلموا بعد هؤلاء وكذلك الذين تأخروا في دخول الإسلام وغيرهم فإنهم ليسوا مقصودين بالآية المذكورة، وأما سائر السابقين من المهاجرين والأنصار فإن الله يرضى عنهم إذا إتبعوا الأوائل إسلاماً {**وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ**}. ولماذا رضي سبحانه وتعالى على أول الناس إسلاماً وهم علي وخديجة وسعد بن زرارة وذكوان وليس على سائر الصحابة مع أنهم كانوا من السابقين؟ وهل كان في غير الأوائل من الصحابة، بين سائر السابقين منهم منافقون وضعيفوا الايمان؟ نعم، ففي سورة العنكبوت التي نزلت في مكة في زمن كان الإسلام فيه غريباً، يخبرنا

تعالى عن وجود المنافقين لأنّه كما بين سبحانه في القرآن فان أهل الكتاب كانوا يعرفون بأن محمداً هو نبيّ آخر الزمان وأن دينه سينتشر في العالم كلّه.

رسول الله أيضاً قال في أول دعوة دعا فيها عشيرته للإسلام في >يوم الدار< في بيت >أبي طالب< ما مضمونه: أسلموا لكي تملكوا خزائن كسرى وقيصر. وذلك يعني أن المسلمين سوف يظفرون بكنوز كسرى وقيصر، وقد أيقن كثير من قريش ومن غيرها بعد ظهور المعجزات على يد رسول الله والعلامات التي نقلها علماء اليهود في أوصافه أنه سيحكم هو وأتباعه العالم في المستقبل، وبالتالي فإنّهم حتى إن أرادوا الدنيا فعليهم إتباع محمد (ولو في الظاهر)؛ ولهذا كان يتظاهر بعض القريشيين عند رسول الله بالإسلام طمعاً؛ فأخبر سبحانه وتعالى في سورة العنكبوت التي نزلت في مكّة في >السابقين من الصحابة< والأمر بالهجرة عن وجود منافقين بين السابقين من الصحابة وأنه لا يكفي مجرد إظهار الإسلام، بل إن الله يمتحنكم وإذا نجحتم في الامتحان الالهي فإنكم تكونون مسلمين حقاً ومؤمنين واقعيين وإذا فشلتم فانتم مسلمون في الظاهر فقط وتتظاهرون بالإسلام ولم يدخل الايمان باطنكم ويرسخ في قلوبكم: {احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون}.

1. كان الحصار الاقتصادي المفروض على رسول الله وبني هاشم أحد الاختبارات الإلهية في مكّة، حيث لم يقدم غير بني هاشم، من المتظاهرين بالإسلام من أمثال أبي بكر وعمر، أية مساعدة لرسول الله في وقت كان يسمع أهل مكّة صوت بكاء أطفال بني هاشم من شدّة الجوع.

2. الامتحان التالي لرسول الله بعد الهجرة كان في الغزوات التي قادها ضد أعداء الإسلام فكان بعض المسلمين من غير الهاشميين يفرون من القتال عندما يلاحظون معالم الإنكسار كما حصل في (أُحُد) فبقى من القريشيين من بني هاشم علي وحمزة سيد الشهداء وعدد قليل من الأنصار الذين ظلوا يدافعون عن رسول الله بينما ترك القريشيون وغير القريشيين الرسول وحيداً بين يد العدو المتعطش لدماء المسلمين وفرّوا حفاظاً على أنفسهم.

وقد فرّ الجميع في معركة حُنين الاّ علي والعباس. كما فرّ أبو بكر وعمر في معركة خيبر، ومنعا رسول الله من قتال قريش في غزوة بدر، بينما أطاع علي وسعد بن عبادة كل أوامر رسول الله وفي صلح الحديبية. وبعد أن كتب علي وثيقة الصلح بيده، أعرب في البداية أبو بكر وعمر وكذا سائر الصحابة، عن معارضتهم لرسول الله وأعلنوا عن غضبهم من ذلك. ثم عادوا فندموا وبايعوا الرسول تحت الشجرة على أن لا يخالفوه مرّة أخرى وأن لا يفرّوا في الحرب

لكنهم عادوا وفروا في (حنين).

ثم فإن الأفضلية في أن تكون بين السابقين من الصحابة، هي أن تكون مؤمناً حقيقياً وأن تدافع عن رسول الله في شعب أبي طالب مثلما فعل علي وأن لا تُفرّ في الغزوات عندما كان يتعرض الإسلام للخطر في المدينة.

وإذا كنت قد آمنت متأخراً مثل الكثير من الأنصار لكنك في الغزوات عندما يفرّ الجميع عند الشعور بالهزيمة، تثبت إلى جانب رسول الله وتدافع عنه كما فعل عبد الله الأنصاري، وتُجرح أو تستشهد، فإنك بالتأكيد أفضل من القريشيين الذين كانوا يفرّون في غزوات رسول الله ويتركونه وحيداً بين يدي الأعداء. وإذا كانوا يعتبرون أنفسهم من السابقين من الصحابة أو كانوا منهم فعلاً فالمعروف أن >عبد الله بن جحش< زوج >زينب< الذي كان من السابقين الى الإسلام، انتقل الى المسيحية في الحبشة عندما هاجر إليها في مَن هاجر مع جعفر بن أبي طالب.

وكذلك الحال بالنسبة الى بعض البدريين الذين كانوا من السابقين من الصحابة، واتهموا بعض زوجات رسول الله بتهمة الزنا. والبعض الآخر من هؤلاء البدريين السابقين، مَن شرب الخمر وأجري عليه حدّ شاربها مثل >قدامة بن مظعون< وهو أخو زوجة عمر.

وخلاصة القول، هي أن الفضيلة التي

ادّعاها أبو بكر لنفسه في السقيفة معلناً أنه من السابقين، فإنّ هذه الفضيلة تُعدُّ كذلك فيما لو أثبت إيمانه عملياً في مكّة، وفي مساعدة رسول الله في >شعب أبي طالب، وفي المدينة في غزوات رسول الله وكذلك في الثبات إلى جانب الرسول عندما فرّ الجميع، لكنه لم يفعل.

وعلى جانب آخر أثبت بعض الأنصار إيمانهم، وذلك بثباتهم في غزوات مثل غزوة أحد حين فرّ القريشيون >إلاّ علي بن أبي طالب <، وحيثما يُثبت أبو بكر وعمر ضعف وعدم ايمانهما الباطني من خلال فرارهما في الغزوات، فلا تثبت هذه الفضيلة أية منقبة يتفوّقان بها على >الأنصار<.

أما عناوين العروبية أو الانتماء إلى قريش، فذلك لا يُعدّ فضيلة، والإسلام لا يُفرّق بين العرب والعجم والقريشي وغير القريشي، والجميع فيه متساوون أمام الله سبحانه وتعالى {إن أكرمكم عند الله أتقاكم}. وأما قولهم إن الأمراء والخلفاء من قريش، فلم يرد شيء من ذلك عن رسول الله إلاّ قوله: >الخلفاء من بعدي إثناء عشر كلهم من قريش<. وقد أوضح في غدير خم مقصوده من الإثني عشر خليفة وأمير؛ فهم علي والأئمة من العترة من ذريته وذريّة علي وآخرهم >المهدي من آل محمد <. ومما يجدر ذكره أن معظم خطبة الغدير قد حُذف من قبل البعض. وقد وصلنا

نصها الكامل عن طريق بعض علماء أهل السُنّة وكذلك عن طريق أهل بيت رسول الله الطاهرين وأصحابه المنتجبين >رضوان الله تعالى عليهم<.

وكان مما قاله رسول الله: >يهلك أُمّتي هذا الحيُّ من قريش< وكان خطابه موجهاً إلى >المهاجرين القريشيين في المدينة، كما أنه خاطب الصحابة قائلاً: ستحرصون على الإمارة تم تكون عليكم حسرة وندامة...<.

وقوله أيضاً في حديث >الحوض< بأن جماعة من أصحابه يُساقون إلى جهنم ولا تنالهم شفاعته إلاّ قليلاً منهم كهمل النعم.

أما قول أبي بكر - نقلاً عن البخاري -: وقد رضيتم لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم (أبو عبيدة الجراح وعمر) أي بايعوا واحداً من هذين الإثنين. ولم يذكر لهما أية فضيلة لأنّهما لم يكونا يملكان فضيلة ملفتة للنظر لتُذكر. ولو وُجدت لذكرها أمام الأنصار. وأما إنتماؤهما العربي والقريشي وكونهما من السابقين من الصحابة التي ذكرها آنفاً، وبعض هذه الامور لا تُعدّ في الإسلام من الفضائل مثل >كونهما عرباً< و>من قريش<، وبعضها الآخر مرّ شرحه، وإذا أخذنا مسألة الفرار في الغزوات بنظر الاعتبار، إذاً فلا فضائل لهما. وطبعاً بعد وصول أبي بكر وعمر إلى الرئاسة والامارة وتسليط >بني أميّة< من

بعدهما على رقاب المسلمين، ردّ بنو أميّة الجميل لهما، فاختلقوا لأبي بكر وعمر فضائل بواسطة المتظاهرين بالفضيلة والدين ووعاظ السلاطين ونسبوها إلى رسول الله حتى أنها كادت أن تبلغ حد الغلوّ والابتذال، مما حدا بحكام بني أميّة إلى منع التحدث بفضائل جديدة لأبي بكر وعمر، والتحول بعد ذلك إلى اختلاق فضائل لعثمان وباقي الصحابة ونشرها بين الناس، ومنع نقل فضائل علي وترويج لعنه.

ولهذا نسبوا لهما حتى أوصاف >الصديق< و>الفاروق< التي أطلقها رسول الله على >علي<[1] في حين أن فرارهما من غزوات رسول الله وعدم مساعدتهما له ولبني هاشم في شعب أبي طالب لا تنسجم وهذه الألقاب.

وأما قول أبي بكر: وقد رضيت لكم أحد الرجلين فبايعوا أيهما شئتم (أي أبو عبيدة الجراح وعمر) فلا بدّ من القول إنه لم يرد في أي موضع في القرآن ولا في السُنّة المتواترة أن

---

1. خصائص النسائي، ص3. روى بسنده عن عمرو بن عباد بن عبد الله قال: قال علي: إنّا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذب.
وجاء في كتاب الاصابة لابن حجر، ج7، القسم الأول، ص 167، قال: وأخرج أبو أحمد وابن مندة وغيرهما من طريق اسحاق بن بشر الاسدي عن خالد بن الحارث عن عوف عن الحسن عن أبي ليلى الغفارية سمعت رسول الله (ص) يقول: سيكون بعدي فتنة فاذا كان ذلك فالزموا «علي بن أبي طالب» فانه أوّل من آمن بي وأوّل من يصافحني يوم القايمة و هو «الصديق» الأكبر وهو «فاروق» هذة الامة.

رضا أبي بكر هو وسيلة لهداية الأُمّة، كما لم يرد وجوب إطاعة الأُمّة له، بل أن الهداية في إطاعة الله ورسوله وإطاعة >الأئمة من العترة< الذين هم بحق أولو أمر هذه الأُمّة إستناداً إلى حديث الثقلين (كتاب الله وعترتي).

وأما استدلال أبي بكر أمام الأنصار بأن أول المسلمين هم أولئك المهاجرون القدامى من قوم رسول الله وعشيرته ولذا فهم أحق بالامارة بعده من غيرهم وقول عمر والله أن العرب لا ترضى أن تعطيكم الامارة ورسول الله من غيركم، فإنه استدلال مناسب لاثبات أحقّية حكومة علي وبني هاشم الذين دافعوا عن رسول الله في كل مكان ودائماً سواء في شعب أبي طالب أم في غزواته وهم أقرب إليه نسباً من أبي بكر وعمر؛ لأن عليّاً من رهط رسول الله بني هاشم وهو ينتمي إلى هذه القبيلة وليس إلى قبيلة (تيم) أو (عدي) فضلاً عن أن عليّاً كان أوّل من أسلم وكان متفانياً مخلصاً للإسلام ولرسول الله سواء في منفاه في شعب أبي طالب أم في الغزوات. ولم يكن يتوانى في تلك المواقف أو يفرّ من الزحف. أبو بكر الذي أسلم بعد الإعلان عن الدعوة الإسلامية - باعترافه هو - عندما كان عائداً من سفر تجارة الى الشام، للتجارة وسمع الناس يتحدثون بأن يتيم أبي طالب يدعي النبوّة والرسالة، وأنه يرفض أصنامهم أي أن إسلام أبي بكر كان بعد المجاهرة بالدعوة؛ أي في أعقاب مرور ثلاث

سنوات على بدئها. وعلى حد قول البعض بعد أن كان قد بايع رسول الله خمسون شخصاً قبل أبي بكر[1].

ويقال ان عليّ بن أبي طالب حينما سمع استدلال المهاجرين وأبي بكر أمام الأنصار قال: >استدلوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة< أي أنهم استدلوا بـ >قريش< وهي شجرة رسول الله لكنهم أضاعوا ثمرتها التي هي لزوم إتباعي وأنا من العترة وذلك بمخالفتهم لي. لأنّه ما كان ينبغي عليهم، طبقاً لاستدلالهم هذا، مخالفتي وإنما التسليم بامارتي وخلافتي.

إن ما يشير إليه استدلال أبي بكر وعمر أمام الأنصار من أن الخلافة حق لـ قريش، أنه لم يكن عن عزّم جاد وإيمان راسخ منهما لخدمة الإسلام والأُمّة الإسلامية، وإنما اتّخذا ذلك ذريعة للوصول إلى الامارة والرئاسة بأية وسيلة ممكنة وبأية حجة يمكن الاتيان بها في ذلك الوقت. وأما أنه ما كان يجب حتى طبقاً لاستدلالهما أن يدعيا الرئاسة والامارة في مقابل علي فهو، أوّلاً: لنفس استدلال أبي بكر وعمر

---

1. تاريخ الطبري، ج2، ص60. عن محمد بن سعيد بسند صحيح قال: قلت لأبي: أكان أبو بكر أوّلكم إسلاماً؟ فقال: لا ولقد اسلم قبله أكثر من خمسين. عن أبي هلال عن الشعبي عن أشياخه منهم جرير ان إسلام أبي بكر بعد سنوات. وكذا عن ابن اسحاق وغيرهما ان إسلام أبي بكر بعد الفترة السرية التي استمرت ثلاث أو خمس سنوات.

أمام الأنصار بأنهم عشيرة رسول الله فالامارة حقهم، وتأييد عمر لكلام أبي بكر، وقسمه أن العرب لا ترضى باعطاء الامارة للأنصار ورسول الله ليس منهم؛

وثانياً: أن عمر في آخر حياته حين ضربه >أبو لؤلؤ< قال وهو يحتضر ما معناه أنه لو كان فلان من الأنصار حيّاً (وكان من أصحابه) لأعطيته الخلافة ولأوصيت له ولو كان >غلام حذيفة< حياً أيضاً لفعلت معه ذات الشيء ليكون خليفة من بعدي، مع أن غلام حذيفة لم يكن عربياً بالأساس حتى يكون من قريش أو من الأنصار أو من غيرهم لكنه كان صاحباً وفياً لعمر. ولذلك قال لو كان غلام حذيفة حيّاً لوليته الخلافة >ومن خلال تركيبة خاصة أضعها للشورى، أمنع الخلافة عن عثمان وأجعلها لغلام حذيفة رغم أنه كان أعجمياً<.

إن السلوك العملي الذي انتهجه أبو بكر وعمر بعد السقيفة، كلّه يثبت تماماً أن كلام وإستلالات أبي بكر وعمر في السقيفة كانت مجرّد ذريعة للاستيلاء على الحكومة والرئاسة فحسب، وأنهما لم يلتزما بعد السيطرة عليها بأي شيء من ذلك الكلام والاستدلالات، وأن الرئاسة كانت تمثل بالنسبة لهما هدفاً أساسياً واستراتيجياً وعليهما إستخدام كل وسيلة ممكنة (صحيحة أو خاطئة، حلالاً أو حراماً أو وعداً ووعيداً) للوصول إلى تلك الغاية وقد نجحوا في ذلك.

كتابة وصيّة رسول الله(ص):

ولهذا أمر رسول الله في آخر عمره الشريف الصحابة الذين كانوا مجتمعين حوله قائلاً: >أئتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً< وهو مضمون جملة كان قد قالها في غدير خم: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا» وبعدها مباشرة رفع رسول الله يد علي وقال: >من كنت مولاه فهذا علي مولاه< وقد أدرك (عمر) فوراً بالفراسة والذكاء اللذين كان يتحلى بهما قصد رسول الله؛ ولهذا سارع الى التعبير عن مخالفته لأمر رسول الله، وقال: إن الرجل يهجر. ويقصد أن رسول الله قد فقد عقله (والعياذ بالله) بسبب المرض فلا حاجة إلى الصحيفة والدواة. وطلب أهل بيت رسول الله، وفاطمة وأم سلمة و. . . من القوم أن يطيعوا أمر رسول الله ويأتوه بدواة وصحيفة، ولكنهم لم يفعلوا، وكان ردّ عمر على نساء النبي اللاتي قُلن أطيعوا رسول الله: اسكتن إنكن صواحبه إذا مرض عصرتن اعينكن وإذا صحّ أخذتن بعنقه. وهذه العبارة لا تخلو من إساءة إلى رسول الله، الذي ردّ عليه قائلاً: >هن خير منكم<[1]؛ أي أن النساء أفضل منكم لمخالفتكم لي. ثم قال لهم: >قوموا عني<. أي لا أريد أن أراكم بعد الآن. وقد نقل >محمد بن

---

1 . طبقات ابن سعد، ج 2، ص 243ـ 244.

سعد< في كتاب >الطبقات< نصّ العبارات التي تضمنها الحوار الذي دار بين عمر ورسول الله. وخاصّة أن رسول الله كان قد أمرهما عدة مرات قبل ذلك بالتوجّه مع جيش اسامة نحو الحدود مع الروم. وبعثهما مع هذا الجيش ولعن كل من يتخلف عن جيش اسامة. ومع ذلك فقد عادا إلى المدينة، وقد آذت رؤيتهما رسول الله في ذلك الوقت الحساس. وقد أدرك أبو بكر وعمر أنه قد أرسلهما مع جيش اسامة لأنّه لا يريد أن يكونا موجودين وهو يحتضر فيمنعاه من الوصية. ولهذا دار في خلدهما أن غيابهما عن المدينة في هذا الظرف الحساس يعني إضاعة فرصة الإستحواذ على الامارة والخلافة. ولذلك لم يمتثلا لقول رسول الله وعادا إلى المدينة.

والمهم في هذه القضية هو أن الحوار الذي دار بين رسول الله والمعترضين على كتابة الوصية قد تضمن عبارات ذات مغزى عميق؛ فرسول الله قال: >أئتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً<؛ أي أن رسول الله قد لوح بأنه إذا خالف أحد وصيتي هذه، فهو يتحمل ذنب انحراف الأُمّة وضلالها إلى يوم القيامة. وهذا الكلام يعني أيضاً أن رسول الله قد هدد مخالفي وصيته بهذه الاشارة والتلويح بانهم يتحملون ذنب إنحراف الأُمّة إلى قيام الساعة إنْ خالفوه في كتابة وصيته. وهو أعنف تهديد وجهه رسول الله

إلى الفئة العمرية؛ أية زمرة أبي بكر وعمر الذين عارضوا أن يكتب رسول الله وصيته.

والسؤال الذي يتبادر الى الأذهان هنا هو: هل كان رسول الله محقّاً حين قال: أئتوني بقلم ودواة حتى أكتب لكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا بعدي أبداً؟ أو أن رسول الله عندما أراد أن يكتب تلك الوصية بهدف هداية الأُمّة إلى يوم القيامة، كان كما قال عمر - والعياذ بالله - يهذي ويهجر وكان كلامه خطأ ومضللاً؟

وجواب هذا السؤال: أوّلاً: إن الله سبحانه قال في سورة طه الآية 123: {**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**}.

أي أن كل من إتبع هدى الأنبياء فإنه لا يُخطئ ولا يشتبه ولا يضل ولا يشقى.

ولاشك على الاطلاق في أن هداية رسول الله هي مصداق لهداية الأنبياء الإلهيين حيث أن اتّباع الأنبياء لا يؤدي إلى الخطأ والضلالة اللاشعورية ولا المخالفة الواعية بسبب الشقاوة، على العكس من هداية سائر الناس الذي يتكلمون من عند أنفسهم وقد يصيب كلامهم تارة وقد يخطأ تارة اخرى. سواء كان الخطأ بسبب الغفلة أو الهذيان والجنون أو العصيان والجناية العمدية بدافع الأنانية والتعدي، أما الأنبياء فهم -إستناداً إلى هذه الشهادة الإلهية في سورة طه

{**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**} معصومون عن إضلال أتباعهم فلا يضلونهم عمداً ولا سهواً ولا جهلاً ولا لجنون أو هذيان. والتاريخ شاهد على صدق كلام رسول الله.

وعندما يقول: إذا كتبتُ لكم وصيتي فإنكم لن تضلوا إلى يوم القيامة أبداً؛ فالكلام ينطوي ضمنياً على معنى آخر وهو إنكم إذا منعتموني من كتابة وصيتي فإنكم سوف تضلون. وقد أثبت التاريخ أن أتباع >أبي بكر وعمر< قد افترقوا إلى مذاهب وفرق متخالفة ومتعارضة ولا يمكن أن تكون الفرق المتعارضة والمتناقضة جميعها على صراط مستقيم، وهذا يعني أنه تعالى يُصَدّق كل ما يقوله جميع الأنبياء وخاصة خاتمهم محمد المصطفى في القرآن وفي الآية 123 من سورة طه: {**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**}.

ثانياً: فضلاً عن الآية اعلاه، يؤيّد التاريخ خلاف كلام الفئة العمرية حيث أن إفتراق أتباع أبي بكر وعمر إلى مذاهب مختلفة، هو أفضل شاهد على صدق كلام رسول الله الذي قال اذا منعتموني من كتابة وصيتي فإنكم سوف تضلون وتفترقون وسيؤول مصير الأمّة الى الضلالة والفرقة، وخاصة قول عمر: >حسبنا كتاب الله< يعني أن وجود القرآن بيننا نحن المسلمين، ينقذنا من الوقوع في الضلالة والفرقة والحاجة إلى وصية رسول الله، في حين أننا نشاهد

أن القرآن موجود في بيوت كل المسلمين حتى الوهابيّين الذين يستحلّون دماء المسلمين ويقتلون النساء والاطفال، ومع ذلك لا تزال الأُمّة الإسلامية متفرقة وأكثريتها ضالة. وهذا يعني أن التاريخ يشهد على أن كلام عمر غير صحيح وأن القرآن لوحده لا يمكنه أن يخلص الأُمّة من الضلالة والتفرقة إلى القيامة، بل أن سنة رسول الله ووصيته أيضاً لازمة دائماً لنجاة الأُمّة من الانحراف. ولكنّ عمر حال دون كتابة هذه الوصية.

وهذا يعني أن عمر صار سبباً لضلال الأُمّة وفرقتها حتى قيام الساعة. ولكن عندما طلب أبو بكر وهو في حال الاحتضار، ورقة ودواة ليوصي بخلافة عمر، وكان حينها يغيب عن الوعي تارة ويعود إلى وعيه تارة اخرى، كبّر عمر وقال: يا له من إنسان عاقل، فهو يفكّر في مصير الأُمّة من بعده، ولا يريد أن يبقى الناس بلا قائد.

ونحن نسأل عمر: عندما أراد رسول الله في يوم الخميس قبل ثلاثة أيّام من وفاته، أن يوصي وهو في حالة وعي كامل، قلت: أن المرض قد غلب عليه وإنّ الرجل يهجر! ولكن أبا بكر عندما كان في ساعة الاحتضار، وكان يغيب عن الوعي تارة ويعود اليه وعيه تارة اخرى، عندما قال إئتوني بصحيفة ودواة لكي اوصي لعمر بالخلافة من بعدي، تفرح وتقول: أي إنسان عاقل هو

يحمل هموم الأُمّة من بعده؟!!!

وقد نقل البخاري في كتاب المرض باب قول المريض قوموا عني - عن ابن عباس قال:

> لما حضر رسول الله وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، >قال النبي: هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، فقال عمر إن النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله< الحديث.

وذكره أيضاً في كتاب الاعتصام بالكتاب والسُنّة باب كراهية الخلاف، وكذلك في كتاب بدء الخلق في باب مرض النبي. ورواه مسلم في كتاب الوصية في باب ترك الوصية فقال:

> عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس ما يوم الخميس، >سيل دموعه حتى رأيت على خديه كانها نظام اللؤلؤ، قال رسول الله: ائتوني بالكتف والدواة واللوح اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. فقالوا: أن رسول الله غلب عليه الوجع.

وفي طبقات إبن سعد، ج 2، ص 37 عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب قال: كنا عند النبي وبيننا وبين النساء حجاب، فقال رسول الله:

> >اغسلوني بسبع قرب

وأئتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. فقال النسوة أئتوا رسول الله بحاجته، قال عمر: فقلت: اسكتن فإنّكن صواحبه إذا مرض عصرتن اعينكن وإذا صحّ أخذتن بعنقه. فقال رسول الله: >هن خير منكم<.

إضف إلى ذلك أنه حتى في حالة البشر العاديين الذين لم يشهد سبحانه وتعالى بصدق كلامهم وهدايتهم للآخرين فإنه لا يليق بإنسان أن يقول في وصفهم أنهم يهذون، ماداموا لا يتكلمون أثناء وصيتهم بكلام خلاف العقل وخلاف بديهة أو واقعة مسلمة. فما بالك إن كان ذلك بشأن رسول الله الذي لا يمكن أن يكون كلامه خطأ أو سبباً لضلال الأمّة لشهادته سبحانه وتعالى في الآية 123 من سورة طه: **{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى}.**

اضافة إلى ذلك فأن ما يُحتمل أن يكون خلافاً للعقل والبديهة هو كلام عمر بأنه لا حاجة لهداية رسول الله، وأن >القرآن< وحده يكفي لهداية الأُمّة إلى قيام الساعة، بينما نجد أن كل المسلمين لديهم قرأن في بيوتهم لكن أكثرهم ضالون ومتفرقون، عدا فرقة واحدة وبقية الفرق ضالة ومنحرفة على الرغم من أن القرآن موجود في بيوت جميع أتباع الثلاث وسبعين فرقة، وعلى الرغم من أنهم يعتبرون أنفسهم

عاملين به.

إلى جانب ذلك لو كان الكلام أثناء المرض وفي أواخر العمر لا يُعدّ حُجة ولا ضرورة له ويجب مخالفته، فلماذا لم يخالف عمر وصية أبي بكر التي قالها أثناء ما كان يفارق الحياة، مع انه لم يكن في حالة طبيعية وأُغمي عليه أثناء الوصية عدّة مرات.

أ لم يفرح عمر حينها لأنّ الوصية كانت تصبّ في مصلحته بالرئاسة والدنيا التي كان يسعى اليهما؟ بينما عارض في موقف آخر عندما كان رسول الله يريد أن يوصي حول سبيل هداية الأُمّة إلى قيام الساعة، وبطبيعة الحال إنه كان يريد الوصية بما كان قد صرح به قبل ذلك في غدير خم بأن سبيل الهداية من بعده هو إتباع >القرآن< و>عترته<؛ لأنّ ذلك الموقف لم يكن ليحقق امنية عمر في نيل الرئاسة والدنيا؛ لأنّ كلام رسول الله هذا كان يعني وصيته بخلافة >عترته< وليس >بخلافة عمر<.

إن المدقت للنظر في ما يخصّ أبي بكر وعمر هو أنهما فضلاً عن كونهما موالين ومؤيدين لبني أُميّة وواضعين لأُسس حكومتهم، فهما كانا يعتقدان أيضاً بالتمييز العنصري بين قريش وغيرها من القبائل، وكذلك بين العرب والعجم كما تكشف عن ذلك استدلالاتهما في السقيفة، وكما يتضح من طريقة عزلهما ونصبهما للولاة إبان خلافتهما،

فكانا يعتبران قريش أفضل من الأنصار وغيرهم والاصول العربية أفضل من الاصول غير العربية.

وقد ساوى عمر عطاء العجم من بيت المال بعطاء غلمان العرب[1] ويعني ذلك أنه كان يحتقر ذوي الاصول الأعجمية ولا يساويهم بالعرب، ويرى أن العجم <أي غير العرب> وغلمان العرب وخدمهم وعبيدهم سواء. كما أنه أمر باخراجهم من المدينة، والغلام الأعجمي الوحيد الذي أبقى عليه هو غلام المغيرة بن شعبة، بطلب من سيده ليقوم على خدمة مولاه الشيخ الطاعن في السن، وكان حبّ عمر الشديد للمغيرة وراء قراره هذا. وهو ما يعني أيضاً أن عمر كان يرى أن

---

1. جاء كتاب الأحكام السلطانية - باب قسم الفيء والغنيمة، عن عبادة بن الصامت قال: فقسمه (رسول الله |) بين المسلمين على السواء.
وجاء في سنن أبي داود، باب موضع الخمس: كان أبو بكر يقسم الخمس نحو قسم رسول الله | غير انه لم يكن يعطي قربى رسول الله ما كان النبي يعطيهم.
وفي صحيح البخاري، أبواب غزوة بدر، في تفضيل عمر بعضاً على بعض: كان عطاء البدريين خمسة آلاف، وقال عمر: لأفضلنهم على من بعدهم.
وفي كتاب الأموال لأبي عبيد انه أبى عمر بن الخطاب ان يرث أحد من الأعاجم أحداً من العرب إلا ان يكون ولد في العرب.
وفي موطأ مالك ص 12: وقد أخرج عمر غير العرب من المدينة في اخر حياته.
وفي كتاب تاريخ المدينة لابن شبة: إنّ عمر امر بان لا يدخل المدينة أحد من العلوج يعني العجم.
وجاء نظير هذا في كتاب الأموال لأبي عبيد في أبواب الخمس، وفي طبقات ابن سعد، وفي تاريخ المدينة.

العجم لا يليقون بالعيش في المدينة شأنهم شأن أبناء المدينة من العرب. وقد دفعت نزعة عمر العرقيّة أولئك الذين كانوا يعتقدون بسنة رسول الله وحكم القرآن حول >تساوى العرب والعجم والقريشيين مع غيرهم< إلى الثورة ضده وقيام غلام المغيرة بقتله.

ومن بعد أبي بكر وعمر، دعم بنو أُميّة من مهّد لمجيئهم الى الحكم، أي دعاة التمييز العرقي بين العرب والعجم والاعتقاد بتفوق الأصل العربي، ولذا ساند >العجم< بعد ثورة الحسين بن علي والثورات الشعبية المطالبة بالثأر لدمه والمناهضة لبني أُميّة، الثوارَ الموالين للحسين وآل محمد والمنهاج النبوي الداعي الى المساواة بين العرب والعجم. فكان قاتل عمر من العجم كما أن أغلب معارضي حكم بني أُميّة كانوا من العجم أيضاً. وقد تمكن المطالبون بالثأر للحسين بمساعدة العجم المدافعين عن تساوي الجنس العربي والأعجمي من القضاء على >حكم بني أُميّة< بشكل كامل وتام. وكذلك القضاء على الأفكار العنصرية ونظرية تفوق العرب على العجم >التي كادت أن تصبح جزءاً من العقائد الإسلامية أثناء حكم أبي بكر وعمر وبني أُميّة. بينما كاد أن يطوي النسيان سُنّة رسول الله في مساواة العرب مع العجم<. فاستطاعوا إحيائها ثانية

وحالوا دون أن يصبح الحسّ العرقي وتفوق العرب على العجم، كسُنّة عمريّة، جزءاً من الدين.

وخلاصة الكلام هي: هل كان هناك إجماع على بيعة أبي بكر أم لا؟

1. في كل الأحوال لم يكن هناك منذ البداية إجماع على قبول رئاسة أبي بكر:

2. ومن المسلّم به، أن شخصين فقط قد بايعا أبا بكر في السقيفة، وهذان الشخصان هما عمر وأبو عبيدة الجراح. وقد نقل البعض أن رجلاً من الأنصار كان مناهضاً لـ(سعد بن عبادة) قد بايع أبا بكر أيضاً في السقيفة نكاية بسعد (الذي كان يتنازع مع عمر). ويدعي بعض الموالين لأبي بكر أن >المهاجرين القريشيين< فقط الذين كانوا أقلية في المدينة قد بايعوا أيضاً، وأما الأنصار وسائر الناس فلم يبايعوا أبداً.

ثم إن أغلب الصحابة لم يبايعوا أبا بكر في السقيفة، والذي حصل هو أن أبا بكر وعمر وأبو عبيدة الجراح توجهوا من السقيفة إلى مسجد النبي، فاجتمعت قبائلهم لمبايعة أبي بكر، وهي قبيلة تيم وعدي وبنو أُميّة والقريشيون الذين قُتل ذويهم في غزوات رسول الله على يد علي وكانوا خصوماً ومبغضين لبني هاشم. بعد ذلك قام هؤلاء بأخذ البيعة له من معارضيه بالقوّة والسيف. وقد تحدث تاريخ

الطبري عن الهجوم على بيت علي من أجل أخذ البيعة منه، ورغم أن علياً وبني هاشم من عترة رسول الله وكذلك سعد بن عبادة رئيس الخوارج وقبيلة الخزرج من الأنصار لم يبايعوا أبا بكر وعمر حتى النهاية، إلا أن أبا بكر ومؤيديه تمكنوا من خاتمة المطاف من إقناع إغلب الصحابة الذين كانوا يفرون من الغزوات عندما يشعرون بالهزيمة للانضمام إلى صفوفهم. وقد ذكر سبحانه وتعالى فرار أكثرية الصحابة في سورة آل عمران في الآية {**اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ**} وفي سورة التوبة في الآية {**ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ**} وكذلك تركهم صلاة الجمعة الواجبة خلف رسول الله، وتركه وحيداً، طمعاً في اللهو والتجارة وذلك في آخر سورة الجمعة. أما باقي المسلمين الذين كانوا قد جاؤا إلى المدينة بعد فتح مكّة ولم يكونوا يُسمّون مهاجرين ولا أنصار إلاّ أنهم كانوا يشكلون أكثرية الصحابة الموجودين في المدينة، فلم يكونوا موضع اهتمام الأهالي الاصليين والقريشيين، حتى تكون هناك فائدة من اعترافهم كما لم تكن هناك حاجة لبيعتهم. ولم يكن الطامعون بالسلطة يهتمون لهم أو يحسبون لهم أي حساب.

رسول الله بيّن للأُمّة سبيل النجاة من الضلال إلى يوم القيامة

أيهما سبيل النجاة:

- إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله و«سنتي» ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً -[1]

أو حديث: <إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله و«عترتي»، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً>.[2]

---

1. في الكتب القديمة جاء فقط في «موطأ مالك< ولكن من غير سند. ولم يرد في الكتب الستّة.
2. مسلم في باب فضائل علي بن أبي طالب.
- سنن الترمذي في أبواب المناقب، اعتبر سندها صحيحاً.
- السنن الكبرى، النسائي، ج5، ص 51.
- أحمد في مسنده، ج3، ص14، 17، 26، 59.
(ابن كثير في تفسيره، ج4، ص 122، طبعة بيروت، دار المعرفة: وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله (ص) قال في خطبته بغدير خم:
إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وانهما لم يفترقا حتّى يردا علي الحوض.
- وقال ابن كثير في البداية والنهاية، ج5 ص 228 - بيروت دار احياء التراث العربي: قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: وهذا حديث صحيح).
(هذا الحديث فضلاً عن صحّة سنده، متواتر ايضاً، ونقل من طرق مختلفة عن عددٍ كثير من صحابة رسول الله (ص). وانكار تواتره عناد ومكابرة).

صحيح أن «بين هذين الحديثين، تعارض، وواحد منهما صحيح فقط» فقد كثرت بعد رسول الله وفي غيابه الأحاديث الموضوعة والأكاذيب المنسوبة إليه. وبات من الصعب العثور على حديث يدلنا على السُنّة الواقعيّة من بين الأحاديث المتعارضة الموجودة. ومن هنا تبرز ضرورة وجود >مرجعية عالمة تماماً بكل السُنّة< لمعرفة >السُنّة الواقعيّة< وتشخيص >أحاديثها< عن الأحاديث الموضوعة.

وجاء تعريف >العترة< من قبل الله ورسوله لفترة ما بعد الرسول من أجل هذا التشخيص. فالأئمة عالمون كاملون بكل السُنّة ومعصومون، وتشخيص العترة بوصفهم >مرجعاً علمياً وكاملاً< هو طريق نجاة الأُمّة من الأحاديث الموضوعة بعد رسول الله، وكذلك حفظ السُنّة الواقعية من التحريف بعد الرسول عن طريق التمسّك بالعترة وحسب. ولذلك قال أن التمسّك بالقرآن والعترة من بعده ينقذكم من الابتلاء بـ >الأحاديث الموضوعة وتغيير وتحريف الأحاديث النبوية<.

أما حديث كتاب الله >وسنتي< فلم يحدد مرجعاً علمياً كاملاً وسبيلاً للنجاة من الضلالة بعد رسول الله ومنقذاً من الأحاديث المتعارضة والمتناقضة المختلف فيها. وفي الوقت ذاته اعتبر الأُمّة مصانة من الانحراف، ففي حياة الرسول لم يكن هناك من يجرؤ على

الكذب على رسول الله أو يختلق من عنده حديثاً وينسبه إليه، لأنّ السامع كان بامكانه الرجوع إلى رسول الله مباشرة لمعرفة صدق الحديث أو كذبه وتشخيص كذب الحديث الموضوع. فالرسول حيّ وتستطيع الأُمّة الوصول إليه والسؤال منه عن صدور الحديث عنه أو لا، ومن ثم كان يحمي الأُمّة من الانحراف عن طريق تكذيب الحديث الموضوع.

أما وضع الأحاديث بعد رحيل رسول الله فيختلف تماماً، فقد تحدث الرسول عن أكاذيب كثيرة تنسب إليه بعد وفاته وعن مسلمين يستبطنون النفاق ويظهرون العدالة ويقول عنهم تعالى في الآية 100 من سورة التوبة: {**وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ**} فحتى رسول الله لا يعلم أنهم منافقون، يتقولون عليه ويقومون بوضع الأحاديث ونسبتها إليه ويصدقهم الناس لتظاهرهم بالايمان والعدالة. فيقدمون الأحاديث الموضوعة مكان >الأحاديث الصحيحة< و>السُنّة الواقعية< فيحرفون الأُمّة حيث لا يكون بمقدورها الوصول إلى رسول الله بعد رحيله للسؤال منه عن هذه الأحاديث الموضوعة والمتعارضة والمتناقضة: أيّها من السُنّة الواقعية وأيّها مخالفة للواقع وموضوعة و مبتدعة من قبل المنافقين المتظاهرين بالعدالة! وهنا لا تجدي التحقيقات الرجالية نفعاً أيضاً لأنّه إن كان رسول الله غير

قادر على معرفة المنافق المتظاهر بالايمان والعدالة، فمن الأولى أن لا تستطيع الأُمّة تشخيص المنافق المتظاهر بالعدالة من المؤمن الواقعي وفرز الأحاديث الموضوعة عن الأحاديث الصحيحة الواقعية.

ولا يبقى سبيل لتحديد >السُنّة الواقعية< من بين الأحاديث الكثيرة المتعارضة والمتناقضة والمختلف فيها من بعده، إلاّ أن يُعيّنِ النبي من بعده أئمة عالمين تماماً بكافة السُنّة ومعصومين عن الخطأ، يقومون بتحديد السُنّة الواقعية للأُمّة من بين الأحاديث المتعارضة والمتناقضة. وقد ذكر في حديث الثقلين الأئمة كمرجع علمي ومصان من الخطأ لمعرفة السُنّة الواقعية من السُنّة الموضوعة ومن أجل الاستنباط الصحيح وعدم الاستنباط الخطأ. وهو ما يعني أن العترة بعد رسول الله هي الحافظة للسنّة الواقعيّة.

ويتبيّن مما تقدم أن المراجع العلمية العالمة بشكل كامل بجميع القرآن >أي العارفة بكافة التفاسير الصحيحة لكل الآيات والعالمة تماماً بجميع المعاني الواقعية والصحيحة للقرآن< وكذلك بكل السُنّة الواقعيّة لابد أن تكون ذات موهبة علمية الهية لأنّ العلم الكامل >من دون خطأ بجميع تفاسير القرآن الصحيحة وبجميع السُنّة الواقعية، غير ممكن من دون تأييد وعلم الهيّين؛ لكي نتمكّن من إرشاد كل

أتباع الدين في جميع المسائل وعلى امتداد التاريخ إلى قيام الساعة في غير انحراف وخطأ. وهذا طبعاً أمر متعذّر إلاّ أن يعيّن رسول الله إماماً للأُمّة منصوباً من الله، ويتّصف بما يلي:

أوّلاً: مؤمناً حقيقياً لا منافقاً يتظاهر بالعدل؛ ذلك لأن القادر الوحيد على تشخيص كل المؤمنين من كل المنافقين هو الله وحده.

ثانياً: أن يكون عالماً كاملاً بجميع التفاسير الصحيحة للقرآن وكذلك عالماً كاملاً بجميع السُنّة الواقعية (وأن تكون له القدرة على الاستنباط الصحيح الواقعيّ بلا خطأ مما ورد من أحاديث في الحالات التي لم يرد فيها حديث في السُنّة الواقعية) وهذا شيء متعذّر بدون موهبة في العلم الالهي وارتباط بالملائكة (أي أن يكون العبد مُحَدّثاً) ولا يختص الأنبياء بهذا الارتباط فـ >مريم< كانت تكلمها الملائكة وتتلقى منهم بعض الأخبار مع أنها لم تكن من الأنبياء.

وعلى أي حال لقد أراد رسول الله في غدير خم وفي مواطن أُخرى من خلال حديث: >كتاب الله وعترتي، الأئمة من العترة< أن يُعرّف للأُمّة >مراجع علمية سياسيّة وعالمة كاملة بجميع التفاسير الصحيحة للقرأن وبالسُنّة الواقعية ومصانة من الخطأ< لأنّ >حفظ الأُمّة من الضلال والانحراف إلى قيام الساعة< أمر غير ممكن من دون أمثال هؤلاء

القادة المعصومين >الذين هم في أعلى درجات الايمان و عالمون كاملون بكل التفاسير الصحيحة للقرآن وبكل السُنّة<.

إن الدقّة في صدر وذيل >حديث الثقلين< يوحي لنا بما يلي:

1. أن قول رسول الله في صدر حديث الثقلين يرتبط بما بعد حياة النبي أي أنه يخص زماناً لا تستطيع فيه الأُمّة الوصول إلى النبي بشكل مباشر. وكلمة تارك في الجملة (إني تارك فيكم) تعني إني تارك بعدي.

2. ذيل الحديث المتقدّم >لن تضلوا بعده أبداً< يعني أن التمسّك بالقرآن والعترة هو وسيلة لنجاة أتباع الدين من الضلال إلى قيام الساعة، وبالتالي فإن الأُمّة لا تستطيع النجاة من الانحراف والضلال من دون الرجوع إلى العترة العالمة بشكل كامل بكل التفسير الصحيح للقرآن وبكل السُنّة الواقعية< بذريعة أنها تستيطع بنفسها تشخيص السُنّة الواقعية من بين الأحاديث المتعارضة والمتناقضة من دون الرجوع إلى الأئمة من العترة الطاهرة، في حين وُضعت ونُسبت إلى رسول الله في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث للهجرة أحاديث كثيرة، بلغ عددها المليون حديث. أي ألف ألف حديث.

لقد أراد رسول الله في غدير خم من خلال خطبة الغدير وحديث الثقلين

تعيين مرجع علمي (مؤمن حقيقي وعالم كامل بكل التفسير الصحيح للقرآن ولكل السُنّة الواقعية) باسم >الأئمة من العترة< لكي يصونوا أتباعهم من الانحراف والضلال إلى يوم القيامة.

وليس كما يقول السيدان >عبد الغني الشاهوزي< و>محمد سليم آزاد<[1] بأن رسول الله كان يريد أن يستبدل إتّباع >سنته< بـ >إتباع عترته< ومن ثم تعطيل العمل بسنّته. وهذا كذب بيّن **لأنّ الرسول قد ترك عبر حديث الثقلين مرجعاً علمياً لحفظ >سنته الواقعية< من التحريف، ونحن نقول أن رسول الله أراد أن تكون العترة بعده حافظة >للسنة الواقعية< من التحريف والحذف والاضافة والتغيير، ولم تكن غايته إعطاء العترة قيمة واعتباراً أكبر من سنته الواقعية؛ لأنّ قيمة العترة تأتي من حفظها للسُنّة الواقعية بعد رسول الله من التحريف والتغيير والحذف.**

ولهذا نلاحظ أن من يتصورون أنفسهم من فرق عامة المسلمين أتباع >أهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي< وأنهم

---

1. كتاب >غدير مولاي مؤمنان وما أهل سنت< >غدير مولى المؤمنين ونحن أهل السنة< تأليف >محمد سليم آزاد< و>أيوب كنجي< ص 68: >بلاشك أن أغلى شيء بعد كتاب الله، هي سنّة رسول الله <.
ويقول عبد الغني الشاهوزي في المؤتمر العلمي التحقيقي للمذاهب الإسلامية السابع عشر، ص 90؛ لو جيء مكان كتاب الله > سنة رسول الله < بكتاب الله و>العترة< يلزم ذلك أن يفقد قول رسول الله >أي السنّة< إعتباره.

يأخذون السُنّة من أئمة من غير العترة الطاهرة، نلاحظهم غارقين وتائهين في كم هائل من أحاديث مختلفة ومتعارضة مع بعضها، وتدعي كل فرقة - بما لديها من سنن وأحكام مخالفة ومعارضة لأحكام وسنن سائر الفرق الأربعة الاخرى - أنها هي صاحبة السُنّة الواقعية، بينما السُنّة الواقعية واحدة فقط من بين السنن المتناقضة والمتعارضة، وكلّ ما سواها بدعة، وكذلك هنالك من بين المذاهب ذات السنن المتعارضة، مذهب >مذهب حق< واحد فقط، ولا يمكن أن تكون هناك أكثر من فرقة وأكثر من مذهب، كلّها على حق. وأما سائر الفرق المعارضة للفرقة الحقة الناجية، فهي من أهل البدعة وليست من أهل سنّة. وبالتالي ليس لأهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي إمام واحد ولا مذهب واحد، وهم ينقسمون في الفقه والعقائد والقيادة السياسية إلى مذاهب وفرق متعددة ومتعارضة وسنن متناقضة، والتابعون الحقيقيون للقرآن والسُنّة الواقعية هم فقط شيعة علي الحقيقيين.

1. وفضلاً عن ذلك فإن حديث الثقلين >كتاب الله وعترتي< حديث متواتر ومُجْمَع عليه من قبل الامّة، بجميع مذاهبها سواء المذهب الشيعي منها أم مذاهب أهل العامة. وهذا الحديث موجود أيضاً في المصادر القديمة لأهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي ويقول عنه

>الترمذي<: حديث حسن السند. أما حديث >كتاب الله وسنتي< فلا تُجْمع عليه الأُمّة وهو غير مقبول لدى الشيعة.

إضف إلى ذلك أن حديث الثقلين كتاب الله >و سنتي< لا وجود له في المصادر القديمة لأهل العامة إلاّ في موطأ مالك، ومن غير سند. ثمّ قام الحاكم النيشابوري في ما بعد بجمع أسانيد له منقولة عن طريق أشخاص مبغضين لعلي بن أبي طالب، أو قام بنقلها من يُحتمل بغضه له، وفي مثل هذه الحالة لا يمكن أن يكون أي منها معتبراً.

2. والتاريخ شاهد أيضاً على كذب حديث كتاب الله وسنتي؛ لأنّ الزعامة العلمية والزعامة السياسية لأتباع أبي بكر وعمر منفصلتان عن بعضهما. هذا فضلاً عن أنهما غير مصانتين من الخطأ. وبالتالي ليس لهم مذهب واحد في >الفقه< و>العقائد< و>الزعامة<. والزعماء المتصدون لكل من الشؤون الفقهية والعقائدية والسياسية كثيرون ومتعددون ومتعارضون حتى في الزمن الواحد. وبالتالي فهم يعيشون حالة من الفرقة والضلالة. إنّ >صراط الحق< لا يتعدد ولا يكون أكثر من >مذهب و صراط واحد<، بينما الصراط غير المستقيم يمكن أن يتعدد ويتعارض مع بعضه، كما هو الحال في مذاهب >عامة المسلمين< وزعمائهم العلميين والسياسيين المتعارضين وكل مذاهبهم

العقائدية والفقهية، أي أئمة المذاهب الأربعة وغيرهم الذين انشأوها في القرون التالية مثل المذهب الحنبلي، والحنفي، والمالكي والشافعي التي ظهرت في القرنين الثاني والثالث للهجرة، والمذهب الوهابي في القرن الثالث عشر والرابع عشر. . . الخ. وكل واحد من هذه المذاهب يعتبر المذاهب الاخرى ضالة ومنحرفة ويتهم بعضها - مثل الوهابيين - غيرهم بالشرك ويعتبرون سفك دماء سائر المسلمين حلالاً بل واجباً.

وكما أن رسول الله قد عيّن الأئمة من العترة مرجعاً علمياً ليكونوا حفظة للسنة الواقعية إلى قيام الساعة، فانه قد نصبهم مرجعاً سياسياً للأُمّة كذلك لكي ينضوي شيعة >علي وعترة رسول الله< تحت زعامة علمية وسياسية واحدة، ولا يعانون مختلف أشكال التفرقة العلمية والسياسية وكذلك العرقية والقومية في الحكم لأنّ الزعامة السياسية إذا كانت من دون نظام الهي موحد وغير معيّنة من الله تعالى، أو أنيط بالناس أنفسهم إنتخابها، فسيحاول كل قوم أو عرق لتشكيل زعامة مستقلة ودولةً مستقلةً لنفسه و>عدم تعيين قيادة من قبل الله ورسوله يكون مساوياً لإيكال الأُمّة إلى نفسها لتأخذ طريقها نحو التجزئة والتفرقة والانحراف والحرب الداخلية،

وبسبب تأييد الرسول وتعيينه في الأحاديث المتواترة عنه ونيابة عن الله يتمكن مهدي هذه الأُمّة في آخر الزمان من توحيد الأُمّة وجمعها حوله وتشكيل امة إسلامية واحدة. ومن المستحيل أن يأمر سبحانه في القرآن ورسوله في سنّته، الأُمّة بالوحدة ولا يكون قد عيّن القيادة العلمية والسياسية المنصوبة من قبله والتي هي أداة لحفظ الوحدة. لكن عندما يعيّن رسول الله في غدير خم من سلسلة الأئمة من العترة مراجع علمية وسياسية، لما بعده، فعندئذٍ يتحمل ذنب تفرقة الأُمّة المتفرقون أنفسهم؛ لأنّهم لم يتّبعوا الأئمة من العترة المنصوبين من قبل الله ورسوله.

وينتج عن ذلك ما يلي، أوّلاً: أن ما يفهم من مضمون صدر حديث إني >تارك< فيكم الثقلين >كتاب الله وعترتي< أنه يتحدث عن فترة ما بعد رسول الله حيث تضيع الأُمّة من دون الأئمة من العترة بين أحاديث متعارضة ومتناقضة كثيرة فلا ندري (أيّة سنّة واقعية وصادقة؟ وأيّة سنّة زائفة؟ وما هو المذهب الحق؟ وأي مذهب من المذاهب المتعددة، على الحق ويتبع السُنّة الواقعية؟).

2. ومضمون ذيل ذلك الحديث: «ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً» يفيد أنه في «مثل الزمان الذي أعقب رحلة رسول الله» أن الأُمّة من بعد رسول الله لا

تستطيع النجاة >من الانحراف والضلال إلى قيام الساعة< بدون الرجوع الى «العترة العالمة الكاملة بكلّ السُنّة الواقعية» وأن سبيل نجاتها ينحصر في إتّباع الأئمة من العترة.

ومحصّلة الكلام هي أن الأُمّة بعد رسول الله انقسمت إلى فرقتين:

1. إحداهما الموالون لـ >عترة رسول الله< امتثالاً لوصيّته بالقرآن والعترة: >ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا أبداً< وستبقى هذه الفرقة على الصراط المستقيم مادامت تعمل بوصية رسول الله ولم تترك القرآن.

2. الفرقة الثانية هم أتباع >أبي بكر وعمر< الذين يرون أنفسهم بأخذهم بـ >القرآن والسُنّة< في غنىً عن >مرجع علمي منصوب من قبل الله كالعترة<. وقد سارت هذه الفرقة ولا زالت تسير خلف كل مدعي للعلم وكل مدعي للإمامة من غير العترة، زاعمة بأن رسول الله قد قال: ما إن تمسّكتم بهما >أي القرآن والسُنّة< لن تضلوا أبداً. أي لا ضرورة الى الرجوع بعد الرسول إلى مرجع علمي كامل مثل الأئمة من العترة >الذين هم عالمون تماماً بكل القرآن والسُنّة الوافية<. ومع ذلك نجد أن أشياع >أبي بكر وعمر< يتناقضون ويتعارضون من الناحية العملية في >العقائد< و>التوحيد< و>الفقه< و>السياسة< مع القرآن والعقل. وقد تقدم تفصيل القول في هذا الموضوع،

بل انقسموا بينهم إلى فرق متعارضة ومتناقضة ويستحيل أن تكون العقائد والأحكام والسياسات المتعارضة كلها حق.

يتأكد مما تقدم مدى التيه والحيرة والضلال الذي عليه أشياع أبي بكر وعمر وأنه حتمي ولا يمكن إنكاره.

>وعندما جمع رسول الله في أوائل البعثة في مكّة في بيت أبي طالب أهله وعشيرته وطلب من بني هاشم المساعدة والعون على نشر الدين الجديد على أن يكون من يقف إلى جانبه وصيه وخليفته، لم يعلن أحد حينها وقوفه إلى جانب الرسول والاستعداد لنصرته إلا علي بن أبي طالب؛ فجعله وصيه وخليفته من بعده: >إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا<.

تاريخ الطبري، ج 2، ص 62 - 63، الناشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت.

وعملياً، يلاحظ بوضوح أن تعارض >أئمة أبناء العامّة مع بعضهم< وتعارض >أرائهم مع القرآن والسُنّة المتواترة< أدى إلى تفرق >أبناء العامّة< وانحرافهم في الامور التالية:

1. التوحيد حيث يعتقد أئمة هذه المذاهب أن الله سبحانه وتعالى قابل للمشاهدة الحسيّة ولو في الآخرة. ويصرح البعض مثل إبن تيمية والوهابيين أن الله جسم، بينما ينكر البعض الآخر ذلك ويعدونه شركاً،

وبالتالي هم ينقسمون إلى فرق متعارضة ومتناقضة. بينما يعتقد > شيعة علي< أن الله تعالى غير قابل للرؤية والمشاهدة الحسيّة بصريح القرآن والأحاديث النبوية الواردة عن طريق الأئمة من العترة كما يذهبون إلى ان الله لا يحدّه مكان وإنما هو عزّ وجلّ فوق الزمان والمكان وهو محيط بكل العالم.

وعلى أية حال، عقائد عامة المسلمين في الله تعالى متعارضة ومتناقضة مع بعضها ومع القرآن ومن المستحيل أن تكون كل عقائدهم حقة وسليمة من الانحراف.

إن الحديث المتفق على رسول الله بأن الناس بعده يمكنهم بأنفسهم من خلال إتباع القرآن والسُنّة >من دون الحاجة إلى مرجع علمي عارف وعالم بكل السُنّة الواقعية مثل الأئمة من العترة< أن ينجو من التفرقة والضلال، على خلاف العقل والواقع ونسبته إلى رسول الله كذب وقد ثبت كذبه على مرّ التاريخ.

وأما في التوحيد والعقائد:

2. أن المسلمين من أبناء العامة إما يعتقدون بالجبر وهو أن الإنسان يُذنب ويدخل جهنم بإرادة الله وهو غير مختار في ذلك. أو

3. أنهم يعتقدون بأن الإنسان فاعل مختار يقوم بتحديد مصيره بنفسه وأن الله ليس له أي دخل في العالم وحياة البشر، بينما كلا العقيدتين أعلاه أي

عقيدة الأشاعرة في الجبر والمعتزلة في التفويض، انحراف وضلال والحق هو ما عليه الشيعة، فالشيعة تعتقد أنه >أمر بين الأمرين< أي الاعتقاد المطلق بالجبر غير صحيح وأن الله هو أرحم الراحمين لا يُجبر العباد مطلقاً على إرتكاب الذنوب والظلم، كما أن عقيدة التفويض ليست صحيحة أيضاً. فالصحيح أن الإنسان فاعل مختار، لكن الله سبحانه وتعالى يتدخل في حياة البشر حيثما تكون في ذلك منفعة للبشر؛ ولهذا يرسل الأنبياء ويكلفّهم بهداية البشر. فهو عزّ وجلّ يتدخل متى ما كان هناك مصلحة للإنسان.

4. وأما في >الفقه< فلم يكن لأتباع أبي بكر وعمر إلى ما قبل القرن الثاني للهجرة إماماً واحداً. ولم تكن أي من المذاهب الأربعة قد ظهرت بعد، بل كانوا يتبعون فقهاء مختلفين يطرح كلّ واحد منهم فتواه التي تتعارض وتتناقض مع فتاوى الفقهاء الآخرين. وفي أعقاب ظهور الفقهاء الأربعة أي أئمة المذاهب الأربعة بعد القرنين الثاني والثالث للهجرة ابتدع كل منهم مذهباً معارضاً ومتناقضاً مع المذاهب الاخرى. وفي القرن المعاصر ظهرت أيضاً فرقة ومذهب باسم المذهب الوهابي هم أتباع >محمد بن عبد الوهاب< ولا يتبع هؤلاء أيّاً من أئمة المذاهب الأربعة فهم أصحاب طريقة ومذهب جديد ويتهمون المذاهب الاخرى

المخالفة لهم بالكفر والشرك ويبيحون دماء أتباعها.

وعلى أية حال، لا يملك عامة المسلمين مذهباً موحداً في الفقه، وأئمتهم الأربعة قد ظهروا في القرنين الثاني والثالث للهجرة ولازالت مذاهبهم موجودة إلى الآن، وهي جميعها تتعارض مع الوهابية مذهبياً، في حين أن المذهب الحق والصراط المستقيم واحد لا أكثر.

بينما الشيعة مذهب واحد لا يتعدد جميعهم يتبعون في الفقه والعقائد والسياسة >الأئمة من العترة< الذين هم إثنا عشر إماماً في حديث متواتر عن رسول الله وينهجون في العقائد وفي الفقه ونظام القيادة السياسية النهج الذي حدده رسول الله في >حديث الثقلين كتاب الله وعترتي<؛ فهم الصراط المستقيم الأوحد الذي لا يمكنه أن يتعدد، في حين أن عامة المسلمين أشياع الأئمة >من غير العترة< شتات بين مذاهب متعددة ومتعارضة ومتفرقة في القيادة السياسية وفي الزعامة العقائدية والإمامة الفقهية.

5. في >السياسة<: ليس لعامّة المسلمين مذهباً ومنهجاً خاصاً في السياسة؛ فهم يعيشون في حالة فوضى سياسية ويعتبرون إتّباع الحاكم الظالم واجباً شرعياً، حيث يعتبر مثل هذا النظام السياسي الذي يُوجّب الخضوع للاستبداد من أحطّ النظم في

تاريخ العالم، فحتى الأنظمة الغربية التي هي أنظمة غير إلهية وهي أنظمة ديمقراطية تندد >بالانظمة الدكتاتورية والمستبدة< وتعطي الشعوب المظلومة حقّ الثورة والاعتراض على الحاكم المستبد، أما نظام القيادة عند عامّة المسلمين، كما ينسبه البخاري ومسلم إلى رسول الله فإنه يعتبر طاعة الحاكمة حتى لو كان ظالماً، واجباً شرعياً. وهذا خلاف نص القرآن الشريف في سورة البقرة الذي يُخطاب به تعالى نبيه ابراهيم بأنه لا ينال عهد الإمامة ظالم مستبد {**لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**}. فأحاديث البخاري ومسلم والحكم المخالف للعدالة والعقل الذي ينسبانه إلى رسول الله كذب محض. فهو لم يأت أبداً بحكم يتعارض مع القرآن ومن المؤكّد أن هذه الأحاديث من وضع المنافقين وهي ضلال قطعاً.

والخلاصة أن عامة المسلمين >أهل السُنّة الاصطلاحية< يتخبّطون في الفوضى والتفرقة والضياع بين المذاهب والحكومات المتعارضة على مستوى الزعامة الدينية والسياسية[1].

---

1. كتاب «تبين كذب المفتري»، تأليف ابن عساكر طبعة بيروت، دار الكتاب العربي، ص 310 : «إن جماعة من الحشوية والأوباش الرعاع المتوسمين بالحنبلية أظهروا ببغداد من البدع الفظيعة والمخازي الشنيعة ما لم يتسمح به ملحد فضلاً عن موحد».

بينما للشيعة أي أتباع الأئمة من العترة مذهب حق واحد لا أكثر في الامور الدينية السياسية، وهو اتّباع أئمة عترة رسول الله الذين أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم المهدي من آل محمد، وتقليد >الفقهاء العدول< في زمن غيبة الإمام المهدي # امتثالاً لوصيته. ويعمل هؤلاء الفقهاء ضمن الصراط المستقيم الذي ينطبق مع القرآن والسُنّة المتواترة عن رسول الله. فهم لا يتّبعون الجاهليين ولا الظالمين، بل يرون إمامة هؤلاء - كما نص على ذلك القرآن والسُنّة المتواترة - حراماً وإتباعاً للطاغوت. وعند ظهور المهدي من آل محمد ينقاد لأمره # جميع علمائهم وسوف لا يبقى بينهم أي اختلاف في المسائل الجزئية، مما كان موجوداً بسبب غيبته # عن الأُمّة خشية أن يقتله الأئمة من غير العترة، وبالتالي يصير هذا الاختلاف الجزئي في عنق أبناء العامّة وأئمتهم وقادتهم الظلمة.

فالقرآن يقول: {**لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**} وهذا يؤيد ما جاء في السُنّة المتواترة: >إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما تمسّكتم بهما لن تضلوا أبداً<.

- كتاب الانتفاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء - تأليف ابن عبد البرّ، ص 149، 150، «استتيب أبو حنيفة من الكفر مرتين».

وخلاصة القول، أن الفارق الأساسي بين المذهب الشيعي والمذهب السنّي، فضلاً عن >المعرفة الصحيحة بالله< والمعرفة الصحيحة برسوله في المذهب الشيعي، هو امتياز في المذهب الشيعي عن المذهب السنّي في أصل >الإمامة<، أن الإمام في المذهب الشيعي فضلاً عن أنه إمام هو:

1. «عادل وعالم كامل».

2. و«منصوب ومؤيّد من قبل الله تعالى: أي أنه تعالى يهبه علماً كاملاً بكل التفسير الصحيح للقرآن ومعرفة صحيحة بكل السُنّة الواقعيّة.

3. بالتأييد الإلهي الذي يُستشف من حديث الثقلين: >كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا<، معصومون من الخطأ في هداية الأتباع وفي القيادة» ليتمكن من هدايتهم إلى قيام الساعة في المسائل العقائدية والأحكام والسياسة.

4. وقد اعتبرت >العدالة< شرطاً أوّلاً في النيابة عن الإمام المعصوم في المذهب الشيعي، بينما لا يشترط أهل السُنّة في الإمامة، العلم والعدالة ونا هيك عن العصمة). فعندما يتسلط أحد على الناس بأنه طريقة من الطرق ولو بسفك الدماء، حتى وإن كان أجهلهم بالدين وأكثرهم ظلماً ونفاقاً فانه يسمى إماماً ويجب إتباعه.

ومثل هذا المذهب الذي لا يشترط العلم والعدالة في القيادة، ويوجب

إتّباع أكثر الحكام جهلاً وظلماً، فهو ولا شك يمثّل أحط أنظمة القيادة على مدى تاريخ البشرية، ولا يمكن بحال أن يكون مقبولاً لدى أكثر شعوب العالم التي تطالب بانظمة عادلة وتتماشى مع العقل.

وقد بدأ هذا المذهب >المنحط والعنيف< يخسر مؤيديه وأتباعه بالتدريج مع تنامي المعرفة والعقلانية في العالم.

البخاري وعدم بيعة علي لأبي بكر

إعترف >عمر< ونقل اعترافه >البخاري< في باب >حد المرأة الجبلى< إن عليّ بن أبي طالب وبني هاشم و سعد بن عبادة والأنصار قد عارضوا بيعة أبي بكر؛

1. وباعتراف >تاريخ الطبري< وغيره، أن >سعد بن عبادة< لم يبايع إلى آخر عمره أبا بكر ولا عمر من بعده الى أن قُتل غيلة في خلافة عمر.

2. بعدما بيّن رسول الله في خطبة غدير خم أن الإمامة نظام إلهيّ خصّ به الأئمة من العترة إلى قيام الساعة، أخذ بيد علي بن أبي طالب وأعلنَ للحاضرين أنه ولي المسلمين من بعده. ومعنى ذلك أن مقام الإمامة عند شيعة علي منصب الهي شأنه شأن مقام الرسالة. فقد جعل الله سبحانه وتعالى الإمامة لابراهيم، فقال في القرآن بهذا الخصوص: {**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**} وعندما طلب ابراهيم أن تكون الإمامة في ذريته أيضاً، جاء جواب الله عزّ وجلّ أنه: {**لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**}. أي أني لا أنصب الظالم في منصب الإمامة مطلقاً. ويعتبر تعالى في هذه الآية الإمامة عهد الله للإمام الذي قام هو بنصبه. فالإمام عند الشيعة مُعيّن من الله، كما أن علمه من عنده وهو على إتصال بالملائكة، وهو لا يذنب ولا يعصي، بل حتى أنه لا يخطأ أيضاً لأنّه >إمام هادٍ للحق< ومنصوب من قبل الله، وهو تعالى يقول في الآية 123 من سورة طه أن من يتبع ويقتدي بهداه أي

بهداية الهادين المنصوبين من قبله، لن يضل أبداً ولن ينحرف عن جادة الصواب:

{**مَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**}.

وعلى هذا الأساس، يعتقد شيعة علي أن الإمامة منصب إلهي، وأن الله تعالى هو الذي يُعيّن الإمام وليس الناس. ولهذا سواء إقتدت الأمّة بالإمام والخليفة المنصوب من قبل الله، أم لم تقتدِبه، فإنه يبقى إماماً وخليفة بحق لرسول الله. فأمّة (موسى) لم تتبع أخاه هارون عندما عينه عليها إماماً وخليفة، ولكنه مع ذلك كان هو الإمام الحق وليس السامري الذي ترأس امّة موسى. والبيعة التي أخذها رسول الله من الأمّة لعلي بن أبي طالب في غدير خم كانت بيعة إعلان وفاء الأمّة لإمامها المنصوب من قبل الله كبيعة الشجرة التي أخذها لنفسه من الصحابة. فلم تكن بيعة الشجرة لتعيين رسالته وإمامته لأنّ هذين المنصبين كانا للنبي من عند الله وبيعة الشجرة كانت بيعة وفاء من الصحابة على التضحية والفداء بعد أن لاذوا بالفرار في معركة أُحد وتركوا رسول الله وحيداً وخالفوه في صلح الحديبية وتركوه في بادي الأمر بمفرده، ولم يبق معه إلاّ علي الذي ترك الإحرام بأمر رسول الله ليحضر بين يديه ليكتب بخط يده بنود الصلح. بعد ذلك بدأ الصحابة الواحد بعد الآخر بالتوبة عن مخالفتهم له. فتركوا

الاحرام ونفذوا أمر رسول الله. عندئذ أخذ رسول الله من أصحابه المواثيق والبيعة على عدم مخالفته بعد ذلك وعلى العمل بأوامره حتى لو كلفهم ذلك التضحية بأنفسهم، كذلك في غدير خم أخذ منهم المواثيق والعهود على إتّباع علي وعدم مخالفته من بعد وفاته، بعد أن أخبرهم بأن إمامته وخلافته هي من الله.

ويعتقد شيعة علي في ضوء ما جاء في حديث الثقلين >كتاب الله وعترتي< أن الإمامة كالرسالة تعيين من الله تعالى وليس للأُمّة حق الاختيار فيها كي تعين وتنتخب من تشاء. ونعود في ذلك إلى عدد آراء الأُمّة مثلاً لكي نلاحظ هل بايعته الأكثرية أم لا. والذين يعتقدون - مثل علي وشيعته - أن الإمامة والخلافة، تعيين من رسول الله من قبل الله تعالى وأنه قد عيّن في غدير خم سلسلة الإمامة إلى قيام الساعة في الأئمة الإثني عشر من عترته وأولهم علي بن أبي طالب وثانيهم الحسن بن علي وثالثهم الحسين بن علي وبعد الحسين بن علي، تسعة من ذريته. وكان كل إمام يُعرّف بالوصي من بعده. وبالتالي غدا من الواضح أن من يعتقدون بكون الإمامة منصب إلهي وأن الأئمة الإثني عشر أشخاص مُعيّنون من الله تعالى بالإسم والمواصفات، لا يعتبرون أي صحابي آخر إماماً وخليفة بحق لرسول الله، وليس ذلك فقط، بل أنهم

يعدّون مدعي الإمامة وولاية الأمر والخلافة من غير هؤلاء الأئمة المنصوبين من قبل الله، طاغوتاً يجب الكفر به حسب ما جاء في الآيتين 60 و61 من سورة النساء:

{**يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ**}.

وقد ذكر تعالى في سورة البقرة في الآيات المعروفة بآية الكرسي إن الكفر بالطاغوت وبالتالي إطاعة الأوامر الالهية هو وسيلة للنجاة وتمسّك بعروة الله الوثقى. وهذا التمسّك ورد أيضاً في حديث الثقلين >كتاب الله وعترتي<.

تقول الآية: {**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا**} وينص الحديث النبوي على: >إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا أبداً<.

ومن ثم لا حاجة بعد ذلك مع وجود هذه العقيدة، للسؤال: هل بايع علي بن أبي طالب أبا بكر أم لا؟ و هل الأئمة من العترة بايعوا حكام عصرهم أم لا؟

فسلاطين الجور هم من غير العترة، وهم في رأي علي والأئمة من العترة وشيعتهم، طواغيت ومبايعتهم حرام ودخول في فرقة ضالة وهالكة، وليس هذا فحسب، بل إن الكفر بالطاغوت عندهم واجب. وهذا يعني

من المستحيل أن يكون الأئمة من العترة قد بايعوا أئمة الضلال من طواغيت عصرهم. كما أن الله حين أمر بطاعته وطاعة رسوله والكفر بالطاغوت، لم يرخص لهم مثل هذ العمل. ان عليّ بن أبي طالب لم يبايع أبا بكر، فقد إعترف عمر بمخالفة علي لأبي بكر، وليس هذا فحسب، بل أن زوجته فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة ذهبت إلى المسجد بإذنه لكي تعلن هي أيضاً مخالفتها لأبي بكر لدى الصحابة المجتمعين هناك، ولتقول إن ابن عمها علي أحق بالإمامة والخلافة، ولتعبّر عن اعتراضها على قرار أبي بكر الظالم بمصادرة أموالها (مصادرة إرث رسول الله من أراضي بني النضير، وأخذ فدك من فاطمة وهي هبة رسول الله ومنع فاطمة من سهم ذوي القربى في الخمس الذي صرح به القرآن). ولم يجب أبو بكر عن أسئلة فاطمة سوى عن سؤالها عن فدك فقال: إن الأنبياء لا يورثون، وجوابه هذا تكذيب لفاطمة الزهراء بشكل غير مباشر. فرسول الله لم يأت على الاطلاق بحكم يخالف حكم الله في القرآن فسبحانه وتعالى يقول عن <زكريا> في سورة مريم: {**فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ**}.

وقال تبارك وتعالى عن سليمان: {**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ**}، النمل،

الآية 16.

وقد اغضب إعتراض فاطمة لدى الصحابة بوصفها سيدة نساء العالمين، أبا بكر وعمر. فأرسل أبو بكر عمراً مع جماعة وهم يحملون سيوفهم إلى بيت علي ليأتوا به إلى المسجد لمبايعة أبي بكر، وأمرهم أن يكسروا الباب ويحرقوا البيت إذا لم تُفتح لهم الباب. وعندما وصل عمر إلى بيت علي وجاءت فاطمة لتقول لهم من خلف الباب دون أن تفتحها أن علياً مشغول بتنفيذ وصية رسول الله، هدد عمر باحراق البيت إذا لم يأت علي لمبايعة أبي بكر، فقال الناس له إن في الدار فاطمة (سيدة نساء أهل الجنّة) قال: وإنْ.

ونكتفي بهذا القدر من القصة. والتحليل الذي يتبادر إلى الذهن هو أن علياً حين أذنَ لفاطمة بالذهاب إلى المسجد، وكذلك اعتقاله وعدم بيعته لأبي بكر مع تهديده بالقتل أمام الحاضرين في المسجد، قد أفهم جميع الصحابة معارضته لهذه البيعة، حتى وإنْ كلفته هذه المعارضة حياته. وانه ما منعه من النهوض ضدّ أبي بكر وعمر ومن ساندهم، إلا الأسباب التالية:

1. قلة الأنصار المتفانين المستعدين للتضحية بالنفس.
2. كثرة أعداء علي من قريش وغيرها

من القبائل الذين قُتل ذوويهم بيد علي في غزوات رسول الله.

3. أن حديثي الإسلام وضعيفي الايمان الذين كانوا يفرون في غزوات رسول الله عند استشعارهم بوادر الإنكسار، ويتركون النبي وحيداً بين الأعداء، كانوا يشكلون أكثرية المسلمين. ولو وقعت حرب داخلية بين المسلمين بعد رسول الله فلربما يرتد المسلمون وتصبح الإسلام عرضة للزوال والقضاء عليه.

عليّ الذي لم يقاتل من أجل حب الذات مطلقاً وكان يعرض نفسه لخطر مقاتلة أبطال المشركين من أجل حفظ الإسلام، لم يكن مستعداً في تلك الظروف لقتال >المتعطشين للرئاسة< الذين كانوا يلوذون بالفرار من الزحف مع رسول الله عندما يحتملون وقوع الهزيمة، ثمّ تحولوا اليوم إلى عشاق للسلطة ولا مانع لديهم من محاربة عليّ الذي لم يكن يفر من الغزوات على الاطلاق، وقتله من أجل الوصول إلى الرئاسة.

إن ما منع عليّاً من محاربة طلاب الرئاسة، إخلاصه. ولكنه لم يبايع أبا بكر أبداً ولم يكن يسمح له الشرع أن يبايع. ورغم أن امتناعه عن تلك البيعة كلفه الكثير، فقد هاجم الساعون وراء السلطة بيته، واعتدوا على فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة بالضرب مما أدى في النهاية إلى شهادتها؛ حيث ساءت حالتها الصحّية بسبب تلك الضربة التي تعرضت لها

وأخذت تحتضر. وعلى اثر ذلك توتّرت أجواء المدينة مما دفع أبا بكر وعمر للتهيؤ لزيارة الزهراء. أي لم يتحقق لخصوم عليّ ما كانوا يبغون من قتله والسيطرة على السلطة من دون معارض، وإنما حصل العكس فبقيت ضربة فاطمة وقتلها وصمة عار على جبينهم يخجل منها المهاجمون ومن أمرهم بالهجوم وهو أبو بكر.

وبالنتيجة إنتفى خيار قتل علي بسبب عدم البيعة من خيارات أبي بكر وعمر، وحقق علي جزءاً من هدفه الشرعي وهو إعلانه للجميع عدم مشروعية مبايعة أبي بكر، ورسول الله يقول: >علي مع الحق والحق مع علي<. وكان من كلامه في غدير خم فضلاً عن حديث الولاية، حديث الثقلين >إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا أبداً<. وقد نقل >البخاري< مخالفة فاطمة لأبي بكر وكذلك قول رسول الله: >فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد أذى الله<.

إن فاطمة بمخالفتها لأبي بكر وغضبها عليه وعلى عمر إلى آخر العمر، قد كشفت لكلّ ذي لبّ عدم مشروعية حكومتهما وظلمها - ولا يحق للظالم أن يحكم بنص القرآن - وكذلك عدم اعتراف فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة بخلافة أبي بكر لرسول الله، ولهذا أعلنت اعتراضها على حكمه واختلفت

معه وغضبت عليه إلى آخر عمرها. وفي المقابل أطاعت فاطمة أمر رسول الله في غدير خم فتمسّكت بعلي إماماً وولياً للأمر وخليفة بحق لرسول الله. وأرادت مرة أُخرى التأكيد على إختلافها مع أبي بكر وعمر فأوصت علياً بأن لا يخبرهما إذا ماتت لكي لا يحضرا تشييع جنازتها ويصلّيا عليها، وأن يدفنها سراً ولا يخبر أحداً بذلك؛ لكي لا يحضر أبو بكر وعمر عند قبرها. وقد أقرّ البخاري في كتابه المشهور أن عليّاً لم يخبر أبا بكر وعمر عند الصلاة على جثمان فاطمة، ودفنها ولم يخبرهما إلى آخر عمره عن مكان قبرها. وقد بقي قبر فاطمة مجهولاً إلى الآن هل هو في البقيع أو أنها دفنت إلى جوار قبر رسول الله؛ ليكون ذلك دليلاً على غضب فاطمة على أبي بكر وعمر. ولم تذكر كتب تاريخ أبناء العامّة سبب وفاة فاطمة. لذلك يُلاحظ أن المؤرخين يمرّون على قضية وفاتها بعجالة محرفين حقيقة ما حدث، ولا يُبينون سبب وفاتها وهي في مقتبل العمر. كما ولم يعرف أحد موضع قبرها مع أنها سيّدة نساء العالين وأفضل وأشرف من كل النساء وحتى مريم العذراء، على امتداد تاريخ البشريّة.

ولم يُفصح الأئمة أبناء فاطمة عن مكان قبرها للناس ليكون ذلك شاهداً على مخالفة فاطمة لأبي بكر وعمر. ولذلك ظل قبرها مجهولاً مع أن قبر

ابراهيم إبن رسول الله الصغير معروفاً في البقيع، وبقي موضع قبر فاطمة سيدة نساء العالمين مجهولاً ورحيلها عن الدنيا مظلومة وهي في مطلع الشباب. وبقي معه عداء أبي بكر وعمر، واضعي اسس حكم بني أُميّة، لآل محمد إلى هذا اليوم.

وقد قام معاوية بقتل العديد من صحابة رسول الله الذين كانوا من شيعة عليّ بتهمة عدم اعترافهم بأبي بكر وعمر ومعاداتهم لهما. كما وقُتل واستشهد لنفس السبب أيضاً الأئمة من العترة الواحد تلو الآخر بيد طواغيت بني أُميّة وبني العباس.

وقد بلغ هذا الاختلاف ذروته الآن ولا يمكن إنكاره، ومن المعروف أنه حتى القرن الثالث، عصر أحمد بن حنبل، كانت جماعة المسلمين تعتقد بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان فقط، ولم يكونوا يعترفون بـ >علي< حتى كخليفة رابع وكانوا يقومون بلعنه، وينقل كتاب البخاري عن أبن عمر أن >أفضل الصحابة< ثلاثة: 1- أبا بكر و2- عمر و3- عثمان. و« ليس لباقي الناس ولا الصحابة أفضلية على بعض، أي لم يكن علي حتى رابع الخلفاء ولم تكن له أفضلية على الآخرين.

ومنذ القرن الثالث في عصر >أحمد بن حنبل< فصاعداً اعتبر علماء العامة وسياسيو جماعة المسلمين >علياً< خليفة رابعاً وعلّموا ذلك أبناءهم لكي

يتم نسيان العداء بين أبي بكر وعمر وعليّ وآل محمد. وقاموا بوضع أحاديث على أساس أنه لم تكن هناك أية عداوة واختلاف بين هؤلاء الأربعة.

ولهذا فإنّ ما نُقل عن هذا الاختلاف كان قبل هذا التاريخ وفي كُتب تم تأليفها في القرنين الثاني والثالث للهجرة قبل أن يتم الاعتراف بـ >علي< خليفة رابعاً. بعدها صار الحديث يجري عن أربعة أئمة وأربعة خلفاء لجماعة المسلمين وليس ثلاثة.

أي أن جماعة المسلمين وأهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي الذين كانوا على نهج سلاطين وحكام زمانهم في القرن الأول من سلاطين >بني أُميّة< الذين كانوا لا يعترفون بعليّ رابع الخلفاء كما كان يأمرهم بنو أُميّة، وإنما كانوا يلعنونه في مساجدهم وعباداتهم وبالأخصّ في صلاة الجمعة وكانوا يعتبرون بغض عليّ جزءاً من ايمانهم وشعائرهم الدينية. وقد استمر هذا الوضع طوال حكم بني أُميّة الذين كان أبو بكر وعمر سبباً في وصولهم إلى السلطة، وانتهى باجتثاث بني أُميّة على اثر شهادة الحسين بن عليّ وبسبب الثورات الشعبية التي حصلت بعد استشهاده.

لكن كم هو الفارق بين جماعة المسلمين وأهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي وأكثرية المجتمع الإسلامي في زمن بني أُميّة في القرن الأوّل وبين

جماعة المسلمين وأهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي في القرنين الثالث والرابع فصاعداً والموجودين إلى الآن! فهم على العكس من أسلافهم الذين كانوا يعتبرون بغض عليّ جزءاً من إسلامهم وإيمانهم، وهؤلاء يعتبرون محبة >عليّ وآل محمد وذوي قربى رسول الله< جزءاً من ايمانهم وهم يندون بذلك ويتخذون علياً خليفة رابعاً لهم، ولذا كانت أكثرية بل نوع رواة البخاري في القرن الأوّل إما من خوارج النهروان أو ممن كانوا يعتبرون بغض عليّ جزءاً من دينهم، ولم يكونوا يتركون لعنه في صلاتهم اليومية في جُمعهم وجماعاتهم، وبذلك يتضح إستناداً إلى الحديث الذي نقله (مسلم) في أول كتابه أن رسول الله قد قال: أن ليس بين مبغضين عليّ مؤمن وليس بين محبيه منافق... مدى إعتبار أو عدم إعتبار رواة كتاب البخاري، أما الآن فيبدو أن كلام البخاري الذي نقله عن عبد الله بن عمر في أن أفضل الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان، وليس لـ>علي< فضيلة على الآخرين وأن ما عدا هؤلاء الثلاثة، فإن بقية الصحابة جميعهم متساوون في الفضل، لا يجد من يؤيده. في حين أن جماعة المسلمين والأكثرية الموالية لبني أُميّة في القرن الأوّل كانت ترى أن الخلافة تنحصر في ثلاثة أولهم أبو بكر وثانيهم عمر وآخرهم عثمان. وكانوا يعتبرون بغض >علي< جزءاً من

ايمانهم ولعنه جزءاً من عباداتهم وصلاتهم اليومية وجُمعهم وجماعاتهم، ورغم أن عثمان لم يكن حتى خليفة ثالثاً بالنسبة لأكثرية الصحابة التي اعترضت عليه وتمردت وثارت ضده وساعدت أهل مصر على قتله، بل أنه كما وصفته متزعمتهم >عائشة< طاغية، وأمرت بقتله للبدع التي جاء بها. وظلت عائشة متمسّكة برأيها حتى قَتْل >عثمان<. فلما سمعت أن طلحة إبن عمها ومرشحها للخلافة لن يصبح خليفة بعد عثمان بل ستكون الخلافة لعليّ، غضبت فجأة وبدأت تزعم أن عثمان قُتل مظلوماً. وسارعت إلى شقّ عصا الطاعة على الإمام المفترض الطاعة أي >علي<؛ فخرجت مع طلحة والزبير اللذين تربطها بهما صلة قربى[1].

وبقي المسلمون وأكثر الصحابة المعترضين على عثمان على موقفهم منه بعد مقتله، فحالوا دون دفنه في مقابر المسلمين وكأنهم كانوا يعتبرونه كافراً ومنافقاً. فاضطر أهله وعشيرته إلى دفنه ليلاً في >حُشّ كوكب< وهي مقبرة لليهود تقع خلف البقيع وملتصقة به وهي اليوم جزء منه.

في زمان حياة عمر لم يكن معروفاً أن عثمان سيصبح خليفة يوماً ما، فيما لو كان سالم غلام حذيفة على قيد

1. طلحة، ابن عم أبي بكر والزبير، وزوج أسماء بنت أبي بكر، أخت عائشة.

الحياة؛ وذلك لأنّ عمر قال وهو على فراش الموت: لو كان >سالم< غلام حذيفة حيّاً لجعلته خليفة من بعدي و. . . الخ. وهكذا هيأت الأحداث التاريخية وموت >سالم< غلام حذيفة، الأرضية لخلافة عثمان.

وربما عندما ذهب أبو بكر وعمر إلى السقيفة ونازعا زعيم الأنصار (سعد بن عبادة) على الرئاسة، لم يكونا متأكدين تماماً أيّهما سوف يصبح الخليفة الأوّل وأيّهما سيكون الثاني. وعلى اثر ذلك جامل أحدهما الآخر في البيعة وقد مهّد عمر الأمور لنفسه ليكون هو الخليفة بعد أبي بكر، فمدّ له يد البيعة، مع العلم طبعاً أن استخلاف أبي بكر بخلافة لعمر جوبه باعتراض بعض أصحابه مثل طلحة.

أما تعاون >عثمان< في كتابة وصية أبي بكر لعمر بالخلافة (عندما كان أبو بكر غائباً عن الوعي) أو على قول آخر، من بعد موت أبي بكر وقبل شيوع خبر وفاته بين الناس، ولذلك لعدم وجود ختم أبي بكر في الوصية، فقد هيأه للخلافة بعد عمر. وقد عيّن الأخير عثمان خليفة له من خلال تشكيل الشورى على طريقته الخاصة.

لكن أكثرية الصحابة وخاصّة أهل المدينة فقد تمردوا على عثمان ولم يكونوا يعترفون به خليفة لرسول الله، بل كانوا على الدوام يناصبون عثمان الأموي وبني أميّة العداء، ولذلك

إرتكب يزيد تلك المجزرة الجماعية بحقهم.

وعلى أية حال، جاء توالي الخلفاء الثلاثة على الخلافة نتيجة لحوادث التاريخ، كما أن قتل عثمان كان أيضاً نتيجة لممارساته وسلوك قبيلته وأقاربه مع الناس.

وقد اعترف علماء العامة وسياسيوهم في ما بعد في القرن الثالث بـ >علي< خليفة رابعاً. ولأجل أن يتقبل العوام هذا الأمر قاموا بوضع أحاديث، ليثبتوا أن هذا التسلسل كان تسلسلاً عادياً وطبيعياً في زمن رسول الله أيضاً. وحتى أن البعض لفقوا تصريحات وإثارات حول الخلافات الأربعة هذه ونسبوها إلى سلسلة من الرواة الذين يتصلون عن طريق التابعين بالصحابة. ومن خلال إدعاء صحة هذه الأحاديث ووثاقة رواتها، سعوا إلى ترسيخ وتثبيت هذا الاعتقاد في قلوب العوام وقد نجحوا في ذلك الى حدّ بعيد.

لماذا لم يبايع سعد بن عبادة؟

- وكما جاء في تاريخ الطبري وغيره، أنّه بعد عدة أيّام من سيطرتهم على الأوضاع، بعث أبو بكر إلى رئيس الخزرج سعد بن عبادة، أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك.

- فكان جواب «سعد بن عبادة» رئيس الخزرج: أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبل وأخضب سنان رمحي وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي. وبالنتيجة أن سعد بن عبادة وقبيلته بقوا حتى النهاية معارضين لخلافة أبي بكر، ولم يبايعوه. ومن بعد أبي بكر لم يبايعوا عمر إلى أن اغتيل سعد بن عبادة رئيس قبيلة الخزرج من الأنصار في زمان خلافة عمر.

- في أعقاب هجرة رسول الله الى المدينة، وخاصة بعد الإنتصارات التي حققها المسلمون في حروبهم وغزواتهم، وبالأخصّ بعد فتح مكة، وفدت الى المدينة جماعات وأقوام كثيرة وسكنت واستقرّت فيها، وكانوا يؤلّفون الأكثرية بين سكّانها. ولكن بما معظمهم قد وفد إليها في أعقاب فتح مكة، فهم كانوا لا يُحسبون في عداد المهاجرين، ومن ناحية اخرى بما أنهم لم يكونوا من أهل المدينة المنورة أصلاً، لذلك ما كانوا يعدّون في عداد الأنصار أيضاً. ثمّ ان هذه الأكثرية لم تبايع أبا بكر وعمر، وكان أبو بكر وعمر بدورهما لا يعيران أهمية كثيرة

لهذه الجماعات ولم يهددوهم بالقتل من أجل إرغامهم على البيعة؛ ونظراً الى أنهم لم يكونوا من السكّان الأصليين لذلك لم تكن لديهم الجرأة على الإعتراض على خلافة أبي بكر. وعلى كلّ حال، لم يكن هناك أي إجماع من صحابة رسول الله على البيعة لأبي بكر. ولم تكن خلافة أبي بكر سوى انقلاباً عسكرياً.

2. نص رسول الله

- كتاب «حديث غدير مولاي مؤمنان وما أهل سنت»:
(تأليف محمد سليم آزاد، بمقدّمة ايوب گنجي، طبعة عام 2006م، ص 10):
«أهل السُنّة» على أساس «الأحاديث الصريحة واشارات النبي الأكرم (ص)»، يرون نيابة عن الأُمّة الإسلامية، أن أئمة الحق الأربعة هم على التوالي:
الإمام الأوّل هو أبو بكر الصديق (رضي الله عنه).
الإمام الثاني هو عمر الفاروق (رضي الله عنه).
الإمام الثالث هو عثمان ذو النورين (رضي الله عنه).
الإمام الرابع هو عليّ المرتضى (رضي الله عنه).
ومن بعد هؤلاء الأربعة استمرّت سلسلة «الإمامة» أيضاً وستبقى مستمرة الى يوم القيامة.
وليس هناك اي واحد من الأئمة الذين ينتخبون «معصوم».
ومن الطبيعي أن يكون بعضهم «عادل» وبعضهم «ظالم».
(وكتب في الصفحة 160، ما يلي): لم يذكر رسول الله (ص) أحداً بالتعيين والتصريح ولم يقل إنه خليفتي من بعدي وولي أمر المسلمين.
«بعدما طُعن عمر (رضي الله عنه) قيل له: ألا تستخلف؟

فقال: إن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن استخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر رضي الله عنه<.

- وعلى هذا الأساس ينقل هذا المؤلّف نفسه «محمد سليم آزاد»، في كتابه هذا على الصفحة 134، عن أنس بن مالك قال:

«بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: سل لنا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى من ندفع صدقاتنا بعدك؟ قال: فأتيته فسألته فقال إلى أبي بكر. فأتيتهم فأخبرتهم. فقالوا: ارجع إليه فسله: فإن حدث بأبي بكر حدث فإلى من؟ فأتيته فسألته فقال: إلى عمر. فأتيتهم فأخبرتهم. فقالوا: ارجع إليه فسله: فإن حدث بعمر حدث فإلى من؟ فأتيته فسألته فقال إلى عثمان. فأتيتهم فأخبرتهم. فقالوا: ارجع إليه فسله فان حدث بعثمان حدث فإلى من؟ فأتيته فسألته فقال: إن حدث بعثمان حدث فتبّاً لكم الدهر تبّاً.

من الواضح أن هذا الحديث قد وُضِع ودُوّن في القرون التالية، مثلما هو

الحال بالنسبة الى ما جاء في كتاب المستدرک للحاکم، ج3، ص77 حيث يبيّن أن الخلافة من بعد رسول الله تنحصر في ثلاثة خلفاء؛ أبو بکر، وعمر، وعثمان، ولا يذکر اسم عليّ بين الخلفاء، بل يصوّر وکأن حکومة عليّ ستقضي على (الإسلام والمسلمين)، أي أن حکومة عليّ ستکون سبباً في القضاء على الأُمّة، وهذا طبعاً يتناقض تماماً مع «الحديث الذي نقله مسلم» عن عمر وقال فيه إن رسول الله لم يستخلف أحداً من بعده.

وفي حديث موضوع: « ان امرأة من الأنصار أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فکلمته في شيء فأمرها بأمر، فقالت أرأيت يا رسول الله إن لم أجدك؟ قال: إن لم تجديني فائتي أبا بکر[1]». کلّ هذه الأحاديث، تتعارض مع ما نُقل عن عمر في قوله: «إنّ رسول الله لم يستخلف أحداً من بعده». هذا القول النقول عن عمر، يُبطل جميع هذه الأحاديث.

ونحن أيضاً إذا نظرنا إلى الأمر ندرك ان رسول الله لو کان يريد استخلاف أبي بکر من بعده، لما کان يسرر ذلك بشکل خصوصي لامرأة أو لأنس، وانّما کان >يعلن ذلك صراحة< على الملأ من فوق المنبر وفي >مسجد النبي<، لکي يعلمه جميع الصحابة أو يعلنه أمام جميع

---

1. البخاري في أبواب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بکر.
- مسلم في فضائل الصحابة.

الناس وليس فقط لأهالي المدينة مثلما فعل بعد الانتهاء من حجة الوداع، حيث اوقف الناس عند >غدير خم< في ذلك الحشد الهائل من الحجاج من أهالي البلاد والمدن الاخرى، لكي يسمعه الجميع وينتشر الخبر في كل مكان.

لماذا يتناقض >أهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي< في ما بينهم؟ ولماذا لا ينقلون بالكامل خطاب رسول الله الذي ألقاه في غدير خم.

ولماذا بقي سبب وفاة فاطمة طي الكتمان؟ ولماذا بقي موضع دفنها مجهولاً؟ وغير ذلك من التساؤلات.

مسلم، ج6، ص 22: من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جأهلية.

طبقات ابن سعد، ج5، ص 144

الطبراني في المعجم الاوسط، ج1، ص 79

كنزل العمال، تأليف المتّقي، ج1، ص 103:

من مات ولا بيعة عليه مات ميتة جأهلية.

مسند أحمد، ج4، ص 96

مسند أبي داود الطيالسي، ص 259

المعجم الكبير، ج19، ص 388

كنز العمال، ج1، ص 103:

من مات بغير إمام مات ميتة جأهلية.

الفارق بين الأحاديث الواردة في >فضائل علي< والأحاديث الواردة في >فضائل الشيخين<.

1. الفارق الأساسي بين الأحاديث الواردة في فضائل عليّ والأحاديث الواردة في >فضائل أبي بكر وعمر< هو ان >أحاديث فضائل علي< تُجْمع عليها كل الفرق الإسلامية.
2. الأحاديث الواردة في >فضائل علي< لا تتناقض مع >السلوك العملي لعلي< في حياته، في حين أن ما جاء من أحاديث في >فضائل أبي بكر وعمر< فهو يتناقض مع فرارهم في الغزوات.
3. مرّ الزمن وتقادم التاريخ أثبت صدق فضائل علي.

وهذا على خلاف ما كان عليه الحال في القرن الأوّل وفي زمان بني أُميّة، كان أهل السُنّة بالمعنى الإصطلاحي، يعتبرون بغض عليّ من الإيمان ولعنه عبادة، وكانوا لا يرتضونه حتى بصفته الخليفة الرابع، ولكن في أعقاب سقوط حكومة بني أميّة، ألغي لعن عليّ تدريجاً، وأخذت الأحاديث النبوية الواردة في ذكر فضائله تلقى الرواج تدريجاً، وذهب بغض عليّ أدراج النسيان. وفي القرن الثالث أخذ علماء «أهل السُنّة بالمعنى الإصطلاحي» يطلقون على عليّ تسمية الخليفة الرابع. ومن المحتمل أنهم إذا تعمّقوا في الدراسة والمطالعة والبحث في التساؤلات المذكورة آنفاً سيقبلون أيضاً أن الخليفة هو علي.

وهذا على خلاف الأحاديث الواردة في «فضائل أبي بكر وعمر». ففضائل أبي

بكر وعمر:
1. لا تُجْمع عليها كلّ الفرق الإسلامية. وشيعة علي، لا يقبلون هذه الفضائل، ونقلها وقبولها ينحصر في أتباع أبي بكر وعمر فقط. وأما بالنسبة الى شيعة عليّ فهم لا يقرون أية فضائل لأبي بكر وعمر. بل توجد في كتب التاريخ وفي كتب أهل السُنّة مطاعن كثيرة حول أبي بكر وعمر، مثل الفرار في الغزوات، وعدم مساعدة رسول الله في شعب أبي طالب وغير ذلك وقد أشير الى قسم منها في ما سبق. ومن الأمثلة على ذلك نقض حكم القرآن والسُنّة في بعض المواقف وعدم اجراء الحدود على الكبائر التي اقترفها بعض أصدقائهم مثل مالك بن نويرة والمغيرة بن شعبة وغيرهما.
2. الأحاديث الواردة في «فضائل أبي بكر وعمر» تتنافى وتتناقض مع >سلوك أبي بكر وعمر< في حياتهما، مثلاً يقولون إنّ ايمان أبي بكر وعمر يفوق ايمان الأُمّة كلّها، بينما يكشف الواقع العملي ان هذين الرجلين لم يقدّما أي عون لرسول الله في زمان غربة الإسلام ومحاصرة المسلمين في شعب أبي طالب. وفي زمان قوّة الإسلام من بعد الهجرة إلى المدينة ما كانوا يبرزون في الغزوات إلى الخط الأوّل ومنازلة ابطال العدو، بل انهم في غزوات أُحُد وخيبر وحنين كانوا في عداد الفارين أمام العدو، وتركوا رسول الله وحيداً

أمام ذلك العدو المتوحّش، في حين أن عليّاً كان على الدوام في الخط الأوّل لغزوات رسول الله ويبرز لمنازلة أبطال الأعداء، ولم يفر أبداً، بل في الوقت الذي كان فيه الآخرون يفرّون كان هو يصمد ويقاتل ويذود عن رسول الله إلى حدّ التضحية بالنفس.

3. كان عليّ باب مدينة علم رسول الله[1]، في حين ان أبا بكر وعمر كانا عاجزين حتى عن تفسير بعض آيات القرآن الكريم[2]، بل كان عمر لا يعرف حتى بعض المسائل اليومية مثلاً إذا لم يكن هناك ماء، ينبغي التيمم للصلاة[3].

وأما على صعيد السياسة فقط أرسى >أبو بكر وعمر< قواعد حكومة بني أُميّة التي كان لها ما كان من تقويض تام لدين الناس ودنياهم.

أما >الترمذي< فقد نقل هذه الخطبة بشكل أكمل، وأورد فيها حديث الثقلين كاملاً >إني تارك فيكم الثقلين...<.

---

1. . . . .
2. مسلم، كتاب الطهارة، باب التيمم عن عبد الرحمن بن أبزي ورواه النسائي، ورواه ابن ماجة.
3. طبقات ابن سعد، ج3، القسم الأول، ص 237 - عن انس بن مالك حول: وفاكهة وأبّاً في تفسير أبّاً.

رعب علماء «أهل السُنّة بالمعنى الإصطلاحي»:

- علماء «أهل السُنّة بالمعنى الإصطلاحي» يرعبهم بحث وتقصّي قضيّتين: إحداهما السؤال والبحث حول <سبب رحيل فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة وهي في سنّ الشباب، وسبب مجهولية قبرها». والاخرى هي نقل <النص الكامل لخطبة غدير خم»، بحيث أن مسلم لم ينقل في كتابه من تلك «الخطبة الكبرى والمطوّلة» التي يقرّ هو بصحّتها، سوى جملة واحدة «حديث الثقلين»، وبشكل ناقص.

- البخاري أيضاً الذي يرعبه نقل هذه الخطبة - أشدّ مما يرعب غيره - ذكر في «تاريخه الكبير» جملة «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» فقط، ولكنه حتّى لم يبيّن أن رسول الله قال هذه الجملة في خطبة غدير خم. ولم يذكر تفاصيل اخرى عن الخطبة وفحواها.

«كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً»، وكذلك حديث: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه». كما أيّد الترمذي أيضاً صحة سند هذا الحديث وقال إنّ سنده حسن.

وفعل النسائي مثلما فعل الترمذي أيضاً.

<خطبة رسول الله في غدير خم> وهي خطبة متواترة ومتّفق عليها، ونقلها كل من البخاري ومسلم، كما نقلها أصحاب السنن أيضاً؛ فلماذا ينقل

الشيعة هذه الخطبة كاملة؟ بينما نلاحظ في مصادر >أهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي< كلّما كان الكاتب أقرب إلى >بني أميّة< مثل البخاري ومسلم، يتحاشون نقل هذه الخطبة كاملة، وكل ما كان الكاتب أقرب إلى >ذوي القربى وآل محمد وعترة رسول الله< مثل الترمذي والنسائي ينقلون هذه الخطبة بشكل أكمل؟

من يدّعون انهم من >أهل السُنّة< يستطيعون الادعاء ان رسول الله لم يعيّن في >خطبة الغدير< عليّاً إماماً وخليفة من بعده، فيما إذا نقلوا >خطبة الغدير كاملة<، ولكنهم إذا اخضعوا هذه الخطبة للرقابة وحذفوا ما حذفوا منها في الكتب التي تُطلق عليها اصطلاحاً تسمية كتب أهل السُنّة، وجاءت الخطبة ناقصة لدى البخاري ومسلم، كيف يتسنّى لهم القول في مثل هذه الحال: إن رسول الله لم يعين عليّاً خليفة وإماماً من بعده في غدير خم، في حين أن من نقلوا >خطبة الغدير كاملة< ذكروا فيها ان رسول الله صرّح فيها بخلافة علي من بعده، وقال فيها أيضاً انني قلت في ما مضى إنه سيأتي من بعد إثنا عشر خليفة من قريش<، والآن أقول إن أوّل هؤلاء الخلفاء هو علي، ومن بعده الحسن، ومن بعده الحسين، وهكذا واحد بعد الآخر من ذرية الحسين، والثاني عشر من الخلفاء من ذريّتي هو مهدي آل محمد.

نشير على وجه الخصوص ان رسول الله في غدير خم قد ذكر في حديث الثقلين: كتاب الله وعترتي، وهو ما يعني أن نظام إمامة الأمّة قد وضع لمن يريد البقاء على الطريق القويم إلى يوم القيامة (وأن يكون من الفرقة الناجية) في اتّباع الأئمة من العترة، وأولهم علي بن أبي طالب.

التاريخ أيضاً يشهد على صدق هذا الحديث وهو ان أتباع <الأئمة من العترة> لم يقعوا في ضلال وظلم، كما ان آية التطهير نزلت فيهم؛ فبقوا على اثر ذلك طاهرة أذيالهم من الظلم والظلال.

هذا في حين أن أبا بكر وعم قد ارتكبوا أبشع انواع الظلم للإسلام والمسلمين وذلك بسبب مجيء بنو أُميّة إلى سدّة الحكم؛ و<ذلك لأنّهما عما اللذان وضعا اسس هذا الحكم>، وجعلوا أتباعهم ينقسمون إلى فرق وجماعات ومعتقدات متعددة ومتعارضة ومتناقضة. وبالنتيجة فان التاريخ قد شهد على كذب الحديث الذي وضعه اجراء بني أُميّة ودسّوه بين الأحاديث ونسبوه إلى الرسول ان يمكن <بدون الرجوع إلى المرجعية العلمية والسياسية وهم <الأئمة من العترة>، السير على طريق القرآن والسُنّة الحقيقية (وعدم الوقوع من بعد رسول الله ضحية التصديق بالأحاديث المتناقضة والمتعارضة التي ينسبونها إلى رسول الله <، ومنها هذا

الحديث الزائف: إني تاريك فيكم الثقلين كتاب الله وسنّتي؛ ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا أبداً - الذي نقله مالك في موطئه من غير سند. ورغم ان أهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي يعتبرون أنفسهم سائرين على هدى القرآن والسُنّة، غير انهم في واقع الحال وقعوا في معترك الأحاديث المتعارضة والمتناقضة وتفرّقوا، وانحدروا في طريق الضلال في ما يخصّ معرفة الله ورسوله، كما أشرنا من قبل.

ومن ذلك أيضاً الحديث الذي ينسبه <ابن ماجة وأبو داود< إلى رسول الله، ومفاده ان القرآن وحده يكفي لبقاء الأُمّة على طريق الهداية (والفرقة الناجية إلى يوم القيامة)، وكذب هذا الحديث واضح أيضاً؛ وذلك لأنّ جميع أتباع هذه الفرق الثلاثة والسبعين، لديهم قرآن في بيوتهم، في حين انهم في الواقع كلّهم على ضلال باستثناء فرقة واحدة وهي <الفرقة الناجية<، بل نصّت (الأحاديث الموجودة في كتاب البخاري ومسلم وغيرهما) على انه عيّن <إثني عشر خليفة< و<إماماً< وفي غدير خم، جعل أوّلهم علي بن أبي طالب[1].

قال أبو داود في باب صفة حج النبي (ص):

«اني قد تركت فيكم ما لن تضلوا

---

1. البخاري، آخر كتاب الأحكام؛ مسلم، كتاب الإمارة.

بعده ان اعتصمتم به كتاب الله»
وأورد «ابن ماجة»، في الصفحة 521، الحديث 3074
و«مالك» في الموطأ، در باب الذهي عن القول في القدر-
إنّي تارك فيكم ما لن تضلوا بعده؛ كتاب الله...

- «ضياء الرحمن محمدي» ينسب الى رسول الله انه قال:

«اقتدوا باللَذَيْن من بعدي أبي بكر وعمر»[1]

---

1. «ضياء الرحمن محمدي»، في المؤتمر العلمي التحقيقي السابع عشر للمذاهب الإسلامية.
نقلاً عن سنن الترمذي، أبواب المناقب، الباب 16، الحديث 3662 ؛ سنن ابن ماجة في مقدمة الباب الحادي عشر: اقتدوا باللذَيْن من بعدي أبي بكر وعمر.
- «محمد سليم آزاد» في كتاب «حديث غدير مولاي مؤمنان وما أهل سنت»، ص 160 - نقلاً عن كتاب مسلم في باب الإمارة، وسنن الترمذي في أبواب الفتن: «بعدما طُعن عمر (رضي الله عنه) قيل له: ألا تستخلف؟
فقال: إن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله صلى الله عليه وسلم». وهذا يعني أن رسول الله لم يعيّن أحداً من بعده. ويستنتج محمد سليم أيضاً أن «رسول الله لم يعيّن أحداً من بعده». وهذا يعني أن حديث: اقتدوا باللذَيْن من بعدي أبي بكر وعمر. حديث موضوع وله ما يعارضه في كتاب « سنن الترمذي» نفسه.

هذه الجملة: >اقتدوا باللَذَيْن من بعدي أبي بكر وعمر<، تُنسب في بعض كتب عامة المسلمين الى رسول الله ويدّعون أن رسول الله قال هذا الكلام. وهذا دليل على أنه عيّن أبا بكر وعمر للخلافة من بعده.

في حين لو أن هذا الحديث كان موجوداً في زمان «السقيفة»، لاستدل به أبو بكر وعمر بدلاً من الدخول في نزاع مع الأنصار، ومع ابن سعد بن عبادة، وبدلاً من التهديد بالقتل.

ونفهم من ذلك أن هذا الحديث، وُضع لاحقاً على يد أُجَراء «بني أُميّة».

هذا إضافة الى أنه:

أوّلاً: ينقل «مسلم» ما يعارض هذا الحديث عن لسان عمر وهو أن رسول الله لم يستخلف أحداً من بعده. فعندما ضُرب عمر (رضي الله عنه) قيل له: ألا تستخلف؟ قال: >إن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله[1]، وإن استخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر».[2] أي أن هذا الإستخلاف كان من > سيرة أبي بكر« و(ليس سنّة رسول الله). ومعنى هذا أن عمر قد شهد أن رسول الله لم يستخلف أحداً من بعده. ويُفهم من حديث «عمر»

---

1. مسلم في كتاب الإمارة؛ في سنن الترمذي في أبواب الفتن، الباب 48، الحديث 2225؛ مسند أحمد، ج1، ص322.
2. مسلم في كتاب الإمارة؛ في سنن الترمذي في أبواب الفتن، الباب 48، الحديث 2225؛ مسند أحمد، ج1، ص322.

هذا بأن حديث «مسجد مكي» الذي كتبه على جدار مسجده في مدينة زاهدان الإيرانية، وهو أن: «رسول الله استخلف من بعده أبا بكر وعمر»، كذب.

ثانياً: لو كان رسول الله يريد تعيين لجميع الأُمّة أحداً أو عدد معدود من بعده، لما فعل ذلك على نحو الخصوص، وانما كان يعلن ذلك على المنبر وأمام الملأ العام، كأن يكون في حجة الوداع أو في غدير خم قبل افتراق طرق الحُجاج الذين كانوا قد قدموا من كل أرجاء البلاد الإسلامية.

والواقع هو أن رسول الله لم يفعل مثل هذا في ما يخص أبي بكر، بل على العكس من ذلك نرى نبي الله قد أدلى في مكّة وفي غدير خم بالحديث المعروف بحديث الثقلين، >كتاب الله وعترتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا<؛ ومصداق الثقلين الكتاب والعترة؛ إذاً فهو قد أفصح عن العترة بشكل جلي، وذلك حين وقف على المرتفع الذي صنعوه له من الرجال وقتب الجمال، وأخذ بيد علي ورفعها وأراه للجميع مبيّناً لهم أنه سيكون الولي والخليفة من بعده. وجاء في تفصيل الخطبة (انه لم يكتف بذكر كلمة ولي، وانّما قال علي هو الولي وهو خليفتي وهو الأمير عليكم من بعدي)، والأحاديث الاخرى التي ذكرها قبل ذلك، مثل حديث الدار حين جمع النبي بني عبد المطلب في دار أبي طالب، وإعلن فيه علياً خليفة ووزيراً

له[1]. وكذلك حديث المنزلة الذي قال فيه رسول الله لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى.

ثالثاً: تعيين أبي بكر وعمر >اللذين وضعا أسس الحكم الأموي< كان يعني وضع اسس حكومة عثمان الأموي، ومعاوية، وما إلى ذلك، حيث أوصى معاوية بالخلافة ليزيد من بعده. وكان الحكم الأموي سبباً في اثارة الحروب والنفاق واراقة الدماء وحتى ارتكاب المجازر بحق ذوي القربى الواجبي المودّة، وهدم الكعبة، واحراق أستار بيت الله، واستباحة المدينة ثلاثة أيّام لأفراد جيش مسلم بن عقبة ليفعلوا بها ما يشاؤون وحتى الزنا بنساء وبنات الصحابة والتابعين، وليقتلوا من يشاؤون منهم من الاطفال الرضّع، ولينهبوا أموال من يشاؤون، ومن ذلك أيضاً ان يكذّب يزيد صراحة وعلانية رسالة رسول الله، ونزول الوحي. من المؤكد ان رسول الله لم يعيّن >مؤسسي ركائز الحكم الأموي الذي كان سبباً في تقويض الإسلام والمسلمين< خلفاء وأوصياء من بعده.

رابعاً: الأهم من كل ذلك ان الخليفة المُعيّن مباشرة من قبل النبي، يتمكّن

---

1. جاء ذلك في كتاب تاريخ الطبري في قسم أخبار البعثة، في حوادث ما بعد البعثة؛ وابن الأثير، ج2 ص 22؛ ومسند أحمد، ج1 ص 331 ان هذا اخي ووزيري وخليفتي عليكم.

من خلال بيانه >لنظام الإمامة< من قِبل رسول الله إلى يوم القيامة، ينجي أتباع ذلك النظام من الضلالة والفرقة إلى يوم القيامة عن طريق التمسّك به (وبديان ذلك النظام يحتجّ الله به يوم القيامة على المنافقين والفاسقين ومثيري الفرقة؛ لأنّ لله الحجّة البالغة وحجة الله هذه هي حديث الثقلين >القرآن والعترة«؛ إذ بشهادة رسول الله إذا تمسّكت الأُمّة بالقرآن والعترة فهذا كفيل بحفظها من الضلال الى يوم القيامة.

(حديث الثقلين هذا: كتاب الله وعترتي، جاء في جميع السنن المتواترة لجميع الفرق سواء الشيعة أم غير الشيعة)، وخطبة الغدير المفصّلة والأحاديث المتواترة الاخرى تؤيد مضمونه).

ثانياً: هدف «وصيّة رسول الله في غدير خم»:

تعيين أئمة «من بعده» «يهدون الأُمّة ويحفظونها من الضلال الى يوم القيامة»

- إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله و«عترتي» ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً.

عن الصحابة عن رسول اللّه: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً.

1- جابر بن عبد الله الأنصاري
2- حذيفة بن أسيد الغفاري
3- علي بن أبي طالب
4- زيد بن ثابت
5- أبو سعيد الخدري
6- أبو ذر الغفاري
7- عن زيد بن ارقم، قال: قال رسول الله (ص):

«اني تركت فيكم ما ان أخذتم به لن تضلوا بعدي»

1- أحدهما أكبر من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود بين السماء والأرض،

2- وعترتي، أهل بيتي، «انهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض».[1]

---

1. الترمذي، ج2، ص 308 - عن أبي سعيد والاعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن زيد بن ارقم. وايضاً روي الترمذي عن جابر بن عبد الله الأنصاري وعن أبي ذر وحذيفة بن أسَيد.
المستدرک، ج3، ص 109 - عن أبي الطفيل عن زيد بن ارقم؛ النسائي في خصائصه، ص 21، عن زيد بن ارقم.
السيّد عبد الغني شاهوزي، في المؤتمر العلمي التحقيقي السابع عشر للمذاهب الإسلامية، في مقالة له تحت عنوان: مباحث حول «حديث الثقلين». وهو يعتبر حديث الثقلين «كتاب الله وعترتي» يتعارض مع «حديث نقله ابن ماجة وأبو داود ينصّ على أن التمسّك بالقرآن وحده يكفي لنجاة الأمّة الى يوم القيامة»، وقد برهن التاريخ كذب ذلك الحديث. ذلك لأن الفرق الإسلامية كلّها وهي ثلاث وسبعون فرقة، تؤمن بالقرآن، وتعتبر نفسها متمسكة به، بينما في الحقيقة كلها ضالة وتدخل النار باستثناء واحدة، (وهذا بشهادة رسول الله). و«القرآن» لوحده لا يكفي لنجاة الأمّة من من الضلال الى يوم القيامة، بل إلى جانب ذلك لابد من التمسّک بنقل سنّة رسول الله

فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

الشرح: من الواضح تماماً في هذا المقطع من خطبة الغدير المعروفة بحديث الثقلين «كتاب الله وعترتي» أن الغية التي كان يرمي إليها رسول الله، هي الإرشاد الى «طريق نجاة الأمّة من

عن طريق العترة من بعد رسول الله. ورآى أيضاً أن حديث >كتاب الله وعترتي< يتعارض مع الحديث الموضوع الذي يقول «بكفاية التمسك بالقرآن وحده من بعد رسول الله، ولا حاجة الى أخذ السنّة من العترة لأجل هداية الأمّة الى يوم القيامة». حيث ثبت على مرّ التاريخ كذب هذا الحديث وزيف نسبته الى رسول الله؛ وذلك لأنّ جميع الفرق الثلاث والسبعين، ترى ذاتها متمسكة بالقرآن والسُنّة، في حين أن هناك فرقة واحدة ناجية من بين هذه الثلاث وسبعين فرقة. وبقية الفرق كلّها ضالة ومن أهل النار. وهذا ما سبق شرحه في المتن.

نلاحظ هنا أن السيد محمد سليم آزاد في كتابه الذي صدر تحت عنوان «حديث غدير مولاي مؤمنان وما أهل سنت» (ابتداءً من ص 66 فما بعدها)، انبرى لنقد حديث الثقلين إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا، - تمسك بهذه الحيلة قائلاً إن هذا الحديث يتعارض مع حديث كتاب الله و سنتي. وقال: حديث >كتاب الله و سنتي<، صحيح؛ وذلك لأن مصدر الدين الإسلامي، الكتاب والسنّة. ولكن السيد محمد سليم غفل عن أن «رسول الله قد جعل هذا الحديث لما بعد زمانه»؛ عندما تكثر الأحاديث الكاذبة التي تنسب إليّ ويومها لا أكون موجوداً حتى أكذّبها، ولهذا فقد اعتبر العترة الطريق الأمثل الذي لا يقبل الخطا لنقل السنّة الحقيقة من بعده؛ حيث يمكن للأتباع من خلال الرجوع الى «عترته»، أن يتعرّفوا على السنّة الصحيحة والواقعية وتمييزها عن الأحاديث المكذوبة التي جاءت عن طريق «المنافقين غير المعروفين» الذين يظهرون أمام الناس بلباس المؤمنين العدول)؛ من أجل ان لا تقع الأمّة في الفرقة والضلال. و هذا سبق أن شرحناه في المتن.

الضلال الى يوم القيامة لما بعد وفاته»؛ إذ يُفهم من كلمة «ترك» أن رسول الله يشير الى طريق نجاة الأمّة من الضلال لما وفاته، عن طريقين:

1. أحدهما إتّباع الكتاب 2. والآخر هو التمسّك «بعترة رسول الله». وسرعان ما يبيّن بعد ذلك المقصود من «العترة»؛ فيؤكّد أنه يقصد بذلك أهل بيته الطاهرين. وهو أن المسلمين إذا أخذوا وتمسّكوا من بعد رسولهم «بالقرآن» و«بعترته أهل بيته»، الذين يمثّلون السُنّة الواقعية، فلن يضلّوا أبداً الى يوم القيامة.

أورد رسول الله عبارة «أهل البيت» كعطف لبيان المراد من كلمة «العترة»، وبذلك فقد أوضح أن المقصود من «العترة»، «هم تلك العترة الداخلين في عِداد أهل بيته». والمقصود از أهل بيته كان قد بيّنه أيضاً بعد نزول آية التطهير. إذ أن الذي أراده الله من معنى أهل بيت رسول الله الطاهرين، إضافة الى رسول الله نفسه، فاطمة وعلي والحسنين». وذلك يعني أن نساء رسول الله لا يدخل ضمن عترة رسول الله، ولا يدخلن في عِداد أهل البيت المقصودين في (آية التطهير). وكذلك الحال بالنسبة الى العباس عم النبي، وأولاد العباس رغم أنهم من ذوي قربى النبي، ولكنهم غير مشمولين بحديث الثقلين «كتاب الله وعترتي»؛ أهل بيتي.

ومع ان رسول الله قد أوضح بهذا البيان مصاديق عترته في حديث الثقلين >كتاب الله وعترتي أهل بيتي<،

ولكن رغم ذلك ينبغي توضيح مصاديقهم على وجه الخصوص بشكل أفضل؛ أي ينبغي توضيح من هم أوصياء النبي من بين عترته؛ أي ينبغي أوّلاً الافصاح عن مصداق وصي رسول الله من >العترة الواجبة الإتّباع<؛ لكي يكون طريق النجاة من الضلال إلى يوم القيامة واضحاً وضوح الشمس ولا يبقى عليه أي غبار ولكي تكون مصاديق العترة الواجبة الاتّباع؛ لذلك فقد أخذ النبي يد علي بن أبي طالب من العترة الواجبة الإتّباع (وأهل بيته الطاهرين) وأعلن للأُمّة أنّ هذا أوّل وصي لي من العترة التي يجب الانقياد لها، وقال: >من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم والِ من والاه وانصر من نصره واخذل من خذله<. والمقصود من جملة >وال من والاه< في مقابل جملة >عاد من عاداه<، وجملة >وانصر من نصره< في مقابل جملة >واخذل من خذله< هو ان موالاة ومحبّة علي ومناصرته واجبة، ومعاداته وخذلانه حرام<. وهذه الجمل والصفات مما تختص به الولاية الواجبة الإتّباع التي يتطلّع إليها رسول الله. وهذا المعنى أسمى من معنى الحكومة؛ وذلك لأنّ مناصرة الهادي بالحق، الذي له أيضاً حق الأمر والنهي (وهم اولو الأمر الشرعي من قِبل الله والرسول) واجب، وعدم مناصرته وخذلانه حرام. واما قولنا انها تمثّل شيئاً اسمى من الحكومة فذلك لأنّ طاعة الخليفة الذي يعيّنه رسول الله و>الهادي بالحق< لا

تقتصر على مجال السياسة فقط، بل تجب طاعته مطلقاً في السياسة وفي الأحكام الفقهية، لكي لا يكون هناك أي فصام بين المرجعية العلمية والسياسية، ولكي لا يضل أبداً أتباع الإمام (أو الخليفة) المنصوب من الله ورسوله؛ لا في السياسة ولا في المعتقدات والأحكام، إذاً فالغاية كل الغاية التي كان يرمي إليها النبي حين صدح بخطبة الغدير هي أن يضع أمام الأمّة طريق النجاة من الضلال، أو كما قال إنّ طريق نجاة الأمّة من الضلال من بعدي إلى يوم القيامة يتلخص بالتمسّك بالقرآن والعترة؛ وهم أهل بيت النبي. وأوّل مصداق <للعترة التي يجب التمسّك بها> هو علي بن أبي طالب، ومن بعده سائر الأوصياء من أولاد علي (من آل محمد).

وهكذا لا تبقى أية ذريعة ولا حجة لمن يريد تجاهل هذه الوصية النبوية؛ وذلك لأنّ النبي قد وضع في تلك الوصية، وهي حديث الثقلين، القانون العام الذي ينبغي السير عليه وهو: <كتاب الله> و<عترتي أهل بيتي> هذا من جهة، ومن جهة اخرى عيّن علي بن أبي طالب كأول ولي ووصي له ونصرته واجبة وخذلانه محرّم وبذلك فقد قدّم للأمّة بشكل واضح المصداق الأوّل للعترة التي يجب الانقياد لها. وذلك هو الخليفة الحق لرسول الله. وكان أوّل من خذلوا علياً اولئك الذين تركوه منهمكاً وحده في غسل النبي وتكفينه ودفنه، وسارعوا نحو السقيفة ونصروا شخصاً

آخر في مقابل علي وتجاهلوا الموقف المعارض الذي اتّخذه علي.

>هذا هو صريح كلام رسول الله في غدير خم، وهذا هو الهدف الذي يُفهم من صريح كلام رسول الله <.

وا ما تبرير الأ هداف الا خرى الـ تي تتعارض مع هذا الهدف المعلن في غدير خم، فهو مجرّد تبرير شيطاني وهو عين الضلال ليس إلا.

قال تعالى في القرآن: {**وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ**}.

لقد نصر الله علياً من خلال الوصايا التي أعلنها الرسول للأُمّة حول ولاية علي ووجوب نصرته؛ أي انه أتم على الأُمّة حجية وأحقية علي، وجعله أعلم الأُمّة بما زوّده الرسول من العلم وبذلك توفّر فيه هذا المعيار الآخر الذي ينبغي أن يتصف به القائد. وهذا ما جاء في سورة البقرة بشأن طالوت، حين سأل الناس نبيّهم: لماذا اختارته علينا، فقال لهم: {**إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ**}.

ولقد وهب الله لعلي من العلم ما جعله به أعلم الأُمّة وصانه به من الخطأ والزلل. وهنا يقول رسول الله: . . . وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا أبداً إلى يوم القيامة.

ذلك ان علياً نصر الله تارة في شعب أبي طالب يوم كان رسول الله وحيداً هناك، وتارة اخرى نام في موضع رسول الله من أجل توفير الغطاء له لكي ينسلّ

من مكّة إلى المدينة بعيداً عن عيون الأعداء. ومن بعد الهجرة وبعد ان قويت شوكة الإسلام كان يشارك في جميع الحروب والغزوات، وفي مواقف الخطر - حين كان جميع الصحابة (من مهاجري قريش وغيرهم) يفرّون من المعركة - كان عليّ وحمزة عمّ النبي، يصمدان، ولم يتركا النبي وحده قط. بينما المعروف عن أبي بكر وعمر انهما لم ينصرا النبي في مكّة عندما كان محاصراً هو وبني هاشم في شعب أبي طالب، وعندما شعر بالخطر في معركتي أُحد وحُنين وغيرهما، حيث لاحت معالم انكسار المسلمين، فرّا وتركا رسول الله وحيداً أمام ذلك العدو المتوحّش[1].

---

1. البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة حنين. البخاري، ج5، ص100: <عن أبي قتادة في فرار عمر من الزحف، قال: خرجنا مع النبي (ص) عام حنين فلما التقينا كانت للمسلمين جولة، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين فضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف، فقطعت الدرع. وأقبل عليَّ فضمّني ضمّة وجدت منها ريح الموت، ثم ادركه الموت فأرسلني. فلحقت عمر فقلت: ما بال الناس؟ قال: أمر الله عزّ وجلّ ثم رجعوا>. مسلم في أبواب الأنفال، باب استحقاق القاتل سلب القتيل، ج5، ص 148.
- وقد أخبر الله تبارك وتعالى في سورة التوبة عن فرار أصحاب رسول الله وذلك في قوله: {ثم وليتم مدبرين}.
- وهذا ما نقله مسلم أيضاً في كتابه المعروف، في قسم كتاب الجهاد والسير، في باب غزوة حنين؛ ومسلم، ج5، ص 166 - «فلما التقى المسلمون

والكفار ولى المسلمون مدبرين».
كتاب مسلم، قسم باب الجهاد والسير، باب غزوة أُحُد؛ مسلم، ج5، ص 178 - عن انس بن مالك ان رسول الله (ص) افْرِدَ يومَ أُحُد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريشَ فلمّا رهقوه قال: من يردّهم عنّا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة؟ فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتّى قتل، ثم رهقوه أيضاً فقال: من يردهم عنّا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة. فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتّى قتل فلم يزل كذلك حتّى قتل السبعة فقال رسول الله (ص) لصاحبيه: ما انصفنا أصحابنا.
توضيح: صاحبا رسول الله اللذان لم يفرّا في أُحُد، أحدهما كان حمزة سيد الشهداء، الذي استُشهد لاحقاً في تلك المعركة، والآخر علي بن أبي طالب الذي أصيب بجراحات كثيرة ولكنه لم يستشهد.
- المستدرک، ج3 ص 37 - بسنده عن أبي ليلى عن علي انه قال: يا أبا ليلى اما كنت معنا بخيبر؟ قال: بلى والله كنت معكم، فان رسول الله (ص) بعث أبا بكر إلى خيبر فسار بالناس وانهزم ورجع.
- مستدرک، ج3 ص 37 - عن أبي موسى الحنفي عن علي قال: سار النبي (ص) إلى خيبر فلما أتاها بعث عمر وبعث معه الناس إلى مدينتهم أو قصرهم فقاتلوهم فلم يلبثوا ان هزموا عمر وأصحابة فجاءوا يجبّنونه ويجبّنهم. (قال: هذا صحيح الاسناد)
- المستدرک روي مثله عن جابر في، ص 38 (و قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم).
- كنز العمال، ج6 ص 394 - عن ابن أبي ليلى.
- مجمع الهيثمي، ج9 ص 124 - عن ابن عباس - وج 9 ص 124 - عن أبي ليلى - كنز العمال، ج5 ص 283 - عن علي، ج5 ص 284 - عن بريده، ج5 ص 274 - عن عائشة قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أُحُد بكي (الى ان قالت) ثم انشأ - تعني «أبا بكر» - يحدّث قال: «كنت أوّل من أفاء يوم أُحُد» (أقول: الفئ الرجوع ومن المعلوم انه لا رجوع إلا بعد الفرار).
- أخرجه الطيالسي وابن سعد وابن السنّي والشاش والبزاز والطبراني في الاوسط وابن حبان والدارقطني في الأفراد وأبو نعيم في المعرفة

وابن عساكر والضياء المقدس.
و رواه كتاب طبقات ابن سعد، ج3، ص 155.
والسيرة النبوية لابن كثير ج3، ص 58؛ وتاريخ الخميس، ج1، ص 431 عن الصفوة وابن أبي حاتم.
- والبداية والنهاية، ج4، ص 29 عن الطيالسي.
- وكنز العمال، ج10، ص 268 - 269 عن الطيالسي وابن سعد وابن السني والشاشي والبزاز والدارقطني في الأفراد. وأبو نعيم في معرفة الصحابة، والطبراني في الكبير والاوسط، وابن عساكر، والضياء في المختارة. وقد صرح في مقدمة الكنز بصحة ما يعزوه لبعض هؤلاء.
وحياة الصحابة، ج1، ص 272: عن ابن سعد وعن الكنز عمن تقدم بالإضافة الى ابن حبان.
- مستدرک الحاکم، ج3، ص 27: نص آخر عن عائشة: لما جال الناس على رسول الله (ص) يوم أحُد (قال أبوها أبو بكر) كنت أوّل من فاءَ إلى رسول الله (ص). (قال الحاكم: صحيح الاسناد).
- اما ان أبا بكر أوّل من أفاءِ فلم يثبت واقعاً لتعارضه لما ورد في تقسيم الغنائم بيد عمر في تفضيل البراءِ بن انس بن النضر، على طلحة لمّا إعترض طلحة، قال عمر: إنّي رأيت أبا هذا يوم أحُد وأنا وأبو بكر قد تحدثنا: إنّ رسول الله قُتِلَ؛ فقال: يا أبا بكر ويا عمر، مالي أراكما جالسين؟!
إن كان رسول الله قتل؛ فان الله حي . . . الخ.
- ورواه لباب الألباب، ص 179. وراجع: حياة محمد، لهيكل ص 265.
الدر المنثور، ج2، ص80 - عن كليب قال: خطبنا عمر: فكان يقرأ على المنبر آل عمران ويقول إنّها أُحُدية ثم قال: تفرقنا عن رسول الله يوم أحُد الحديث. وعن كنز العمال، ج2، ص 242 - عن ابن المنذر؛ حياة الصحابة، ج3 ص 497 ؛كنز العمال، ج1 ص 238.
والدر المنثور، ج2 ص 88 عن ابن جرير؛ كنز العمال، ج2، ص 242 - وج1، ص 238 ؛وحياة الصحابة، ج3 ص 497:
«ففررت حتّى صعدت الجبل»
- مغازي الواقدي، لما صاح ابليس: «إن محمداً قد قتل»، تفرق الناس (الى أن قال) وممن فرّ عمر

بينما وقف علي في جميع المشاهد إلى جانب النبي ولم يتخلّ عنه في شعب أبي طالب وفي الغزوات كلّها، ولم يخالف رأي رسول الله ولا حتى لحظة واحدة. بينما كان أبو بكر وعمر قد عارضا محاربة قريش في معركة بدر، وفي صلح الحديبيّة عبّرا في بداية الأمر عن عدم القبول بالصلح خلافاً لرأي النبي، بينما علي الذي كان البطل الابرز في معركة بدر وفاتح خيبر وغيرهما، وكان هو الذي خطّ بيده بنود صلح الحديبيّة، ولم يفارق رسول الله لحظة، ولهذا فقط نصر الله علياً في كل لحظة وفي المواطن كلّها

وعثمان.
- أخرج الإمام أحمد عن انس ان المشركين لما رهقوا النبي يوم أحُد وهو في سبعة من الأنصار ورجل من قريش فقال رسول الله : ما انصفنا أصحابنا الحديث (هذا بعد قتل حمزة).

{وَلَيَنصُرَنَّ اللّه مَن يَنصُرُهُ}.

كذلك نصر الله أنبيائه وأوصياء أنبيائه في كل موقف وفي كل حين[1]. وهذا ما جعل الأنبياء العظام وأوليائهم لا يحيدون لحظة عن الصراط المستقيم ولا عن طريق الحق رغم كل المصاعب والشدائد. ورغم كل ما جرى عليهم من ظلم وقتل لم ينطقوا بكلام خلافاً للحق، ولم يصدر منهم فعل مناف للحق. وهذا لا يمكن طبعاً إلا بتسديد من الله.

وقد عمل علي بما أوصاه به رسول الله، حيث انهمك من بعد وفاته بتغسيله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه، ولم يترك الرسول مسجّىً ويهرع نحو السقيفة طلباً للرئاسة، وان كان مخالفوه قد تركوه لوحده يقوم بمهمة تغسيل النيب وغسله ودفنه، وسارعوا نحو السقيفة للاستحواذ على الرئاسة[2]. ومن بعد الاستيلاء على الرئاسة هجموا على دار علي[3] وخاصموه ولم يؤازروه.

لقد استولى أبو بكر وعمر على الرئاسة استناداً إلى سياسة التمييز

---

1. سورة غافر، الآية 51 - {إنّا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد}.
2. كما نقل البخاري عن عمر في أبواب الحدود، في حدّ الحبلي.
3. كما نقل الطبري في تاريخه، في الكلام الذي دار بين المهاجرين والأنصار في السقيفة، ونقله آخرون أيضاً. وقد ذكرناه في موضع بالتفصيل.

العنصري وبناءً على اطروحة أفضلية العرب على العجم، وسيادة قريش على من سواها من قبائل العرب[1]، ومهّدوا الظروف من بعدهما لبني أميّة الذين كانوا مبغوضين عند الله ورسوله للتسلّط على الامّة.

وكذلك منعوا تدوين الحديث النبوي[2]

---

1. هذا ما استدلّ به أبو بكر وعمر في النزاع الذي جرى في السقيفة وفقاً لما جاء في كتاب البخاري، حيث استدلا بالنزعة العربية وبتفوّق قريش على غيرها من العرب:
- «لن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من «قريش» هم اوسط «العرب» نسباً وداراً وقد رضيت لكم أحدَ هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم».
- ونقل مالك في الموطأ، ص 12، أن عمر كان يقول: إن الأعجمي لا يرث العربي. ونقل ابن شبة، في كتابه «تاريخ المدينة» أن عمر أمر باخراج الأعاجم من المدينة ولا يؤذن لهم السكن فيها. وجاء في كتاب الأموال لأبي عبيد وغيره أن عمر جعل، عطاء العجم من بيت المال بقدر عطاء العبيد. في حين أن رسول الله لم يكن يفرّق بين العرب والعجم.
2. جاء في كتاب تذكرة الحفاظ للذهبي، في ترجمة أبي بكر، ج1، ص 2 - 3: إنّ أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال:
انكم تحدثون عن رسول الله (ص) أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافاً، «فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه».
توضيح: كلام ابي بكر هذا يمثل في الواقع امتداداً لقول عمر في مقابل رسول الله حين أراد كتابة وصيّته وطلب قلماً ودواة لكتابة وصيّته، فلم يسمح عمر للصحابة أن يقدّموا له قلم ودواة، وقال: >يكفينا كتاب الله<. أي نحن امة رسول الله لا نحتاج إلى وصية مكتوبة من رسول الله للبقاء على الصراط المستقيم إلى يوم القيامة، في حين تبيّن خطأ عمر، حيث ثبت على مرّ التاريخ أن القرآن

وحده لا يكفي لهداية الامّة، وهو يحتاج إلى بيان وتفسير رسول الله كما جاء في الآية 44 من سورة النحل {وانزلنا اليك الذكر لتبيّن للناس ما نُزل اليهم}.
وبالاضافة إلى الحاجة إلى تفسير القرآن ببيان رسول الله، فمن أجل أن لا تختلف الامة على الرئاسة من بعد رسول الله >كان من الضروري كتابة وصية رسول الله< لكي لا يُكتم كلامه أو يُقتطع كما فعلوا بالنسبة إلى خطبة الغدير.
- كتاب طبقات ابن سعد، في ترجمة قاسم بن محمد بن أبي بكر (ج 5، ص 140): إنّ الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فانشد الناس أن يأتوه بها فلما أتوه بها أمر بتحريقها.
تذكرة الحفاظ للذهبي (ج 1 ص 4 و5):
في رواية فلما قدم قرظة بن كعب، قالوا: حدثنا، فقال: نهانا عمر.
كذلك أخرجها ابن عبد البر بثلاثة أسانيد في جامع بيان العلم، باب ذم الاكثار من الحديث (ج 2 ص 147)
- كتاب سنن الدارمي في باب من هاب الفتيا بكتاب العلم (ج 1 ص 84 و85): عن الشعبي: قال: جالست ابن عمر سنة فما سمعته يحدث عن رسول الله (ص).
و في رواية اخري عنه، قال: قعدت مع ابن عمر سنتين أو سنة ونصف، فما سمعته يحدث عن رسول الله شيئاً إلا هذا الحديث وروي عن السائب بن يزيد، قال: خرجت مع سعد بن أبي وقاص إلى مكّة، فما سمعت يحدث شيئاً عن رسول الله (ص) حتّى رجعنا إلى المدينة
تذكرة الحفاظ في ترجمة عمر: إنّ عمر حبس ثلاثة: ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا مسعود الأنصاري فقال: أكثرتم الحديث عن رسول الله.
حاول عمر بن العزيز الاموي ايقاف الثورات التي أخذت تنطلق ضد حكم بني امية، وكانت من جملة الاجراءات التي اتخذها انه أصدر في عام 99هـ. امراً سمح بموجبه بتدوين الأحاديث النبوية، بذريعة مخافة نسيان الأحاديث، غير ان سائر بني امية لم يتحملوا هذه الاجراء، فدسّوا له السم ومات في عام 101هـ. حيث رجع الحال من بعده إلى

ما كان عليه من قبل واستمر منع تدوين الحديث النبوي. وفقاً لما جاء في كتاب فتح الباري، ص 218، باب كتابة العلم.
وكان ابن شهاب الزهري أوّل من دون الحديث على رأس المأة بأمر عمر بن عبد العزيز غير انه لم يتم الأمر لوفاة عمر بن عبد العزيز عام 101، وفقد ما دوّن في عصره. ورواه ابن حجر في ترجمة أبي بكر بن محمد بن عمر وابن حزم.
و كذلك لم يبق مادون غيره من العلم حتّى ولي أبو جعفر المنصور الدوانيقي العباسي و حرض العلماء على التدوين؛
قال الذهبي في ذكر حوادث سنة المأة وثلاثة واربعين:
وفي هذا العصر شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث، مثلاً صنف مالك الموطأ بالمدينة وابن اسحاق المغازي وصنف أبو حنيفة وغيره الفقه و. . .
ونقل الخبَر السيوطي في تاريخ الخلفاء ص 261 والذهبي في تاريخ الإسلام، ج6، ص 6.
كتاب البخاري، ج1، ص 22 في باب كتابة العلم من البخاري ، وفي كتاب سنن الترمذي، ج10، ص135 أن رجلاً من أهل اليمن سمع حديث رسول الله (ص) فقال: اكتب لي يا رسول الله (ص) فقال: اكتبوا لأبي فلان.
- سنن الترمذي، كتاب العلم باب ما جاء في الرخصة فيه (ج 10 ص 134): روي ان رجلاً من الأنصار كان يجلس إلى النبي فيسمع من الحديث فيعجبه ولا يحفظه فشكا ذلك إلى النبي (ص) فقال له رسول الله (ص): استعن بيمينك وأومأ بيده اي خطّ.
وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: قلت: يا رسول الله اكتب كل ما أسمع منك؟
قال: نعم.
قلت: في الرضا والغضب؟
قال (ص): نعم فإنّي لا أقول في ذلك كله إلا حقّاً.
مسند أحمد، ج2 ص 207 و215 - وفي رواية: إنّي اسمع منك اشياء فاكتبها؟
قال: نعم.
سنن الدارمي في مقدمة باب من رخص في كتابة العلم، ج1، ص 125 - 126 عن عمر بن شعيب عن أبيه

عن جده قال: قلت يا رسول الله (ص) إنّا نسمع منك أحاديث لا نحفظها أفلا نكتبها؟
قال: بلي فاكتبها.
روي الطبري في ذكر حوادث سنة 51 ، وكذلك ابن الأثير:
«ان معاوية لما استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفه سنة احدى واربعين وامره عليها، دعاه وقال له: قد اردت ايصاءك باشياءَ كثيرة أنا تاركها اعتماداً على بصرك، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة:
1. لا تترك «شتم علي وذمّه
2. والترحم لعثمان والاستغفار له والعيب لأصحاب علي والاقصاء لهم والاطراء لشيعة عثمان والادناء لهم».
و روي المدائني في كتاب الأحداث وقال:
كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: إنّ برئت الذمّة ممن روي شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته (وكان اشد البلاء حينئذٍ على أهل الكوفة.
وفي هذا السبيل قتل حجر بن عدي (من أصحاب رسول الله (ص)) وأصحابة صبراً وقتل وسلب رشيد الهجري وميثم التمّار).
وكتب اليهم ان انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم واكرموهم واكتبوا إلى بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتّى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعث اليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع ويفيضه في العرب منهم والموالي؛
فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيئ أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقرّبه وشفّعه.
فلبثوا بذلك حيناً.
ثم كتب إلى عماله: إنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فاذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الاولين ولا تتركوا خبراً يرويه أحَد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني

بمناقض له في الصحابة؛ فان هذا احبّ اليّ وأقرّ لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله. من خلال قراءة التاريخ يفهم بكل وضوح ان المنع لم يشمل تدوين الحديث فقط، بل يستشفّ من اجراءات أبي بكر وعمر واتباعهما أنه حتى النقل الشفوي للأحاديث كان ممنوعاً. والذي يُستشف من تاريخ بني امية، صنائع أبي بكر وعمر انه كان هناك منع على >تدوين الحديث النبوي< ومنع كتابة ونقل الأحاديث الواردة في فضائل علي بن أبي طالب والعترة وأهل بيت رسول الله. لكي تُطمس على مرّ التاريخ فضائل علي وآل محمد، وتوضع بدلا منها فضائل لعثمان والصحابة. ولهذا ينبغي القول بجزم ان فضائل عثمان انما هي من اختلاق بني امية، بل وحتى فضائل أبي بكر وعمر المؤسسين لحكم بن امية، كلها من اصطناع عملاء بني امية. ولو ان واحدة من هذه الفضائل التي اختلقت لأبي بكر وعثمان كانت صحيحة، لكانا قد استدلاّ بها امام الانصار اثناء المحاججة التي حصلت في سقيفة بني ساعدة. ولكن لم تكن هناك فضيلة ولم يحتجوا بشيء من ذلك. وعندما أراد أبو بكر تقديم ابي عبيدة وعمر الى الناس من أجل اقناعهم بقبولهما لم يتمكن من الاتيان بأية فضيلة أو منقبة لهما، سوى ان قال: >بايعوا لأحد هذين الرجلين<. ولو انهم بايعوا أبا عبيدة الجراح لكان بنو امية قد اعتبروه هو الصدّيق وفاروق الامّة، ولنشروا تلك الصفات ولاختلقوا ولجعلوا لأبي عبيدة ما لا يحصى من الفضائل والمناقب الاخرى التي كان قد وضعوها لأبي بكر وعمر. وان كان أجراء بني امية قد اختلقوا فضائل ومناقب لأبي عبيدة لأنه كان يماشي هذين الشخصين؛ ولكن لو كان قد بويع له بالخلافة ولو كانت الحكومة في يده لكُنّا نجد له اليوم فضائل لا تحصى في كتب مسلم والبخاري وفي كتب التاريخ عند القوم.

(كتاب اسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، ج4، ص 151؛ وكتاب الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ج3، ص 53 ؛ وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج2، ص 662. قال ابن شهاب الزهري: بلغنا أن أهل الكتاب كانوا أوّل من قال لعمر، الفاروق).

وقد واصل بنو أُميّة هذه السياسات التي وضعها أبو بكر وعمر في ما يخص التمييز العنصري ومنع تدوين الأحاديث النبوية. ولولا ثورة الحسين بن علي ضد بني أُميّة، وما أعقب ذلك من استشهاده، وما قام به المطالبون بثأره من اجتثاث لجذور بني أُميّة، لاستمر منع تدوين الحديث لقرون طويلة ولنُسيت الأحاديث النبوية كلياً، ولما بقي من الإسلام الا اسمه ومن الدين الا رسمه، ولاستمرت الحكومات تمارس سياسة التمييز العنصري، ولكانت تفعل أسوأ من الأفعال الهمجية للمغول والتتر، ولما بقيت للإسلام ونبيّه من كرامة أو مكانة.

لو لم ينقرض حكم بني أُميّة، لكانت الأوضاع قد انتهت إلى فناء الإسلام نتيجة لسياسات بني أُميّة الذين هم صنيعة أبي بكر وعمر. ولكن بفضل ثورة الحسين بن علي الذي ثار بهدف اصلاح دين جدّه واسقاط الحكم الأموي الذي

أما بالنسبة الى فضائل علي فقد بقيت طي الكتمان لقرون متمادية خوفاً من بطش حكومات مبغضية، وهذه الفضائل مقبولة ليس عند الشيعة فحسب، بل هي متواترة وتجمع عليها كلّ الأمة، وينقلها شيعة علي، كما ينقلها أيضاً «أهل السنّة بالمعنى الإصطلاحي» وهم أتباع «سنّة أبي بكر وعمر»، بل وحتى من كانوا يميلون الى بني اميّة، مثل البخاري وغيره لم يستطيعوا إنكار بعض فضائل علي.
{ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفواد كان عنه مسؤلاً}، سورة الإسراء، الآية 36).

كان على وشك القضايا على الإسلام، رفع المنع عن تدوين الحديث، وعادت كتابة الحديث النبوي من جديد في القرن الثاني باستيلاء العباسيين (الذين كانوا يطالبون بالثأر لدم الحسين بن علي) على السلطة. واجتازت الأحاديث النبوية ما كانت تمرّ به من ظروف الطمس والنسيان التام. وبالنتيجة اتّضح عبر التاريخ ان قيادة أبي بكر وعمر، وقيادة بني أُميّة التي اصطنعها أبو بكر وعمر، وهي قيادة غير محصّنة من الخطأ والضلال، مهّدت للقضاء التام على الإسلام، ولكن ثورة الحسين بن علي والثورات التي انطلقت لاحقاً بفعل تأثيرها، أدّت إلى القضاء على بني أميّة، وهوما أقضى بالنتيجة إلى انقاذ الإسلام من الفناء.

من الواضح تماماً ان الحق كان مع رسول الله حين قال في >غدير خم<: إذا تمسّكتم بعترتي لا تضلّون أبداً إلى يوم القيامة. علي بن أبي طالب وولداه الحسن والحسين من أوصياء رسول الله من عترته، لم يصدر منهم أي فعل يخالف إرادة الله ورسوله، أو يتعارض مع مصلحة الإسلام. وكانت لهم مواقفهم في نصرة الله ونشأة الإسلام والذَوْد عن النبي في نشر الإسلام، وفي حفظ انجازات النبي، وكسر الطوق الذي كان يحرّم كتابة الأحاديث النبوية، وأبدوا اعلى درجات التضحية والتفاني في سبيل الله. في حين ان خصوم العترة كانوا على العكس من

ذلك، فقد كانت سياساتهم تصبّ في مجال التمهيد لمحو الإسلام كلياً (سواء كانت أفعالهم تلك عن قصد أو عن غير قصد، ولا فرق في ذلك لأنّ النتيجة واحدة).

كما ندرك اليوم أيضاً مدى صواب رسول الله من بعد غدير خم، في آخر عمره الشريف، وفي ساعة احتضاره يوم أراد منهم أن يحضروا قلماً وورقة ليكتب لهم وصية إذا أخذوا بها لا يضلون إلى يوم القيامة، وفي الحقيقة انه كان يريد ان يكتب لهم تلك الوصية التي ألقاها شفاهة في غدير خم، وقال فيها إذا تمسّكتم بالقرآن والعترة لا تضلّون أبداً إلى يوم القيامة، ولكن عمر عارض قيام النبي بكتابة وصيّته، وقال: حسبنا كتاب الله؛ أي ان القرآن وحده يكفي لصيانتنا من الضلال إلى يوم القيامة. وها هو التاريخ يفنّد اليوم مقالة عمر هذه. إذ على الرغم من وجود نسخة من القرآن في بيت كل واحد من أبناء الامّة، ورغم ان الجميع يرى نفسه تبعاً للقرآن، الا انهم رغم كل ذلك قد انقسموا إلى ثلاث وسبعين فرقة، وهناك فقط فرقة واحدة ناجية منها، والفرق الإثنان والسبعون الاخرى على ضلال. ولو كان القرآن وحده يكفي دون الحاجة إلى وصية مكتوبة من رسول الله لحفظ الأُمّة من الضلال إلى يوم القيامة، لما كانت هناك اليوم ولا فرقة واحدة ضالة فما بالك بوجود فرق ضالة، ووجود هذا الفرق مشهود اليوم

ولا يمكن انكاره. إذاً لقد ثبت بشهادة التاريخ ما يخالف قول عمر. والنتيجة هي ان الصواب كان مع رسول الله يوم قال: إن لم أكتب هذه الوصية لا أضمن حصانة امتي من الضلال.

وقد قلنا ان التاريخ يشهد ان الحق كان مع رسول الله في غدير خم، وأثناء ما كان على فراش المرض، وكلام عمر كان على خلاف الواقع أثناء احتضار رسول الله، وكان موقفه خاطئاً، وليس ذلك فحسب، بل ان قيادة أبي بكر وعمر ومنعهما كتابة الأحاديث النبوية، و>تأسيسهما للتمييز العنصري، واتيانهما ببني أُميّة إلى سدّة الحكم، وغير ذلك< كان بمثابة تمهيد للظروف والأوضاع لإفراغ الإسلام من محتواه لو قُدّر للحكم الأموي ان يستمر إلى عدّة قرون اخرى.

واليوم أيضاً يؤدّي وجود الأحاديث المتناقضة المنسوبة إلى رسول الله، إلى حيرة جماعة المسلمين وأهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي. وهذه الحيرة وهذا الضلال ليس إلا نتيجة لما وقع في القرن الأوّل للهجرة من منع لكتابة الأحاديث النبوية، ووضع أحاديث تختلق الفضائل لخصوم علي، وتزيح الأئمة الاطهار من قيادة الامّة، وتجاهل ما جاء مفصّلاً في خطبة غدير خم، في حين لو ان جميع الصحابة تمسّكوا من بعد الرسول بعلي وبالأئمة من العترة، لما

وقعت فرقة بين أبناء الأئمة ولا ضلال[1].

أحاديث رسول الله في التحذير من ظهور مثل هذه الإفرازات والنكبات:

قال رسول الله (ص): يُهلكُ الناسَ هذا الحيُّ من قريش.[2]

قال رسول الله (ص): (مخاطباً أصحابه): ستحرصون على الإمارة وتكون ندامة يوم القيامة[3]

حديث الحوض: يرد عليَّ يوم القيامة، رهط من أصحابي فيُجلَون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي! فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك.

حديث الحوض: عن النبي (ص) قال: بينا أنا قائم فإذا زمرة حتّى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم فقلت اين، قال: إلى النار والله، قلت وما شأنهم، قال: انهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري،

---

1. هل فكّرنا في هذه القضيّة: وهي ما مدى النكبة التي حصلت وكان يمكن أن تحصل لعلم الحديث من جرّاء «منع تدوين الحديث النبوي» لمدّة تنوف على القرن، أي منذ وفاة رسول الله الى ما يقارب منتصف القرن الثاني؟ أي في الوقت الذي كان فيه التابعون وتابعو التابعون قد توفّوا كلّهم. ومن بعد منتصف القرن الثاني، سُمح بتدوين الحديث، وبدأت عملية تدوين الأحاديث تُطبّق على أرض الواقع. وحينها وجدت الأمّة ذاتها في حيرة وتخبّط بين الأحاديث المتعارضة والمتناقضة، ولا زالت على هذا الحال الى يومنا هذا.
2. البخاري، أبواب المناقب، باب علامات النبوة؛ مسلم، أبواب الفتن، ج8، ص 186.
3. البخاري، أبواب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة.

ثم إذا زمرة حتّى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم. قلت: اين؟ قال: إلى النار والله. قلت: وما شأنهم؟ قال: إنّهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم.[1]

حديث نهي الصحابة عن الوقوع في الأهواء

إنّ النبي (ص) خرج يوماً فصلّى على أهل أُحُد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال: اني فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الان وإني اعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا ولكن اخاف عليكم ان تتنافسوا فيها.[2]

حديث ظهور أئمة الضلال:

. . . قال (رسول الله (ص) يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنّون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين[3] . . .

1. المصدر السابق.
2. المصدر السابق.
3. مسلم، كتاب الإمارة، ج6، ص20.

3- هل أُقيمت «صلاة الجماعة» بإمامة أبي‌بكر، في زمان رسول‌الله؟

4- «سنّة الخلفاء الراشدين»، سنّة من؟

3- إمامة «أبي بكر» للصلاة في «مسجد النبي (ص)» في مرض رسول الله[1]:

يقول أنصار أبو بكر وأتباعه: أثناء مرض رسول الله في المرض الذي توفّي فيه، صلى أبو بكر بالمسلمين في مسجد النبي. وهذا مما يدلّ على رضا النبي عنه. فان كان رسول الله يرضى بإمامة ابي بكر للصحابة في ما يتعلّق بامور آخرتهم، فمن الاولى به أن يرضى بإمامته لهم في ما يتعلّق بشؤون دنياهم. وهذا دليل على مشروعية خلافة وحكومة أبي بكر[2].

4- هذا فضلاً عن ان رسول الله أمر الأُمّة باتّباع سنّة الخلفاء الراشدين.

---

1. ضياء الرحمن محمدي، في المؤتمر العلمي التحقيقي السابع عشر للمذاهب الإسلامية، ص154.
2. كتاب «حديث غدير مولاي مؤمنان وما أهل سنت»، تأليف محمد سليم آزاد، ص138.

مناقشة هذا الدليل:

أوّلاً: قيل ان هذه >الحادثة< قد >أجمعت على صحّتها كل الامة< بما فيهم الشيعة وعامة المسلمين، في أنّ أبا بكر بدأ إمامته للصحابة بهذه الصلاة، ولكن هذه الإمامة لم تتم. فقد جاء في ما نقله شيعة علي الذين ينقلون عن طريق عترة آل محمد ان رسول الله كان مريضاً ولما سمع باقامة الصلاة بإمامة أبي بكر في مسجده غضب، وخرج إلى المسجد متّكئاً على رَجُلين ويخط الأرض برجليه، ولم يكن قادراً على الوقوف؛ فأخر أبا بكر، وصلى هو بالناس من جلوس. وكانت هذه الصلاة الوحيدة التي كان فيها الإمام جالساً والمأمومون وقوف. وهذه الصلاة الجماعة التي صلاّها النبي من جلوس نقلها حتى غير الشيعة من عامّة المسلمين[1].

ولو كان رسول الله راضياً بإمامة أبي بكر للصلاة، لما جاء إلى المسجد وهو في غاية المرض بحيث كان عاجزاً عن الوقوف وتولّى هو بنفسه إمامة الصلاة وهذا الموقف يُعتبر عند الشيعة أوضح دليل على عدم أهلية أبي بكر لقيادة الامّة.

ثانياً: بما أنّ المعتقدات الدينية تستدعي التوصل إلى اليقين وتقصّي الأحاديث المتواترة، وفي العقائد تكون الحجّة بالحديث المتواتر فقط.

---

1. البخاري، ج1، ص 174.

وقضية رضا رسول الله بإمامة أبي بكر ليست متواترة (أي لا يُجمع عليها كلا الفريقين؛ شيعة علي وعامّة المسلمين). ولا تمثل حجّة قاطعة على مشروعية حكم أبي بكر. ولو أننا راجعنا تاريخ وسيرة وسلوك أبي بكر وعمر؛ لاتّضح لنا ما يلي:

1- ترك أبو بكر رسول الله في زمن غربة الإسلام في مكّة، تركه وحيداً في شعب أبي طالب.

2- وفي الوقت الذي قويت فيه شوكة الإسلام، في زمن غزوات النبي، كانا عندما يشعران بالخطر، يهربان من المعركة، ويتركان النبي وحيداً أمام ذلك العدو المتوحّش، وبذلك اثبتا عملياً عدم وفائهما لرسول الله.

3- ومن بعد رحلة رسول الله، تركا علياً وذوي القربى وحيدين في أمر تكفين ودفن رسول الله، وسارعا نحو السقيفة من أجل الاستحواذ على السلطة والرئاسة.

4- من بعد الاستيلاء على السلطة، استحوذا على أموال فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنّة، وأظهرا الظلم والجفاء لذوي قربى النبي.

5- سلّطا بني أميّة - وهم ألدّ خصوم ذوي القربى - على رقاب المسلمين، وبذلك مهّدا الأرضية للفتن الكبرى في العالم الإسلامي. وبذلك كانا سبباً في ايجاد الفرقة والضلال وتشتت الأُمّة الإسلامية الواحدة. وهو ما انتهى

بالمسلمين إلى غاية الذلّة أمام الكفار المحاربين.

ثالثاً: إذا كان من المفترض أن تُعطى الإمامة والقيادة للفارين في الغزوات، فقد كان هناك اشخاص اكثر آخرون فرّوا في الغزوات.

رابعاً: لو كان رسول الله يريد تعيين أبا بكر خليفة له في قيادة الامة، لأعلن ذلك صراحة وجهاراً من فوق المنبر، أو لكان قد أعلن هذه المسألة المهمّة في الحج أو عند الرجوع من الحج في غدير خم مثلاً، لكي يكون المسلمون الآخرون من غير أهل المدينة على علم بها. ثم ان الصلاة في المسجد لا تُعتبر على الاطلاق دليلاً على النصب للخلافة.

إن ما قام به الرسول في >غدير خم< حيث كان هناك مسلمون من جميع الأرجاء، وقوله لهم: >اني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا أبداً<، ثم أخذ بيد عليّ وقال: >من كنت مولاه، فهذا علي مولاه<؛ أي ان القيادة الوحيدة >علي وعترتي< إلى جانب القرآن هي التي تنجيكم من الضلال إلى يوم القيامة. وبيّن بالدلالة الالتزاميّة في هذا الحديث >الثقلين كتاب الله وعترتي< ان >القيادة من غير العترة< مثل قيادة أبي بكر وعمر وعثمان، ليست مصونة من الانحراف والخطأ والضلال؛ أي ان إمامة العترة هي فقط >الخلافة

الراشدة للمهديين<. وعلى العكس من ذلك >إمامة غير العترة< هي قيادة >أئمة ضلال وغير راشده<. وهذه الدلالة الالتزاميّة في >حديث الثقلين؛ كتاب الله وعترتي< دالة على ضلال قيادة أبي بكر وعمر، بحيث ان الترمذي بعدما نقل هذا الحديث قال إنَّ سنده حسن؛ بمعنى انه حديث صحيح. ولكن بما الترمذي كان يؤمن بإمامة وخلافة أبي بكر وعمر، ولما كان هذا الحديث دالاً على ضلال تلك القيادة (وان ذلك الحكم غير راشد)، يعبّر عن عجبه ويقول: هذا الحديث سنده حسن؛ أي انه صادر عن رسول الله، ولكنه غريب<؛ أي انه مثير للعجب. ذلك لأنّ >حديث الثقلين؛ كتاب الله وعترتي< يدل على أنَّ: إمامة وخلافة علي وعترة رسول الله هي الإمامة الوحيدة الراشدة والمصونة من الخطأ، وأما إمامة أبي بكر وعمر غير راشدة. هذه الدلالة الالتزاميّة والمفهومية >حديث الثقلين؛ كتاب الله وعترتي< لا تتوافق مع ما يعتقد به الترمذي الذي يؤمن باتّباع أبي بكر وعمر. ولهذا السبب بدا هذا الحديث غريباً وعجيباً في نظر الترمذي. في حين انه فضلاً عن مثل هذه الدلالة في >حديث الثقلين؛ كتاب الله وعترتي<؛ لو ان الترمذي نظر إلى النتائج التي حصلت من حكم أبي بكر وعمر ومنها: >منع تدوين الحديث النبوي، والاتيان بالأمويين إلى سدّة حكم الشام، والفتن التي أحدثتها

أفعال الأمويين بشكل مباشر أو غير مباشر، وكذلك ما نتج من سلبيات من جرّاء منع تدوين الحديث النبوي، إذا لو ان الحكم الامور دام لعدّة قرون أو ألف سنة مثلاً، لما بقي من محتوى الإسلام شيء. لو ان الترمذي نظر إلى هذه النتائج؛ لأدرك أن الحق كان مع رسول الله، وأن النتيجة التي انتهى إليها حكم أبي بكر وعمر لم تكن سوى الخطأ والضلال وما شابه ذلك.

لو أن أبا بكر وعمر، من بعد رسول الله تركا علياً يتولّى زمام الشؤون السياسية والعلمية للامّة، لما وقعت الأُمّة في ما وقعت فيه من ضلال وفرقة. ولما كانت للأمويين سلطة لا في الشام ولا في المدينة يحيث يحاربون بها علياً ويسوقون الأُمّة نحو المزيد من الفرقة والتشرّذم، ولما وقع ما وقع من منع تدوين الحديث النبوي، ولما استمر ذلك المنع أكثر من قرن، حيث وجدت الأُمّة نفسها بعد ذلك حائرة بين الأحاديث المتضاربة التي تُنسب إلى رسول الله.

قال رسول الله: «يهلك أُمّتي هذا الحيُّ من قريش»[1]، وقال أيضاً متوجهاً بالخطاب الى أصحابه: «ستحرصون علي الإمارة ويكون الندامه يوم القيامة». ومما جاء في القرآن الكريم في هذا،

---

1. البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة؛ مسلم، كتاب الفتن.

أن رسول الله في يوم القيامة يشكو الى ربّه من موقف قومه القريشيين[1] من القرآن، فيقول: {**إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا**} - وقال رسول الله أيضاً: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنّون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين[2].

4- إذاً إن جاء في حديثٍ عن رسول الله أنه أمر بإتّباع «الخلفاء الراشدين» المهديين، فمن المؤكّد انه يقصد «الأئمة من العترة»، ولا يقصد أبداً «آبا بكر وعمر وعثمان الأموي» الذين «منعوا تدوين الحديث النبوي»، وسلّطوا الأمويين على رقاب الأمة، وتسببوا في ضلال أتباعهم، وجعلوا من أنفسهم أئمة ضلال؛ بحيث لو لم ينقرض حكم واستمر لعدة قرون اخرى، لاستمر «منع تدوين الحديث النبوي» ولم يبق أي أثر من «سنّة رسول الله».

في الحديث الذي قال فيه رسول الله: يُهلكُ الناسَ، هذا الحيُّ من قريش، مع استعمال ضمير الإشارة الحاضر؛ ويعني بذلك هؤلاء الصحابة من قريش الحاضرين في المدينة، ويقصد بذلك القريشيين المهاجرين. ثم بعد ذلك قال: لو أن الناس اعتزلوهم. مستعملاً هما > لو< الشرطية لبيان أن المتعلّق أمر غير

1. سورة الفرقان، الآية {إنّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً}.
2. مسلم، كتاب الإمارة.

واقع؛ أي أن الناس عملياً بسبب الأهواء وحبّ الدنيا يتّبعونهم فيضلّون ويهلكون.

إيّاكم ومحدثات الامور فانها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجد.

سنة الشيخين أبو بكر وعمر، وبني أُميّة الذين هم صنائع أبي بكر وعمر، هي «منع تدوين الحديث النبوي» (ونقض حكم القرآن والسُنّة النبوية في الكثير من الموارد التي أُشير اليها في ما سبق). وقد خالف جميع مؤلّفي الكتب الستّة وكُتّاب الأحاديث النبوية وحتّى الترمذي هذه السُنّة التي وضعها أبو بكر وعمر (وهي منع كتابة الحديث النبوي)، وبادروا الى كتابة السُنّة النبوية ولم يتركوها تذهب طي النسيان.[1]

---

1. سنن الترمذي، باب الأخذ بالسنة؛ مستدرك الحاكم، كتاب العلم. قال رسول الله : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين.

5- «اولو الأمر»[1]

1. ضياء الرحمن محمدي، في المؤتمر العلمي التحقيقي السابع عشر للمذاهب الإسلامية، «دعا الله بكل حزم الى طاعة اولي الأمر، وانهم ولاة الأمر بعد رسول الله (ص)»، ص 156.

إدّعاء بعض علماء «عامة المسلمين»، أن أبا بكر، يمثّل مصداق «اولي الأمر»:

الدليل الذي يسوقه بعض علماء «عامة المسلمين»، على مشروعيّة خلافة وإمامة أبي بكر ووجوب طاعته هو ما جاء في الآيتين الشريفتين 59 -60 من سورة النساء، حيث أن الله من بعد ما أمر بطاعته وطاعة رسوله، أمر بوجوب طاعة «اولي الأمر». وذلك في قوله عزّ وجل: {اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولو الأمر منكم}. ولاشك طبعاً في أن أبا بكر قد انتهت إليه من بعد رسول الله، الإمارة والرئاسة على الصحابة وعلى سائر المسلمين وأخذ زمامها بيده وغدا أميراً وحاكماً على المسلمين؛

والمقصود من «اولي الأمر» هم «السلاطين والأمراء». إذاً بهذا الدليل، تثبت مشروعيّة قيادة أبي بكر على المسلمين. جاء في سورة النساء، الآيتان 59 - 60:

{أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}.

بحث الدليل المذكور آنفاً:

أ: لاشكّ في أن اولي الأمر ليس بمعنى السلطان أو الأمير، فإنّ الله تعالى كان يستطيع أيضاً أن يستعمل كلمة «أمير» أو كلمة «سلطان» بدلاً من عبارة «اولو الأمر» في هذه الآية، كأن يقول مثلاً . . أطيعوا الله واطيعوا الرسول واطيعوا أميركم يا اطيعوا امرائكم. ولكن الله عزّ وجلّ يَقل ذلك، وإنما قال: اطيعوا اولي الأمر منكم. ولهذا ينبغي التعمّق في معنى هذه الكلمة، ولماذا لم يضع الله تبارك وتعالى كلمة >الأمير< أو >الامراء< بدلاً من كلمة >اولي الأمر< في هذه الآية الشريفة؟

لم يأت الله في هذه الآية بكلمة اخرى بدلاً من كلمة >اولي الأمر<؛ وذلك لأنّ هذه الكلمة غير مرادفة لكلمة >أمير< أو كلمة >سلطان<. فهذه الكلمة >اولي الأمر< تعني من يكون صاحب الاختيار والاولى بالأمر؛ أي من يكون له شرعاً حق الأمر وادارة شؤون الحكم (وهو من يملك حق الأمر شرعاً)؛ وليس بمعنى من له السلطة على الناس، وإن كانت سلطته على الناس من غير حق أو انه تسلّط عليهم وغلبهم بالجور أو انه سلطان منافق أو على غرار يزيد بن معاوية الذي انكر رسالة رسول الله. فان كان الأمر كذلك، هل ينبغي أيضاً اطاعة يزيد وإنكار رسالة النبي.

أن النسبة بين مفهوم «اولي الأمر» ومفهوم «الأمير والسلطان» نسبة عام

من وجه وخاص من وجه آخر. وهما مفهومان متفاوتان مع بعضهما. فما بالك بالأمراء الذين تسلّطوا على المسلمين بغير وجه حقّ. ولم يكن لهم حق الأمر على المسلمين؛ لأنّه استناداً الى قول الله تعالى في القرآن الكريم في سورة البقرة، في الخطاب الموجّه الى النبي ابراهيم {**لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**}. فما بالك بـ «المنافق» الذي هو في الباطن «كافر». وقد وعد الله أن لا يجعل للكافرين سلطة على المسلمين. {**وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**} وهناك من كان لهم شرعاً حق الأمر، ولكن بسبب الظالمين وطغيانهم، لم يتمكنوا من ممارسة دورهم عملياً مثل هارون أخو موسى في مقابل السامري.

ب. وليس ثمة شك أيضاً في أن «الأمير بما هو أمير» و«السلطان بما هو سلطان» غير واجب الطاعة أبداً في القرآن وسنّة رسول الله المتواترة؛ لأنّ الظالم لا يستطيع شرعاً أن يكون إماماً للمسلمين. فقد جاء في القرآن {**لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**}. وكذا الكافر أو المنافق (الذي هو في الباطن كافر) لا يكون حاكماً وإماماً للمسلمين {**وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**} وكذا «غير العترة» الذين هم أئمة ضلال، لا يكونون قادة للمسلمين مثل أبي بكر، وعمر، وعثمان، ومعاوية، ويزيد بن معاوية.

رغم ان بعض أتباع أبي بكر وعمر وضعوا أحاديث ونسبوها إلى رسول الله، تدعو إلى وجوب الطاعة المطلقة للسلطان حتى وإن كان جائراً - كما شرح ذلك سابقاً - ولكن هذه الأحاديث تنطوي بين ثناياها على تناقضات، ومما يجعلها غير مقبولة.

نقل البخاري في هذا الموضوع حديثين، أحدهما:

1- نسب إلى رسول الله إنه أمر بطاعة السلطان طاعة مطلقة، وبيّن الداعي إلى ذلك في أن مفارقة السلطان ولو بمقدار شبر، تعني الخروج من ربقة الإسلام، وهو ما يعني انه ينتهي بالإنسان إلى النار[1].

2- وفي الحديث الآخر يكرر البخاري هذا الأمر بطاعة السلطان، ويبين في ختام الحديث علّة ذلك في أنّ «من فارق جماعة المسلمين فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه».[2]

هذه الأحاديث التي نقلها البخاري وأمثاله من أتباع أبي بكر وعمر، ليثبتوا بها لزوم طاعة «السلطان» مطلقاً حتّى وإن كان «جائراً» و«منافقاً».

في حين أن أن القرآن قد نصّ في سورة البقرة في الآية الشريفة: {**لاَ**

---

1. البخاري في كتاب الأحكام، ومسلم في كتاب الإمارة.
2. البخاري في الباب المذكور آنفاً.

يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}. بعدما جعل الله ابراهيم إماماً، طلب ابراهيم من ربّه أن يجعل الإمامة في ذرّيته، فأجابه الله: {**لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**} أي أن «عهد الإمامة»، الذي هو عهدي «لا يناله ظالم».

لو أخذنا هذين الحديثين السابقين بالمعنى الذي يقول به «عامة المسلمين» أي أن نحملهما على معناهما «المطلق»، أي أن طاعة السلطان، واجبة مطلقاً حتّى وإن كان سلطاناً جائراً، فهذا يتعارض مع صريح نصّ القرآن.[1]

بالإضافة الى ذلك ينطوي هذان الحديثان اللذان نقلهما البخاري وأمثاله، على تناقض فاضح، ومن غير الممكن أن يكون كلاهما حديثين صادقين، وصادرين عن رسول الله.

أحد هذين الحديثين علل ضرورة إتّباع السلطان في أن المسلم إذا ابتعد عن «السلطان» شبراً، (أي ولو بمقدار مخالفة أمر واحد من أوامره) فذلك يكفي لكي يجعله من أهل النار. وفي الحديث الثاني الذي نقله البخاري وأمثاله، بيّنوا السبب الداعي الى طاعة السلطان في أن الإبتعاد عن «جماعة المسلمين» (وليس

---

1. كتاب «حديث غدير مولاي مؤمنان وما أهل سنت»، تأليف محمد سليم آزاد، مقدمة ايوب گنجي، ص 10. الأئمة بعضهم عادل وبعضهم «ظالم».

السلطان)، ولو بمقدار شبر واحد - وهو أقل فاصلة ممكنة - يؤدّي بالشخص المسلم الى النار، حتى وإن ابتعد عن جماعة المسلمين، بهذه المسافة القليلة.

وفقاً لهذين الحديثين اللذين نقلهما البخاري في ما يخصّ قضية مخالفة «الصحابة» مع «عثمان الأموي» (ومع «بني أميّة» وما ارتكبوه من مظالم وممارسات مخالفة للشريعة، وما أعقب ذلك من قتل «عثمان الأموي» على يد المصريين الذين قتل «أخو عثمان بالرضاعة ووالديه على مصر» أقاربهم بغير وجه حقّ[1]، وفقاً لهذه الأحاديث التي نقلها البخاري فلا بد أن يكون عثمان من «أهل النار» لأنّه فارق «جماعة المسلمين». وكذلك «الصحابة» الذين خالفوا عثمان، فهم من أهل النار أيضاً لأنّهم فارقوا «سلطان زمانهم» عثمان الأموي.

أي أن هذين الحديثين يتعارضان مع القرآن من جهة ويتعارضان مع بعضهما الآخر من جهة اخرى، كما يتعارضان أيضاً مع حديث الثقلين المتواتر «كتاب الله وعترتي» الذي يعتبر الإفتراق عن «الأئمة من العترة» مساوياً للضلال ودخول النار. فحديث الثقلين: كتاب الله وعترتي، يعتبر الأمير الذي افترق عن عترة رسول الله وابتعد عنهم من أئمة

1. تاريخ الطبري، الباب المتعلّق بحكومة عثمان.

الضلال. ولا شك في أنّ أبا بكر - وفقاً لرواية البخاري ومسلم - قد افترق عن علي وفاطمة، وقد كان عليّ من المخالفين لحكومة أبي بكر. وقد كانت فاطمة أيضاً مخالفة لأبي بكر.

وهكذا الحال أيضاً بالنسبة الى الأحاديث[1] التي وردت حول آخر الزمان وما أخبر به رسول الله عن ظلم سلاطين المسلمين وحتى نفاقهم وكفرهم. وفقاً للأحاديث التي نقلها البخاري، وتدعو الى وجوب اتّباع السلطان، يصبح من الواجب على الأمّة اتّباعهم وطاعتهم، حتّى وإن شمّر هؤلاء السلاطين عن سواعدهم للقضاء على الإسلام. مثلما هو الحال بالنسبة الى «يزيد بن معاوية»، المنصوب من قِبل «معاوية الصحابي» من بعد قتل «الحسين بن علي» (أحد سيدي شباب أهل الجنّة)، قال:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل[2]

بمعنى أن يزيد بن معاوية هذا السلطان والأمير الذي يحكم المسلمين، يكذّب رسول الله محمد مصطفى وينكر رسالته، فهل يجب على المسلمين بعدئذ طاعة «يزيد بن معاوية» طاعته كأمير بما يعنيه ذلك من تكذيب لرسالة رسول

---

1. كتب حديث البخاري وغيره، في أحاديث الفتن.
2. كتاب تاريخ الطبري وغيره، حول يزيد بن معاوية، ووقائع السنوات: 60، 61، 62، 63.

الله امتثالاً لأمر يزيد وإرضاءً له.
حتى في زمان رسول الله كان سلوك >جماعة المسلمين والأكثرية منهم<، بعض الحالات والمواقف خلافاً لحكم الله. ومن الأمثلة على ذلك حين جاء الأمر في القرآن بالمشاركة في صلاة الجمعة (في آخر سورة الجمعة)، ولكن أكثرية الصحابة وجماعة المسلمين عندما سمعوا صوت قدوم قافلة تجارية، هرعوا صوب القافلة من أجل الحصول على معاملات مع التجار القادمين، وتركوا رسول الله قائماً للصلاة، إلا عدداً قليلاً يعدّون بالأصابع. جاء في سورة الجمعة: {**وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِما قُلْ مَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ**} - وكذلك الحال في غزوة أُحُد وفي غزوة حنين وغيرهما، فرّوا عند الشعور بالخطر، وترك المسلمون، رسول الله وحيداً أمام ذلك العدوّ المتوحّش. وهنا نلاحظ أن الباري تعالى في مثل الحوادث والمواقف، يؤاخذ جماعة المسلمين ويعبّر عن غضبه عليهم لتركهم رسول الله وحيداً. فقد قال في سورة التوبة {**ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ**}.
هناك من الصحابة من لم يتّبعوا جماعة المسلمين، ووقفوا إلى جانب رسول الله في مواقف عصيبة مثل غزوة أُحد، ومنهم حمزة سيد الشهداء وعلي المرتضى. إذ من المعروف أن عليّاً المرتضى لم يترك رسول الله في اي من

الغزوات. لقد جاء في الأحاديث النبوية حول آخر الزمان ان أكثرية المسلمين في آخر الزمان يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، بدلاً من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومن الطبيعي ان الله لا يرضى للمؤمن ان يتّبع >جماعة المسلمين الذين يعصون الله<، أو أن يمتثل لأوامر السلاطين الظلمة والمنافقين والمنكرين لرسالة النبي.

وعلى كلّ حال فإن «جماعة المسلمين بما هي جماعة المسلمين»، غير واجبة الإتّباع، كما أن «السلطان بما هو سلطان» غير واجب الإتّباع.

إنّ طاعة الله ورسوله هي الواجبة فقط، سواء كانت طاعة الله موافقة لأمر السلطان وجماعة المسلمين أم كانت مخالفة لسلوك >السلطان< وسلوك >جماعة المسلمين<. ثمّ ان الأمير بما هو أمير غير واجب الاتّباع على نحو مطلق، لا بأمر القرآن ولا بالسُنّة المتواترة التي تُجْمع عليها كل الفرق الإسلامية. بل نصَّ القرآن الكريم كما جاء في سورة البقرة[1] على النهي عن الانقياد والتبعية للسلطان.

وما جاء في سورة النساء من القرآن الكريم يبيّن بشكل أوضح أن كلمة اولي الأمر لا تعني أمير المسلمين. فاولو

---

1. سورة البقرة، الآية، 166 {اذ تبرأ الذين اتُبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب}.

الأمر تعني من بيدهم الصلاحية والاختيار. وكلمة >اولي الأمر< التي جاءت في القرآن يُقصد بها من فُوّضت اليهم امور المسلمين شرعاً من قِبل الله ورسوله (أي إنّهم الاولى بالتصرّف في شؤون المسلمين)؛ سواء كان بيدهم الحكم والسلطة كما هو الحال بالنسبة إلى رسول الله الذي اصبحت بيده السلطة من بعد الهجرة، أم لم تكن بيده السلطة والحكم مثلما كان الحال بالنسبة إلى النبي في مكّة قبل الهجرة، وهو زمان غربة الإسلام، حيث كانت السلطة في مكّة يومذاك بيد اشخاص من أمثال أبي سفيان وأبي جهل. ولكن رغم ذلك فقد كانت أوامر الرسول واجبة الطاعة شرعاً وكان رسول الله هو ولي أمر المسلمين. واذا أردنا الإتيان على مثال لهذه الحالة من أوصياء الأنبياء، نذكر هنا هارون اخو موسى، الذي استخلفه موسى على قومه أثناء غيابه في المدّة التي ذهب فيها إلى جبل الطور؛ فكان هارون هو ولي الأمر الواجب الطاعة والاتّباع، رغم انه لم يكن ملكاً ولا سلطاناً على بني اسرائيل، وكانت السلطة والامارة على بني اسرائيل بيد السامري.

لقد كان هارون هو الولي الواجب الطاعة شرعاً وليس السامري الذي كانت بيده السلطة على أتباع موسى.

وخلاصة الكلام هي ان كلمة >اولي الأمر< لا تعني السلطان ومن بيده زمان

الحكم، وانّما تعني >من فُوض إليه شرعاً حق الأمر والنهي على المسلمين< من قِبل الله تعالى، مثلما هو الحال بالنسبة إلى هارون أخو موسى، الذي اوكلت إليه رئاسة أتباع موسى. ولهذا فقد بيّن رسول الله للمسلمين >الأمر من بعده< في غدير خم حين قال لهم: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً.

ومما تجدر الاشارة إليه ان رسول الله عندما سار إلى غزوة تبوك استخلف علياً على المدينة وأمره بالبقاء فيها، ولمّا سأل عليٌّ النبيَّ عن سبب استخلافه في المدينة، قال له النبي: >انت مني بمنزله هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي<. فعندما كان موسى يغيب عن قومه كان هارون هوخليفته فيهم.

والتعليل دائماً بالنسبة إلى المورد عام. ومثال ذلك ان الشريعة المقدّسة نصّت على ان الخمر حرام؛ لأنّه مسكر. أي ان المسكر بشكل عام حرام. وبما أنّ الخمر من مصاديق المسكر فهوحرام.

ج - ان الله تبارك وتعالى لا يأمر أبداً بطاعة من ينقض >أحكام القرآن والسُنّة< النبوية عمداً أو جهلاً وخطأً، ويقود الأُمّة على غير الطريق السوي. وهذا مما فعله أبو بكر في موارد كثيرة.

سواء في ما يخص >منع تدوين

الأحاديث النبوية< فلو ان الحكم الأموي استمر لعدّة قرون، لذهبت جميع أحكام الدين طي النسيان.

ام في ما يخص ما فعله هو وعمر في تسليط أولاد أبي سفيان من الأمويين على الشام، واستخلاف عثمان الأموي من بعدهما على المدينة. وما شابه ذلك من المواقف.

إنّ السياسات التي انتهجها أبو بكر وعمر في:

1- منع تدوين الأحاديث النبوية

2- الإتيان ببني أميّة إلى الحكم، وهو ما تسبب في ضلال وفرقة الكثير من المسلمين إلى حد الآن. و هذا يعني إنّهم كانوا أئمة ضلال.

عند الاطّلاع على هذا التاريخ، يدرك المرء مدى صواب بيان رسول الله في غدير خم وفي غيره من المواقف، حول >حديث الثقلين: كتاب الله وعترتي< وهو ان القيادة حينما كانت من غير العترة أوقعت الأُمّة في هذا الضلال والفرقة والذل والتعاسة والشقاء. ان خصوص >حديث الثقلين؛ القرآن والعترة< دليل صريح على عدم جواز رئاسة أبي بكر وعمر اللذين كانا رؤساء ولكن من غير العترة. فبالاضافة إلى ان حكومة أبي بكر وعمر لم تكن ذات مجوّز من الله ورسوله، لا في القرآن ولا في السُنّة المتواترة، بل ورد نهي عن الرئاسة في >حديث الثقلين؛ كتاب الله وعترتي<.

وبالنتيجة فقد جاء في ذيل آية

الأمر بطاعة اولي الأمر؛ يعني الآيتان 59 و60 من سورة النساء، ان الله عزّ وجل يقول: إذا وقع بينكم نزاع أو خصام في شيء، عليكم الرجوع به الى الله ورسوله؛ أي لا تقرروا شيئاً من عند أنفسكم. فقد جاء جوابه الكافي والوافي في القرآن وفي سنّة رسول الله.

واما بالنسبة إلى شروط القيادة، فقد ذكر القرآن الكريم في سورة البقرة في الآيات التي تحدثت عن النبي ابراهيم، ذكر شرط >العدالة<. وفي الآيات التي تحدثت عن طالوت[1]، ذكر القرآن الكريم شرط الأعلمية للقيادة. ومن الطبيعي ان أبا بكر لم يكن عادلاً ولا هو أعلم الأُمّة بالقرآن ولا بالدين وذلك لما كان منه من فراره في غزوات الرسول، وعدم الوقوف إلى جانب رسول الله أو مساعدته في شعب أبي طالب، وكذلك نقض حكم الله وحكم السُنّة النبوية حين أقدم على احراق فجاءة، ومنع فاطمة من الحصول على سهمها من خمس خيبر، ومخالفته لعترة النبي، وغير ذلك. وكان - وفقاً لاعترافه - لا يجيد تفسير القرآن[2]. وهذا يعني انه لم يكن مرجعاً علمياً للأُمّة في الفقه ولا في غيره.

---

1. سورة البقرة، الآية، 247 {ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم}.
2. طبقات ابن سعد، ج3، القسم الأوّل، ص 237 عن انس بن مالك، فقرأ: فاكهة وإبّاً، فقال، ما الإبّ؟

واما أعلم واعدل الصحابة وأكثرهم ايماناً (في نظر كل محايد وعاقل ومحقّق) فهو علي بن أبي طالب، الذي لم يتخل عن رسول الله في أصعب المواقف ولم يتركه وحيداً، وحتى عمر نفسه كان يقول: أقضانا علي، كما جاء في كتاب البخاري.

الصحابي الوحيد الذي عيّنه الرسول في غدير خم - من بعد الأخبار عن اقتراب أجله - في تلك الخطبة المفصلة (التي حُجبت على يد أتباع أبي بكر وعمر)، وقدّمه إلى الأُمّة باعتباره >مولى وخليفة وقائداً< هو علي بن أبي طالب، الذي قال عنه في أحاديث اخرى متواترة ان علياً مولى كل مؤمن بعدي[1] وعبارة ولي كل مؤمن بعدي، لا يمكن أن تدل على المحبّة والمودّة؛ وذلك لأنّ علياً كان ودوداً وصديقاً ومحبّاً للمؤمنين في زمان رسول الله أيضاً.

لقد حاول >علماء العامّة< ولازالوا يحاولون حجب الأحاديث الدالة على خلافة عليّ أو تأويل معناها. ولكن أعياهم هذا الحديث الذي قال فيه رسول الله: >عليّ وليّ كل مؤمن بعدي< وذلك لأنّ عامّة المسلمين يحاولون ان يحملوا كلمة >مولى< الواردة في هذا الحديث على خلاف ظاهرها، ويزعمون

---

1. سنن الترمذي: إنّ علياً مني وأنا منه و«هو ولي كل مؤمن بعدي».

انّها لا تعني الحكم والرئاسة وإنما تعني >المودّة والمحبّة<. ولكن في هذا الحديث الذي يؤكد فيه رسول الله >عليّ وليّ كل مؤمن بعدي< لا يمكن أن تكون هذه الكلمة بمعنى المودّة والمحبّة؛ لأنّ محبّة علي لا تختص بزمان ما بعد رسول الله، وانّما محبّة علي واجبة في زمان النبي أيضاً. إذاً يبقى معنى كلمة >مولى< هو الحاكم والرئيس، وهذا هو المعنى الظاهر لهذه الكلمة؛ أي أن الحاكم والرئيس على المؤمنين من بعدي هو علي بن أبي طالب. بالاضافة إلى ان علماء >عامة المسلمين< دأبوا على حجب حديث الغدير، يبدو أن عدم معرفة السبب في وفاة فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنّة في شبابها، وخفاء موضع دفنها، وغير ذلك من الامور، ربّما يعود سببها إلى الاختلاف والعداء الذي كان بين أبي بكر وعمر مع >علي وفاطمة<، ويمثل أيضاً دليلاً على ظلم أبي بكر وعمر لعلي وفاطمة. ومن المعروف ان الظلم يُعد من موانع قيادة الامّة، كما جاء في القرآن وفي السُنّة المتواترة. هذا فضلاً عن أن أبا بكر وعمر كانا مشركين يعبدان الأصنام مدّة طويلة قبل إسلامهما. ومن المعروف ان الشرك ظلم عظيم. ومن بعد التسلّط على المسلمين، مارسا ظلماً كثيراً، وهو ما سبقت الاشارة إلى نتفٍ منه، وكذلك ظلم محمد وآل محمد وغيرهم. وكذلك نقضهما

لأحكام القرآن والسنّة النبوية المتواترة، وقد وصف الله تعالى في سورة المائدة من ينقضون حكم الله بالفاسقين والظالمين والكافرين:

{ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون}

{ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون}

{ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون}

وأكّد في سورة البقرة على أن الظلم من الموانع التي تحول دون تولّي الظالم لزمام القيادة {لا ينال عهدي الظالمين}.

و في سورة النساء، بيّن الباري تعالى عدم جواز تسلّط الكافرين على المسلمين: { ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا }.

وهناك أيضاً حديث: «عليّ وليّ كل مؤمن من بعدي».[1]

في هذا الحديث الذي يقول فيه رسول الله >عليّ وليّ كل مؤمن من بعدي<، بما أنّ كلمة >مولى< تختص بزمان ما بعد رسول الله، لذلك لا يمكن أن تؤخذ بمعنى المودّة والمحبّة؛ وذلك لأنّ محبّة ومودّة

---

1. الترمذي والنسائي «ان عليّاً» مني وأنا منه، وهو وليّ كل مؤمن بعدي.
جامع الترمذي، أبواب المناقب، الباب20، الحديث 3712.
السنن الكبرى للنسائي، أبواب المناقب، الباب4، الحديث 10/8146.

علي لا تنحصر في زمان ما بعد رسول الله. وفي زمان رسول الله أيضاً كان محبّة ومودّة علي مفروضة واجبة انطلاقاً مما اوجبته آية المودّة. وهذا البيان الذي أعلنه رسول الله للأُمّة في غدير خم من بعد إعلامه بقرب وفاته يدخل في عداد تلك الوصايا التي اطلقها الرسول لما بعد وفاته، مثلما هو الحال في وصيّته بالثقلين ودعوته إلى التمسّك بهما في حديث الغدير. الولاية التي جعلها رسول الله لعلي بن أبي طالب في غدير خم، تختص بزمان ما بعد النبي؛ ولهذا السبب لا يمكن ان تؤخذ بمعنى مجرّد المحبّة والمودّة، وانّما قصد بها دقيقاً زمان ما بعد رحلته. وهو هنا يبيّن أحد مصاديق التمسّك بالعترة، التي كان قبل[1] هذا قد أوصى بالتمسّك بها. أي أنه قد بيّن أوّلاً مصداق >الأئمة من العترة< من بعده.

هذا فضلاً عما جاء في الأحاديث النبوية المتواترة، إنّا لا نولي هذا من سأله[2]. وكذا ما جاء في حديث آخر إن من يحرص على الرئاسة والإمارة لا يستحقّ نيلها.

---

1. سنن النسائي، إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً. . . ثم قال إنّ الله مولاي وأنا وليّ كل مؤمن. ثم أخذ بيد علي فقال: من كنت وليّه فهذا وليّه.
2. البخاري، المجلّد الثامن، في كتاب الأحكام ص 107، قال رسول الله: إنّا لا نولّي هذا من سأله ولا من حرص عليه.

يُفهم من منطوق حديث الثقلين: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً، أن إتّباع «الأئمة من العترة» يحصّن المتمسّكين بهذا الخط من الضلالة الى يوم القيامة؛ أي أن «الأئمة من العترة»، معصومون من الخطأ والمعصية: وإلا فان الأمير الذي يأمر الله بطاعته بشكل مطلق من غير الممكن أن يكون من ذوي المعاصي أو يحتمل منه الخطأ. لأنّه لو كان عاصياً أو يُحتمل منه الخطأ في القيادة وربّما يضل الأُمّة ويخرج الناس عن الصراط المستقيم بالخطأ، بالنتيجة فان الأمر بطاعته بشكل مطلق، يدل على ان هذه الآية تنطوي على تناقض، وكأن الله عزّ وجلّ يأمر عباده بطاعة مثل هذا الأمير الذي يقود الأتباع إلى الضلال في بعض المواقف وهذا محال طبعاً. وهكذا يُفهم بالنتيجة ان >اولي الأمر الذي وجبت طاعتهم بشكل مطلق وفقاً لما جاء في هذه الآية من سورة النساء، معصومون من المعصية، بل وحتّى معصومون من الخطأ.

وذلك يعني انه بالاضافة إلى ان حديث الثقلين >كتاب الله وعترتي< دال على عصمة الأئمة من العترة (لأن الأئمة الذين يصونون أتباعهم من الضلال إلى يوم القيامة، لابد أن يكونوا معصومين من الخطأ)، فان الأمر الصادر من الله باطاعة اولي الأمر وبشكل مطلق، يعد

بحد ذاته دليلاً على ان اولي الأمر معصومون؛ وذلك الله تبارك وتعالى هو الذي أمر المسلمين بطاعتهم شرعاً فأصبحت طاعتهم واجبة بشكل مطلق. ثم ان مصطلح >أولي الأمر< الذي ورد في القرآن الكريم لا يدلّ على معنى السلطان والأمير؛ فما بالك إذا كان ذلك السلطان أو الأمير ظالماً ومنافقاً مثلما هو الحال بالنسبة إلى >يزيد بن معاوية< الذي انكر رسالة رسول الله ودفع الناس إلى الشرك والكفر والالحاد وإلى أبشع انواع الظلم. ومن غير الممكن قط ان يأمر الله بطاعة مطلقة لمثل هذا الأمير أو أي أمير آخر. ومعنى >اولي الأمر< هم من لهم حق أمر الأمّة باذن الله، سواء أطاعوهم الناس أم لم يطيعوهم كما الحال بالنسبة إلى أخي موسى هارون الذي لم يتّبعه قومه، ولكنه شرعاً كان هو القائد وله عليهم حق الطاعة.

وبعبارة اخرى ان اولي الأمر ليس بمعنى الامراء، أي ليس كل أمير يُعدّ من اولي الأمر شرعاً.

6- «سقيفة» موضع تشاور أم تنازع؟

6- الإستدلال بآية الشورى: {وأمرهم شورى بينهم} - وآية المشورة: {وشاورهم في الأمر}:

بعض علماء «عامة مسلمين» استدلوا على مشروعيّة خلافة أبي بكر بما جاء في القرآن الكريم في سورة آل عمران {شاورهم في الأمر}[1] وفي سورة الشورى {وامرهم شورى بينهم[2]} التي تنصّ على أن المؤمنين يديرون شؤونهم بالتشاور والمشورة في ما بينهم (وحتّى أن الله تبارك وتعالى أمر نبيّه بالتشاور مع المؤمنين في غزوة أُحُد). وهكذا عمل الصحابة على هذا المنوال في السقيفة، وعيّنوا أبا بكر خليفة وفقاً لما أمر به الله في القرآن حين بيّن أن المؤمنين يديرون امورهم بالتشاور في ما بينهم، وأن تعيين أبي بكر جاء على أساس الشورى، أي أنه في الواقع، عمل بأمر القرآن. وذلك يعني كان بإذن الله وهو عمل مشروع.

---

1. سورة آل عمران، الآية 159.
2. سورة الشورى، الآية 38.

تمحيص ونقد الدليل المذكور أعلاه:

أوّلاً: من يبحث في تاريخ الإسلام يدرك تماماً ان أياً من حكّام وخلفاء >أهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي< لا يؤمنون باختيار حاكم وسلطان المسلمين بالشورى وبالتشاور، بل انهم إلى الآن لا زالوا لا يعتقدون بذلك؛ وذلك لأنّ بني أميّة وبني العباس تسلّطوا على رقاب الناس بالنار والحديد واراقة الدماء. وحتى عثمان لم يصل إلى السلطة بالتشاور الحرّ أو بالانتخابات العامّة، وإنما استلم الحكم باسلوب >الشورى الذي رتّبه عمر< حيث كان نصف أعضاء تلك اللجنة من بني أميّة مثل عثمان، أو من أقاربهم كما هو الحال بالنسبة إلى عبد الرحمن بن عوف الذي كان صهراً لعثمان الأموي، وسعد بن أبي وقاص الذي كان أموياً من قِبل امّه. واما طلحة الذي كان ابن عمّ أبي بكر وعائشة فلم تكن له ميول إلى علي بن أبي طالب. ومن بعد عثمان اضطرت تحت ضغط الاتجاه العام الذي ساد يومذاك لصالح علي بن أبي طالب، اضطر إلى مبايعته ظاهرياً، غير انه في آخر الأمر خضع لإمامة امرأة اسمها عائشة (التي كانت عدوّة لعلي ومبغضة له) وأشعل بالتعاون مع رفيقه صهر أبي بكر، ألا وهو الزبير، نيران معركة الجمل ضد >علي الإمام المفترض الطاعة<. أي أن وصية عمر لتشكيل مثل هذه الشورى (الذي كان أكثرهم أعداءً

لعلي، وبدون وجود حتى شخص واحد من أصحاب علي) كانت الغاية منها أن لا يتحمّل عمر وحده مجيء عثمان الأموي إلى السلطة (ولكي يجعل أعضاء الشورى العمرية شركاء له في هذا العمل)؛ وذلك لأنّ تشكيل الشورى من مثل هؤلاء الأعضاء كان يشير منذ البداية إلى إنّهم سيختارون >عثمان الأموي< وليس >علي بن أبي طالب الهاشمي<. ومن المؤكّد أنّ علياً سيكون في كفّة الأقليّة، وكان عمر قد أوصى بضرب رقبة من يكون مع الأقلية، وكأنه كانت هناك غاية اخرى من وراء تشكيل الشورى من مثل هؤلاء الأفراد وهي قتل >علي<، ولكنهم لم يجرؤوا على فعل ذلك. وكانت معرفتهم بشجاعة علي وسرعة اقدامه سبباً لثنيهم عن الأخذ بوصية عمر والتفكير في قتل علي.

وعلى كلّ حال لم يكن لأي من أصحاب علي وشيعته مثل العباس أو عمار أو أبي ذر أو المقداد وغيرهم حضور في هذه الشورى العمرية؛ بل كانت أكثر الشورى تتألّف قطعاً من المناوئين لعلي. وخلاصة الكلام هي ان الطريقة التي أوصى بها عمر كانت نتيجتها معروفة سلفاً وهي الإتيان بعثمان الأموي إلى سدّة الحكم. مثلما ان عمر جاءت به وصية أبي بكر إلى السلطة. ان أبا بكر وعمر لم يكن أي منهما يؤمن باختيار حاكم المسلمين عن طريق الشورى العامّة أو الانتخابات، ولم

يتركا للأُمّة من بعدهما أن تختار أميرها بحريّة.

أي أن أياً من أئمة «أهل السُنّة بالمعنى الإصطلاحي» ابتداءً من «أبي بكر وعمر» الى «بني أُميّة وبني العباس وآل سعود»، لم يكونوا يعتقدون واقعاً وباطناً، بتعيين أمير المسلمين عن طريق «انتخابات حرّة»؛ لا بني العباس ولا بني أُميّة ولا أبا بكر وعمر؛

ثانياً- ان من كانت تحتاج إليه الأُمّة الإسلامية >للبقاء على طريق الحق إلى يوم القيامة< هو الإمام الذي أعلن عنه رسول الله في حديث الثقلين بقوله: >. . . كتاب الله وعترتي . . . < الذي لم يكن >مؤمناً حقيقياً< و>عالماً كاملاً بجميع التفسير الصحيح للقرآن وللسنّة الواقعية< فحسب، بل كان أيضاً مصوناً من الخطأ لكي يتسنّى له حفظ أتباعه من الضلال إلى يوم القيامة. والناس ليست لديهم القدرة على مثل هذا العمل، وانّما هذا من الامور التي يختص بها الله العالم بما في سرائر الناس والعالم بكل شيء، وهو الذي يعيّن مثل هؤلاء الأئمة ويعصمهم من الخطأ، وكلّف رسوله بمهمة الإعلان عنهم في >كتاب الله وعترتي< ويعلن للأُمّة عن أوّل إمام من العترة ثم من يليه من الأوصياء.

ان أمر >الإمامة< بما تعنيه من >الهداية بالحق<، و>العصمة من

الخطأ< لا يقع ضمن حدود مقدرة الناس. ولهذا فان الرسول في غدير خم عندما ألقى بيان حديث الثقلين: > «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً» وحديث الموالاة بشأن علي بن أبي طالب عين فيه أول مصداق للأئمة من العترة، وأدى هذا التكليف في غدير خم. ونفهم من التوضيحات السالفة ان تعيين مثل هؤلاء الأئمة المعصومين من الخطأ لكي يتولّوا مهمّة حفظ الناس من الضلال إلى يوم القيامة تقع حتى خارج مقدرة رسول الله. ولهذا فقد أعلن الرسول: إنّ هذا الأمر بتعيين علي والأئمة من العترة لقيادة الناس كان أمراً من الله وليس من عندي. وبالنتيجة فمن بعد تعيين العترة لقيادة المسلمين، في غدير خم، من قبل الله تبارك وتعالى وإعلان هذا الأمر على لسان رسوله، لم يبق لأي شخص حق الاختيار أو الانقلاب بغية تغيير هذا الأمر أو الإتيان بشخص آخر ووضعه في هذا المنصب بدلاً عن >الأئمة من العترة<.

ثالثاً - جاء في القرآن الكريم في سورة الأحزاب:

{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}.

في الموطن الذي يحكم فيه الله ورسوله، لا يبقى لمؤمن ولا مؤمنة أي خيار في تغيير هذا الحكم أو النكول

عن تنفيذه.

وبالنتيجة فان تسمية ما جرى في >السقيفة< تشاوراً أو شورى، والقيام بتعيين قيادة عامّة عن طريق الانتخاب العمومي الحرّ، مجرّد اكذوبة زيّفها بعض علماء >أهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي< من أجل تبرير استيلاء أبي بكر على السلطة، وإلا فانّ اجتماع الأنصار في السقيفة - كما نقل البخاري والطبري وغيرهما - لم يكن لغرض التشاور مع المهاجرين، بل ان الأنصار كانوا يريدون أن لا يكون للمهاجرين وجود، ولم يدعوا إلى ذلك الاجتماع أحداً سوى رهطهم من الأنصار ولهذا السبب لم يكن هناك أحد من المهاجرين في السقيفة، ولكن عندما سمع أبو بكر وعمر بقضية اجتماع الأنصار هناك، قررا الذهاب إلى السقيفة. ومع ان بعض أصدقائهم لقوا أبا بكر وعمر في وسط الطريق، ونهوهما عن الذهاب إلى السقيفة وقالوا لهما: لا جدوى من ذهابكما إلى السقيفة، الا إنّهما ذهبا إلى السقيفة، وتمكنا من خلال اطلاق بعض التهديدات ضد من القوا كلمات من الأنصار، اضافة إلى تهديد ابن سعد بن عبادة بالقتل، وغير ذلك من المواقف والامور التي سبق ذكرها، تمكّنا من الحيلولة دون انتخاب سعد بن عبادة أميراً، وبايعا هما لأحدهما الآخر؛ وهو أن أبا عبيدة بن الجراح وعمر بايعا

أبا بكر، وكذلك تقدّم شخص أو بضعة أشخاص من قبيلة أوس من الأنصار - وبسبب سابق عدائهم لقبيلة الخزرج - وبايعوا أبا بكر. ولكن الملاحظ أن عمر من بعد عودته من السقيفة، برّر لأصدقائه سبب ذهابه إلى السقيفة بأنهما لو لم يذهبا إلى هناك، ولو كان الأنصار قد اتّحدوا على جعل سعد بن عبادة أميراً، (ونحن أيضاً جعلنا أبا بكر في المسجد إماماً لاقامة صلاة الجماعة بدلاً من رسول الله، وليكون لنا قائداً، لوقعت حرب بيننا وبين الأنصار الذين يتحدون حول محور سعد بن عبادة، ولحصلت فتنة اخرى.

أي أن عمر قال: >إن ما تحقق من ذهابنا إلى السقيفة، في منع انتخاب سعد بن عبادة، يُعدّ نجاحاً كبيراً<. لم يكن قدوم هؤلاء الاشخاص الثلاثة وهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة الجراح إلى السقيفة بدعوة من الأنصار ولا لأجل التشاور مع الأنصار، ولا في سبيل اجراء انتخابات حرّة - لأنّ أبا بكر وعمر لم يكونا يؤمنان بالانتخابات الحرّة - وإنما قدموا من أجل التنازع مع الأنصار حول القيادة والامارة.

في الواقع >لم تحصل انتخابات حرّة في السقيفة< وانّما تسلّط أبي بكر وعمر جاء بفعل سلّ السيوف والتأثير القبلي >ووجود بني أميّة ألدّ أعداء الإمام علي الذين قُتِل كبارهم في غزوات رسول الله، على يد الإمام علي

وكان أكثر الناس عداءً لعلي< وخلاصة الكلام إن حكومة أبي بكر كانت انقلاباً.

1. ونقول بايجاز إن أياً من القيادات الاولى لعامّة المسلمين لم يكن يؤمن بلزوم تعيين الحاكم عن طريق >انتخابات شعبية حرّة< وحكومة أبي بكر كانت انقلاباً.

2. >الأئمة< بمعنى >الهداة بالحق< >والمعصومون من الخطأ الذين يستطيعون انقاذ الأتباع من الضلال إلى يوم القيامة<، ليس انتخابهم بيد الناس والامّة، ولا حتى في يد رسول الله، وانّما ذلك أمر بيد الله، وهو الذي يصطفي القادة من بين >أتقى الناس وأكثرهم ايماناً<، وهم >العالمون الكاملون بجميع التفاسير الصحيحة للقرآن، والعالمون بالسُنّة الواقعية< و>المعصومون من الخطأ والزلل<، >لكي يكونوا قادرين على حفظ أتباعهم من الضلال إلى يوم القيامة<.

3. إن تعيين الحاكم عن طريق الانتخابات، يؤدّي بحد ذاته إلى تمزّق الامّة؛ وذلك لأنّ أفراد كل قوم أو طائفة يريدون أن يكون الحاكم منهم. ومن الواضح ان القرآن الذي يأمر بالوحدة لا يرضى بنظام يمهّد لتمزيق الأُمّة وتفريق وحدتها.

مزيد من التوضيحات

حول لزوم وجود قائد «عالم بجميع التفسير الصحيح للقرآن، وبكلّ السُنّة الواقعية، ومعصوم من الخطأ»:

من أجل هداية الأتباع إلى >الصراط المستقيم إلى يوم القيامة< المقصود من >الإمام< عند >أهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي< كما سبق القول في ذلك هو >الحاكم والسلطان< وبعبارة أخرى >منفّذ القوانين<.

نذكر في ما يلي نص العبارة التي وردت في كتاب >حديث غدير مولاي مؤمنان وما أهل سنّت< وهو من تأليف محمد سليم آزاد، مع مقدّمة كتبها ايوب گنجي، وهو من أهل السُنّة >بالمعنى الاصطلاحي< وهذه العبارة تبيّن الفارق بين مفهوم >الإمامة< (بمعنى خليفة رسول الله) في مذهب >أهل السُنّة< وبين مفهوم الإمامة في المذهب >الشيعي< حيث كتب في الصفحة السابعة من كتابه ما يلي:

1. من وجهة نظر أهل السُنّة، ان أحد الواجبات التي يكلّف بها المسلميون هي ان يختارون من بينهم شخصاً يتمتع بالأهلية والصلاحية وتتوفّر فيه شروط القيادة لتكون له الرئاسة ويقوم بمهمة تطبيق الشريعة، وتنفيذ الأحكام وقوانين الشريعة >بشكل عام< في المجتمع.

وكتب في الصفحة التالية ما يلي:

1. عند أهل السُنّة، الإمام >غير

منصوب من الله<
2. عند الشيعة، الإمام >منصوب من الله<.
1. عند أهل السُنّة >الأهلية والصلاحية< أمر ضروري في الإمام ولكن >العصمة< غير لازمة.
2. عند الشيعة، الإمام معصوم على الدوام.

وكتب بعد صفحتين من ذلك ما يلي:

1. أهل السُنّة - وفقاً لما جاء في الأحاديث الصريحة وفي اشارات النبي الاكرم، عيّن نيابة عن الامّة، أربعة أئمة حق على الترتيب التالي:

«أهل السُنّة» على أساس «الأحاديث الصريحة واشارات النبي الأكرم (ص)»، يرون نيابة عن الأُمّة الإسلامية، أن أئمة الحق الأربعة هم على التوالي:

الإمام الأوّل هو أبو بكر الصديق (رضي الله عنه).

الإمام الثاني هو عمر الفاروق (رضي الله عنه).

الإمام الثالث هو عثمان ذو النورين (رضي الله عنه).

الإمام الرابع هو علي المرتضى (رضي الله عنه).

و من بعدهم استمرت سلسلة >الإمامة< وستبقى مستمرة إلى يوم القيامة. الأئمة الذين ينتخبون ليس منهم أحد معصوم.

لابد من الاشارة إلى أن البعض منهم >عادل< والبعض الآخر >ظالم<.

توضيحنا:

- الجُمل التي سبق ذكرها هي تصريحات السيّد «محمد سليم آزاد» من «أهل السُنّة بالمعنى الإصطلاحي» (وكاتب مقدّمة كتابه وهو السيد ايوب گنجي الذي سبق ذكره)؛

الفارق بين >فلسفة الإمامة< و>فلسفة الحكومة<:

وقد اعتبر ان >فلسفة الإمامة< هي ذاتها >فلسفة إقامة الحكومة< وهي:

1. الحكومة ووجود الحاكم لابد منه لتنفيذ القوانين. مثل هذا الإمام بمعنى >سلطان الزمان< و>الحاكم< سواء كان عادلاً أم ظالماً. وهو حتى إن كان ظالماً ويعمل بخلاف الشريعة (وهو الظالم >عند أهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي<) فان ذلك لا يعفي الناس عن وجوب طاعته.

السؤال الذي يوجّهه هنا إلى السيّد >محمد سليم< و>ايوب گنجي» هو >كيف يمكن للظالم الفاسق شرعاً والناقض لحكم الشريعة< أن يكون منفذاً بشكل تام وشامل لأحكام الشريعة والعدالة<[1]؟ بحيث يقول السيّدان سليم

---

1. المصدر السابق، كتاب «حديث غدير مولاي مؤمنان وما أهل سنت»، المقدمة، ص 7، الرئيس الذي «يطبّق أحكام وقوانين الشريعة في المجتمع

آزاد وأيوب گنجي، في الصفحة السابعة من هذا الكتاب إنَّ مهمّة الإمام تنفيذ أحكام الدين بشكل كامل وشامل. هذا سؤال ينبغي أن يجيب عنه محمد سليم آزاد وايوب گنجي.

بشكل شامل»، نقلاً عن كتاب شرح العقائد النسفية، وكتاب الفرق بين الفرق، عبد القادر البغدادي.

فلسفة الإمامة:

الفلسفة التي طرحوها بخصوص وجوب وجود >الإمام< بمعنى السلطان والحاكم سواء كان عادلاً أم ظالماً، لا تنطبق أبداً مع فلسفة >الإمامة< بالمعنى الذي أراده رسول الله في >حديث الثقلين: كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً<، حيث انهم ينبغي أن يكونوا هُداة إلى الحق إلى يوم القيامة. إذ ان جوهر فلسفة الإمامة بالمعنى الذي أراده النبي أن يكون الأئمة هم >الهُداة بالحق، على أساس النصب الالهي والتأييد الالهي؛ لكي يكونوا معصومون من الخطأ، ولكي.

. . .

2. يكون الأئمة المنصوبون من الله، قادرين على حفظ الأتباع من الضلال إلى يوم القيامة<. والشيعة طبعاً لا ينكرون فلسفة الحكومة؛ ويقرّون انه لا يمكن عقلاً وجودمجتمع بلا حكومة، والعقل يحكم ان المجتمع يتطلب وجود حكومة، غير أن وجود الحكومة التي تنحصر مهمتها في تنفيذ القوانين فقط لا يمكنها الحيلولة دون ضلال الامّة، خاصّة وأن الإنسان معرّض للوقوع في الخطأ، وهو ما يعني بالنتيجة أن المسؤول التنفيذي الذي يُحتمل منه الخطأ يوقع الأتباع في الضلال حتى في المدّة الزمانية القصيرة من عمره، فما بالك بالحكّام المعرّضين للخطأ الذين لا يُحصى عددهم الذين يريدون أن

يكونوا قادة للأُمّة إلى يوم القيامة؟ حيث ان أخطاءهم إذا جُمعت مع بعضها ستكون عبارة عن جبل من الاخطاء. واذا أراد الله ان يحفظ الأُمّة أو الأتباع من الضلال إلى يوم القيامة، فهو تبارك وتعالى يختار لهم >قادة هداة بالحق ومعصومين من الخطأ<. وهذا هو الأساس الذي تقوم عليه فلسفة نصب >الأئمة من العترة< بمعنى >الهداة بالحق إلى يوم القيامة<.

إن >الإمام< بالمعنى الذي أراده رسول الله في >خطبة الغدير< وفي حديث الثقلين «كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا»، ويعتقد به الشيعة هو نصب القيادة >الأئمة من العترة< من قِبل الله لجميع الشؤون العلمية والسياسية قاطبة بحيث لا يقع أي خطأ في القيادة أو في أي من هذه الشؤون. بمعنى أن يكون معصوماً وقادراً على ادارة جميع الشؤون العلمية والسياسية وغيرها إلى يوم القيامة على الصراط المستقيم وبدون أي خطأ<.

لقد أثبت تاريخ البشرية بشكل لا لبس فيه أن القادة البشريين يرتكبون اخطاءً. وهذه الاخطاء تؤدّي بهم وأتباعهم إلى الضلال والفرقة، بل وكثيراً ما تنتهي بهم إلى الدمار والسقوط. وهذا مما يؤدّي إلى انهيار نظمهم. وكل من يقرأ تاريخ البشرية تتجلى له هذه الحقيقة بكلّ وضوح. ان

تعدد مذاهب أهل السُنّة وما إلى ذلك وهي مذاهب متناقضة ومتضادة في ما بينها وهذا التناقض والتضاد والشرخ يتزايد في ما بينها تدريجياً، سواء في المعتقدات أم في الفقه والأحكام، أم في الحكومات المتعددة والمتأخرة التي تشهد الفتن والحروب والصراعات، ليس مما يخفى على أحد.

في حين لو ان جميع الصحابة من بعد رسول الله، اتّبعوا >علياً< >والأئمة من العترة< الذين نُصبوا من الله ولديهم علم بجميع التفاسير الصحيحة للقرآن وبالسُنّة النبوية الواقعية ولا يخطأون في تطبيق أحكام الإسلام السياسية والفقهية وغيرها بتأييد الهي (وبشهادة رسول الله في حديث الثقلين: كتاب الله وعترتي) ويستطيعون صيانة أتباعهم من الضلال إلى يوم القيامة، لما كُنّا قد واجهنا اليوم هذا الفِصام >للقيادة العلمية< عن >القيادة السياسية<، ولا ضلال وفرقة و>تعدد القادة العلميين< حتى في الزمان الواحد، ولما شهدنا وجود >حكومات عنصرية متعددة< في زمان واحد، وفتن لا تعد ولا تُحصى بين المسلمين.

وعلى كل حال، فإنَّ >فلسفة الحكومة< شيء آخر غير >فلسفة نصب الإمام التي تعين نصب الهداة بالحق من قِبل الله<.

>فلسفة الحكومة< هي انه لا يمكن وجود مجتمع بلا حكومة، والمجتمع الذي يخلو من حكومة ينتهي أمره إلى

الفوضى المطلقة.

- وأما >فلسفة الإمامة< فهي تعني ان الأُمّة الإسلامية ينبغي أن يكون لها رئيس تنفيذي، كما ينبغي أن تكون الجهة التنفيذية أو الجهات التنفيذية، تابعة كلّها لإمام واحد >عالم كامل بجميع الأحكام الالهية<، اضافة إلى كونه الأكثر ايماناً وعدلاً من بين أبناء الأُمّة (ومن الطبيعي أنّ (سريرة المؤمن والمنافق المتظاهر بالعدل لا يعلمها إلاّ الله. وهو سبحانه وتعالى قادر على اختيار المؤمن الحقيقي وتأييده) لكي لا يخطأ في القيادة، ولأجل ان يطبّق العدالة كاملة بحذافيرها في المجتمع كلّه.

بالاضافة إلى ان واحداً من الخطئين التأليين يمكن أن يؤدّي إلى زوال الدين والقضاء على الأُمّة - مثلما سبق الكلام في ذلك - مثل «منع تدوين الحديث النبوي» وهو الاجراء الذي اتخذه أبو بكر وعمر، واستمر ذلك المنع من قِبل بني أُميّة صنيعة أبي بكر وعمر ولو ان ذلك المنع استمر لعدّة قرون متوالية مثلاً لو استمر لخمسة أو عشرة قرون، لنسيت جميع الأحاديث النبوية ولما بقي من الإسلام شيء، وكان ذلك على يد اسوأ الانظمة الظالمة وهو النظام الأموي الذي كان يقوده بنو أُميّة. هؤلاء الأمويون لم يرحموا حتّى الطفل الرضيع للحسين الذي هو من ذوي القربى الذين أوجب الله

مودّتهم.

بنو أُميّة ارتكبوا مجزرة بحق ذوي القربى الواجبي المودّة. وفي السُنّة التالية هجموا على مدينة النبي واستباحوا أنفس أهل المدينة وأعراضهم وأموالهم من الصحابة وغيرهم لمدّة ثلاثة أيّام وسمحوا لجنود بني أميّة ويزيد ان يزنوا بنساء الصحابة وبناتهم وقتلوا حتى أطفالهم الرضّع. وفي السُنّة التالية هجموا على مكّة واحرقوا ستائر الكعبة وضربوا الكعبة بالمنجنيق وهدموها. ولم يكن ذلك طبعاً الا جزءاً من نتائج اخطاء أبي بكر وعمر.

لو كان الحكم الأموي - الذي هو صنيعة أبي بكر وعمر - قد استمر عشرة قرون على سبيل الفرض، لما كان هناك اليوم كتاب فقهي ولا حديثي ولا تفسيري، ولكان محتوى الإسلام قد ذهب اليوم أدراج النسيان ولقُضي عليه كليّاً. ولبقي الحكّام الأمويون فقط - الذين هم اسوأ من التتار والمغول وجميع الدكتاتوريات في العالم - هم قادة الإسلام، ومنهم يزيد الذي كان ينكر رسالة رسول الله بقوله:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

أي أن يزيد يقول: لم يُبعث رسول الهي اصلاً، ولم ينزل وحي، وكلّ شيء كان مجرّد اكذوبة.

- لو كان حُكّام المسلمين على مدى

عدّة قرون مثل يزيد ينكرون كون القرآن وحياً، لما بقي شيء من محتوى الإسلام بعد عدّة قرون، بل ولما بقي للإسلام ذكر ولا لمحمد المصطفى كنبي.

وهذا ما يوجب على المسلمين معرفة قدر >الأئمة من العترة< وخاصة >الحسين بن علي<، حيث كانت ثورته ضد >يزيد والأمويين< واستشهاده هو وأبناؤه إلى انطلاق ثورات شعبية ضد >الأمويين< وذلك أدّى في القرن الثاني إلى سقوط وزوال الأمويين كليّاً، وحينذاك تحرّرت >كتابة الحديث النبوي<، فظهرت كتب الحديث حتى بين عامّة المسلمين >أهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي<. فانتشرت كتب الحديث في المراكز العلمية سواء عند أهل السُنّة أم عند الشيعة، وأخذت تُدرّس هناك.

وهذا ما يوجب على علماء >أهل السُنّة< و>الشيعة< أن يحيّوا محمد وآل محمد، والحسين بن علي؛ وذلك لأنّ بقاء الإسلام مدين لدم الحسين، وإلا لكانت سياسة منع تدوين الحديث التي انتهجها بنو أُميّة، صنيعة أبي بكر وعمر، قد استمرت لعدّة قرون، ولما كُنّا نعيش اليوم في اجواء دين بهذه العظمة اسمه الإسلام.

ومن هنا يُفهم ان >الأئمة من العترة< الذين أوجب رسول الله في >غدير خم< التمسّك بهم من بعد القرآن، ليسوا فقط >مدعاة لهداية أتباعهم إلى الطريق المستقيم إلى يوم

القيامة>، بل أنهم أيضاً حالوا دون انهيار الإسلام وزوالـه، وكانوا هم السبب لبقاء الإسلام ولتدوين كتب الحديث التي تضم بين ثناياها محتوى الإسلام؛ سواء كانت كتب عامّة المسلمين الذين تُطلق عليهم اصطلاحاً تسمية أهل السُنّة، أم كتب الشيعة، فبقاؤها كان بفضل وجود الأئمة من العترة وبالأخصّ الحسين بن علي، وهم الذين صانوا الإسلام من التحلل والزوال. ومن بعد يقظة المسلمين سيأتي حفيده المهدي المنتظر من آل محمد وينهي كل أنواع الزيغ والضلال، ويقضي على المنافقين ويزيل كل ظلم، ويملأ الدنيا عدلاً ويشيع فيها الإعمار والبناء كما وعد بذلك رسول الله في أخبار متواترة.

- ضياء الرحمن محمدي:
7- «طاعة الصحابة من أجل الوصول الى الحق، واجبة»[1]

1. سيستان وبلوشستان، «ضياء الرحمن محمدي» في المؤتمر العلمي التحقيقي السابع عشر للمذاهب الإسلامية، ص 157، «طاعة الصحابة لأجل الوصول الى الحق، واجب».

مناقشة «الكلام السابق»:

أوّلاً: ان جملة >طاعة الصحابة بدون استثناء من أجل الوصول إلى الحق واجبة< ثم اطلاق الكلام بالشكل الذي يشمل حتى >المنافقين< وكذلك >الصحابة الذين ارتكبوا كبائر<، أو اطلقوا تهمة زنا المحصنة على بعض ازواج رسول الله، ونزلت فيهم آيات الحدود وغيرها، غير مقبولة. فها هو القرآن الكريم يقول: {**إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا**} في مستهل سورة الحجرات؛ فقد جعل تصديق >خبر الصحابي< مشروطاً بعدالته.

- جاء في كتب الحديث في >ابواب كتاب الحدود< في جميع الكتب بما فيها كتاب البخاري ومسلم وغيرهما، بشكل متواتر أن الصحابة الذين ارتكبوا كبائر في زمان رسول الله واقيم عليهم، وغيرهم من الصحابة الذين ارتكبوا كبائر من بعد زمان رسول الله، واُقيم عليهم حدّ الكبائر في زمان الحكّام الذين جاءوا بعد رسول الله. نذكر من ذلك على سبيل المثال ان بعض الصحابة في زمان رسول الله شربوا الخمر فأقيم عليهم >حدّ شرب الخمر<[1] وبعض

---

1. كتب الحديث مثل: البخاري ومسلم في أبواب الحدود. ومن ذلك مثلاً ما ذكره البخاري في أبواب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر، عن عمر بن الخطاب: إنّ رجلاً كان على عهد النبي (ص) وكان النبي (ص) قد جلده في الشراب.
- البخاري ، أبواب الحدود، باب توبة السارق، عن عائشة ان النبي (ص) قطع يد امرأة. قالت عائشة وكانت تأتي بعد ذلك فارفع حاجتها إلى

الصحابة شربوا الخمر بعد زمان رسول الله فأُقيم عليهم حدّ شرب الخمر[1] مثل أخو زوجة عمر، «قدامة بن مظعون» وأخو عثمان بن عفان[2] (ووالي عثمان بن عفان يعني) «الوليد بن عقبة» الذي شرب الكثير من الخمر، الى حدّ انه عندما قام إماماً ليصلي الصبح بالصحابة، في مسجد الكوفة فتقيّأ في المحراب كل ما شربه[3]. وفي زمان رسول الله نزلت في سورة الحجرات آية تصرّح بفسق هذا الصحابي[4]. وهناك بعض

النبي (ص).
- البخاري، أبواب الحدود، باب سمّر النبي أعيُن المحاربين، عن انس بن مالك ان رهطاً من عكل قدموا المدينة فأمر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بلقاح وأمرهم ان يخرجوا فيشربوا من ألبانها. فشربوا حتّى إذا برؤا قتلوا الراعي واستاقوا النعم. فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم غدوة. فبعث الطلب في اثرهم فما ارتفع النهار حتّى جئ بهم فأمر بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم فألقوا بالحرة يستسقون فلا يسقون.
- البخاري، أبواب الحدود، باب رجم المحصن عن جابر بن عبد الله الأنصاري ان رجلاً من اسلم أتى رسول الله (ص) فحدثه انه قد زنى. فشهد على نفسه اربع شهادات فأمر به رسول الله (ص) فرجم وكان قد احصن.
1. البخاري أبواب المناقب، في مناقب عثمان، الوليد بن عقبة، الذي أقيم عليه حد شرب الخمر. ويمكن الإطلاع على قصّته بالتفصيل في كتب التاريخ، مثل تاريخ الطبري وغيره. وكذلك الحال بالنسبة الى قدامة بن مظعون أخي زوجة عمر الذي أقيم عليه حدّ شرب الخمر في زمان عمر.
2. المصدر السابق.
3. تاريخ الطبري، في زمان حكومة عثمان.
4. الآية، راجع كتب التفسير، سورة الحجرات،

الصحابة في زمان رسول الله سرقوا وأُقيم عليهم حدّ السرقة[1] وقطعت ايديهم كما ان بعض الصحابة زنا بامرأة محصنة[2] ورُجم على يد رسول الله. وبعض الصحابة حاربوا المسلمين أي ارتكبوا جريمة المحاربة فأقام عليهم رسول الله حدَّ المحاربة[3]. وما إلى ذلك من الامور التي نتحاشى الدخول في تفاصيلها في كتابنا هذا[4]. وهكذا الحال أيضاً في زمان ما بعد رسول الله، كان يُقام حدّ الكبيرة على الصحابة الذين يرتكبون الكبائر.

وكذلك بعض الصحابة من البدريين[5] لفّق على بعض نساء رسول الله تهمة الزنا، فنزلت فيهم آيات من القرآن الكريم.

الوليد بن عقبة الصحابي شارب الخمر:

كتاب البخاري، باب المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان، ج4، ص 203:

الآية {إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا}.

1. البخاري، وفي سائر كتب الحديث، في أبواب الحدود.
2. المصدر السابق.
3. المصدر السابق.
4. راجع كتب الحديث، في أبواب الحدود، البخاري، مسلم، والسنن والمسانيد والتاريخ وغيرها.
5. مراجعه شود به كتب تفسير، در ذيل تفسير آية أفكْ

حدثنا أحمد بن شبيب بن سعيد حدثني أبي عن يونس قال بن شهاب أخبرني عروة ان عبيد الله بن عدي بن الخيار أخبره ان المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الاسود بن عبد يغوث قالا: ما يمنعك ان تكلم عثمان لاخيه الوليد فقد أكثر الناس فيه فقصدت لعثمان حتّى خرج إلى الصلوة قلت ان لي اليك حاجه وهي نصيحة لك قال (عثمان) يا ايها المرء منك. . .

- اما ما ذكرت من شأن الوليد فسنأخذ فيه بالحق ان شاء الله تعالي ثم دعا علياً فأمره ان يجلده فجلده ثمانين.

البخاري، ج4، ص 245 باب هجرة الحبشة، عن ابن عمر قال: فجلد الوليد أربعين جلدة.

الصحابية التي سرقت:

البخاري، في أبواب الحدود، باب توبة السارق، ج8، ص 18 عن اسماعيل بن عبد الله قال: حدثني ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة:

- ان رسول الله (ص) قطع يد أمرأة. قالت عائشة وكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى النبي (ص).

صحابي زنى بمحصنة فرُجم:
البخاري، في أبواب الحدود، باب رجم، ج8، ص 21:
حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن ابن شهاب حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله الأنصاري:
ان رجلاً من اسلم، أتى رسول الله (ص) فحدثه انه زني فشهد على نفسه أربع شهادات فأمر به رسول الله (ص) فرجم وكان قد أُحْصِن.
- حديث آخر مثله عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: أتى رجل رسول الله (ص) وهو في المسجد فناداه فقال: يا رسول الله اني زنيت فاعرض عنه حتّى رد عليه أربع مرّات فلما شهد على نفسه أربع شهادات عاه النبي (ص) فقال: ابک جنون قال: لا، قال: فهل احصنت؟ قال: نعم فقال النبي (ص) اذهبوا به فارجموه فرجمناه.
صحابي، شرب الخمر:
كتاب البخاري، ج8، كتاب الحدود، ص 14.
باب ما يكره من لعن شارب الخمر:
يحيي بن بكير حدثني الليث حدثني خالد بن يزيد عن سعيد

بن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب:
ان رجلاً كان على عهد النبي (ص) كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً وكان يضحك رسول الله (ص) وكان النبي (ص) قد جلده في الشراب فاتي به يوماً فأمر به فجلده...

أو «سمرة بن جندب» الذي كان - وفقاً لرواية مسلم - يبيع الخمر من بعد رسول الله.[1]

السيّد ضياء الرحمن محمدي من علماء أهل السُنّة وقد كتب في كتابه أو في كرّاسه ما يلي:

««طاعة الصحابة من أجل الوصول الى الحق، واجبة» وهذا يعني أن قول وعمل الصحابة، حجة.

ويطرحون هذه الأقوال على سبيل الاطلاق؛ فهل يعني كلامهم هذا أن تلك الأقلية من >مرتكبي الكبائر< تجب طاعاتهم أيضاً؟

وكذلك الحال بالنسبة إلى المنافقين من الصحابة الذين كانوا - في زمان رسول الله ومن بعد زمان رسول الله - يضعون المخططات ضد النبي وضد الإسلام، فهل هؤلاء ممن تجب طاعتهم أيضاً؟ كانت علامة المنافقين من الصحابة - بشهادة رسول الله - بغض علي،

---

1. مسلم، المجلد الخامس، كتاب البيوع، باب تحريم الخمر، ص 41.

حيث قال رسول الله: بغض علي علامة النفاق وحبّ علي علامة الايمان؛ لا يحبّه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق<. وكان هناك الكثير من الصحابة وخاصة القريشيين يبغضون علياً. ووفقاً لما ذكره العباس فان القريشيين في اعقاب معركة بدر صاروا ينظرون بعين الغضب والبغض إلى بني هاشم.

- سمرة بن جندب، الصحابي الذي كان يبيع الخمر:

مسلم، المجلّد الخامس، كتاب البيوع، باب تحريم الخمر، ص 41، أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب واسحاق بن ابراهيم قالوا: حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن طاووس عن ابن عباس قال: بلغ عمرَان، سمرة باع خمراً فقال: قاتل الله سمرة الم يعلم ان رسول الله (ص) قال: لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها.

- أميّة بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح (بن القاسم) عن عمرو بن دينار بهذا الاسناد مثله.

- شكى العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله قائلاً: ما لنا ولقريش إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة،

واذا لقونا لقونا بغير ذلك[1]؟ (وكان ذلك بعد معركة بدر وأُحد حيث قُتل الكثير من مشركيهم على يد بني هاشم؛ أي على يد علي بن أبي طالب وغيره). أي ان القريشيين من غير بني هاشم كانوا على العموم تقريباً مبغضين لعلي بن أبي طالب و(لذوي قرابة رسول الله).

يشهد الله في سورة "المنافقين"، أن المنافقين كاذبون {والله يشهد ان المنافقين لكاذبون}. فهل يريد السيد ضياء الرحمن محمدي القول إن «طاعة الصحابة من أجل الوصول الى الحق، واجبة» (وعلى نحو مطلق)؟ هل يريد القول إنّه حتّى طاعة المنافقين من الصحابة، الذين لم يكن عددهم قليلاً وكانوا على العموم مجهولين وكانوا يبيّتون نية القضاء على الإسلام، واجبة أيضاً؟

أم يقصد فقط أكثرية الصحابة الذين كانوا يتركون رسول الله قائماً وحده في صلاة الجمعة ويهرعون نحو التجارة؟

حيث تنصّ الآية الاخيرة من سورة

---

1. آخر سنن الترمذي، كتاب المناقب (ج 5، ص 610)، باب 29 عن عبد المطلب ربيعة ان العباس بن عبد المطلب دخل علي رسول الله (ص) مغضباً وأنا عنده فقال: ما اغضبك؟ قال: يا رسول الله (ص) ما لنا ولقريش اذ تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة واذا لقونا لقونا بغير ذلك قال: وغضب رسول الله (ص) حتّى احمر وجهه ثم قال: والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل ايماناً حتّى يحبّكم لله ولرسوله.

الجمعة على: {**وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ**}.

ام في غزوات >احد< و>حنين< وغيرهما، حين كانوا يشعرون بالخطر الجاد، كانوا يفرّون من ساحة المعركة حفاظاً على أرواحهم، ويتركون رسول الله في مواجهة العدو.

جاءت في سورة آل عمران، الآية الشريفة التالية: {**اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ**}.

وذكر الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: {**ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ**} وقد كان أبو بكر وعمر من هؤلاء الفارّين المدبرين.

فهل أقوال وأفعال هؤلاء الصحابة حجّة؟ وهل ينبغي أن نتخذهم اسوة وقدوة؟ أم ينبغي أن يكون قدوتنا واسوتنا رسول الله وعلي بن أبي طالب اللذين لم يفرّا من ساحة المواجهة ولا مرّة واحدة؟

هل البدريون الذين لفّقوا تهمة الزنا لبعض نساء رسول الله قولهم صادق؟ وينبغي أن نأخذ بأقوالهم وبأحاديثهم ونطيعهم؟ كلا طبعاً. وهل أكثرية الصحابة الذين كانوا يفرّون من ساحة القتال، هل طاعتهم واجبة من أجل الوصول إلى الحق؟ وهل يفترض بنا الاقتداء بأفعالهم وان نفرّ من جبهة الحرب مع الكفار المحاربين؟ ام إذا

أردنا الوصول إلى الحق يجب علينا طاعة الأقلية التي لم تولّ عن رسول الله، لا في صلاة الجمعة ولا في ساحة المعركة، ولم تترك رسول الله وحده قط؟ لكل هذا وذاك نلاحظ ان رسول الله قال في غدير خم وفي غيره من المواقف والمواطن الاخرى: إذا تمسكتم من بعدي بالقرآن والعترة لن تضلوا أبداً. وهذا الكلام يعني ان الأئمة من العترة يمثّلون المصاديق الحقيقية لـ >الخلفاء الراشدين<، اتّباع القادة من غير العترة مثل >الأمويين المنصوبين من قِبل أبي بكر وعمر، الذين يعتبرون مصداقاً لأئمة الضلال، جلب على الأُمّة ما لم يكن ينبغي أن يحلّ بها.

{**أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**} قرآن كريم.

- نقل مسلم في كتابه المعروف بالجامع في - نقل مسلم في كتاب الجامع المعروف، في كتاب الإمارة أن معاوية كان يأكل المال الحرام ويسفك الدماء بغير حق. ان معاوية كان يأمر الناس باكل المال الحرام وسفك الدم الحرام. ويُبرز قومه ذلك بان الناس لا يتّبعوه في الحرام. وهذا تبرير غير منطقي لأنّه عندما يكون هو الحاكم فهو يقتل من لا يتّبعه.

فهل ينبغي طاعة معاوية الصحابي الذي كان يأمر الناس بأكل المال الحرام وسفك الدم الحرام، وطاعة بسر

بن ارطأة الصحابي قائد جيش معاوية، الذي ذبح ولدي عبيد الله بن عباس أمام ناظري امّهما بسكين، فأصابها الجنون من هول المشهد[1]، فهل ينبغي اطاعة هؤلاء من أجل الوصول إلى الحق؟ وهل قتل الطفلين عمل حق. وهل من المفترض أيضاً طاعة >مسلم بن عقبة< قائد جيش يزيد >الصحابي< الذي عيّنه يزيد قائداً على جيش أرسله إلى المدينة وأمره بقتل أهلها واستباحتها ثلاثة أيّام لجنوده ليفعلوا ما يشاؤون بأهلها من المنكرات بأنفس وأموال وأعراض أهلها حتى انهم زنوا ببنات ونساء الصحابة وغير الصحابة، ثم سار بعد ذلك إلى مكّة واحرق استار الكعبة، وهدم الكعبة[2]. ورغم كل هذا يجب طاعة >هذا الصحابي< و>المنصوبين من قِبله<، انطلاقاً من مقولة السيد عالم أهل السُنّة ضياء الرحمن محمدي. . . «ان طاعة جميع الصحابة من أجل الوصول الى الحق، واجبة»؟

واليوم أيضاً يقوم >أتباع أهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي من التكفيريين تحت ذريعة طاعة سلفهم معاوية و بني أُميّة، بوضع المتفجّرات في الحافلات والمساجد في سوريا والعراق وباكستان وغيرها ليقتلوا بها الاطفال والمصلّين

---

1. تاريخ الطبري وغيره من التواريخ. في حوادث سنتي 61 و62.
2. تاريخ الطبري، في حوادث سنتي 62 و 63.

ويقطّعوا أبدانهم إرباً إرباً، بدعم مالي من آل سعود والوهابيين وطالبان، سيراً على اسلافهم من الصحابة والتابعين من بني امي و....

ألا يتناقض هذا مع حكم القرآن؟ الا يتناقض هذا مع سنة رسول الله الذي كان لا يقتل حتى اطفال ونساء الكفار المحاربين.

ثانياً: إذا كان الحال كما يقول السيد ضياء الرحمن محمدي: >طاعة الصحابة من«طاعة الصحابة من أجل الوصول الى الحق، واجبة» فهل طاعة مولى المؤمنين علي واجبة؟ وهل الحرب بين يديه واجبة؟ ام طاعة معاوية المحارب لإمام زمانه واجبة؟ إذا كان السيد ضياء الرحمن محمدي يريد القول ان طاعتهما كليهما واجبة، وطاعتهما كليهما طاعة للحق وهداية إلى الحق، فهذا يعني ان نهج علي مولى المؤمنين كان حقاً وفي الوقت ذاته نهج معاوية الذي حارب علياً كان حق أيضاً؟ أليس في هذا تناقض؟ وهل من الممكن عقلاً أن يكون الشيء واجباً وأن يكون حراماً أيضاً؟ ألا يعني هذا الكلام ان ذلك الطريق يوصلنا إلى الحق، وكذلك لا يوصلنا؟

ثالثاً: إذا أخذنا بكلام السيد ضياء الرحمن محمدي في أنّ طاعة جميع الصحابة - بلا استثناء وفي جميع الأحوال - من أجل الوصول إلى الحق، وابجة< وهو ما يعني ان طاعة جميع

الصحابة بلا استثناء وعلى نحو مطلق وفي كل الأحوال واجبة، فهنا لابد لنا من ملاحظة أن نتيجة هذا الكلام هي ان على المسلمين اتّباع علي ومعاوية وعليهم أن يشاركوا في جيش أي يشاؤون منهما ويواصلوا حرب >معاوية< ضد >علي<، أو حرب علي ضد معاوية والسؤال الذي يتبادر إلى الاذهان هنا هو إلى متى يستمرّون في طاعة المشاركة في الحرب؟ ويواصلون الحرب (بالمشاركة مع كلا الطرفين المتحاربين؟< هل يستمروا على ذلك إلى آخر رجلين من المسلمين حتى لا يبقى على وجه الأرض الا مسلم واحد، إلى ان تصبح الحرب بين هذين الصحابيين أو طاعتهما متعذّرة؟ فنتيجة كلام السيد ضياء الرحمن محمدي مساعدة المسلمين لكلا الطرفين إلى أن يفنى كل المسلمين.

في حين أن القرآن يأمر بالوقوف الى جانب جبهة أهل الحق فقط، ويأمر بمقاتلة المعتدي {فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللّه}.

قال رسول الله: علي مع الحق والحق مع علي[1]

وكذلك قول رسول الله، لعمّار الذي قُتِل على يد جيش: يا عمّار! تقتلك الفئة

---

1. الترمذي، ج2، ص 298 . رحم الله علياً، اللهم أدِر الحق معه حيث دار.

الباغية[1]

- اضافة الى أن عليّاً كان مصداقاً حقيقياً لأُولي الأمر الذين تجب طاعتهم بحكم القرآن، بينما كان معاوية مصداقاً حقيقياً للمحارب لإمام زمانه.

في زمان رسول الله عندما كان >أحد الصحابة< يرتكب «زنا المحصنة» كان يقام عليه حد زنا المحصنة، والصحابي الذي يحارب كان يقام عليه «حد المحارب»، والصحابي الذي كان يسرق كان يقام عليه حد السرقة على يد رسول الله، والصحابي الذي كان يشرب الخمر كان يقام عليه حد شرب الخمر، ولم يكن رسول الله يقول بما أنّه صحابي فهو لا يرتكب الكبائر، وإنه قد اجتهد.

ونحن هنا نتساءل: كيف أن «رسول الله» لم يكن يختلق كل هذه التوجيهات والمبررات عندما كان بعض الصحابة يرتكبون الكبائر؟

فهل رسول الله اسوة؟ أم الصحابة الذين ارتكبوا الذنوب الكبيرة اسوة؟ مثل الوليد بن عقبة، ومعاوية، وبسر بن ارطاة، ومسلم بن عقبة وغيرهم؟

---

1. المستدرک، ج5، ص 385، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت.
- المستدرک، ج3، ص 386، عن محمد بن عمرو بن حزم.
- المستدرک، ج3، ص 387، ومسند أحمد عن عبد الله بن الحارث، ج2 ص 161 وعن حنظلة بن خويلد، ج2، ص 164، ابن الأثير، ج2، ص 143.

ها هو القرآن يقول بصريح العبارة: {**لَكُمْ فِي رسول الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**}.

فإن قلنا أنّ طاعة السابقين من الصحابة، واجبة وأنهم كانوا كلّهم عدول، نلاحظ في جانب آخر ما يقوله القرآن في سورة العنكبوت التي نزلت في مكّة حول السابقين من الصحابة وكيف أخبر الله عن وجود منافقين بينهم.

وعلى الصعيد العملي كان هناك من بعض هؤلاء السابقين من الصحابة من ارتدّ من بعد الهجرة الى الحبشة[1] أو في أعقاب اظهار الإسلام.

و بعض السابقين من الصحابة ارتكبوا كبائر شرب الخمر، والفرار من غزوات رسول الله وما إلى ذلك، بل ان السابقين من الصحابة - كما يخبر الله تبارك وتعالى في السورة المائة من سورة التوبة - هم الأوائل السابقين من الصحابة الذين ارتضاهم الله بشكل مطلق، ويخبر في هذه الآية انهم من أهل الجنّة.

وقد كان أوّل الصحابة إسلاماً >علي بن أبي طالب<، ومن النساء خديجة بدنت خويلد زوجة رسول الله، حيث انهما كانا يصلّيان خلف رسول الله على مدى عدة سنوات في المسجد الحرام، اضافة إلى جعفر بن أبي طالب؛ أي انهم كانوا امرأة ورجلان لا ثالث لهما. ومن

---

1. عبد الله بن جحش الزوج الأوّل لزينب زوجة رسول الله.

الأنصار اسعد بن زرارة وذكوان.

واما بالنسبة إلى أبي بكر وعمر فلم يكونوا في اسبقية الايمان ثانياً ولا ثالثاً، بل اسلم قبل أبي بكر خمسون شخصاً كما جاء في رواية. بل هناك روايات اخرى تنص على ان إسلام أبي بكر وعمر كان من بعد الدعوة إلى الإسلام علانية. حيث قال أبو بكر عن إسلامه: عندما كما عائدين من سفر تجارة إلى الشام، سمعنا ولولة بين قريش في أنّ يتيم أبي طالب يدعو شبابنا إلى دينه ويعرض عن الهتنا.

وخلاصة الكلام هي أن أوّل من آمن، كما جاء في الأخبار المتواترة وهو ما تقرّه الأُمّة الإسلامية قاطبة هو <علي بن أبي طالب> من الرجال، ومن النساء خديجة (ثاني من آمن السيّدة خديجة، والثالث جعفر بن أبي طالب). واذا كان لدى أنصار الشيخين خبر واحد يفيد ان أوّل من آمن بالنبي هو أبو بكر، فهذا الخبر يتعارض مع سائر أخبارهم، وخاصة مع الخبر المتواتر الذي تُجْمع عليه كل الأُمّة وهو ان أوّل من آمن بدعوة النبي عليّ.

وعلى كل حال فانَّ المرضي المطلق عند الله من بين السابقين من الصحابة هو <أولهم>، وأما الآخرون فوضعهم <مشروط باتّباع الأول باحسان>، وهذا قول الله تعالى {**السَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ**}؛ خاصّة

وان أبا بكر وعمر لم يتّبعا باحسان أوّل المسلمين وهو عليّ، كما انّهما نسيا حديث الغدير وغيره بشأن عليّ. وفي زمان رسول الله كانوا ممن فرّوا من الغزوات. ولم يكن هؤلاء >القادة من غير العترة< اسوة، ولا ممن تجب التبعية لهم، بل كانوا وفقاً لمفاد حديث الثقلين >كتاب الله وعترتي< يُحتمل منهم الخطأ والضلال، وقاموا عملياً باستبعاد عليّ وهو من >عترة رسول الله< وجاءوا >بالأمويين< إلى السلطة في الشام وفي المدينة. وكانوا بذلك هم >المؤسسون للحكم الأموي<، وسبب الانحراف والفرقة.

المعروف هو أن >قيادة العترة< بهداية رسول الله، أُعلن من الله أن العترة هي >الهادي للأُمّة بالحق<.

قال الله تبارك وتعالى في الآية 123 من سورة طه: {**تَّبِعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**}. والتمسّك بالقرآن وبقيادة الأئمة من العترة بهداية رسول الله خاتم الأنبياء ولا ضلال فيها أبداً.

أي أن اتّباع العترة التي عيّنها الرسول من قِبل الله لقيادة الأُمّة من بعده< محفوظ من الخطأ والضلال.

لقد كانت >فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة من العترة وذوي قربى رسول الله< تعتبر علياً إمامها بالحق، ولم تكن راضية عن أبي بكر وعمر قط. ولم تكلمهما إلى آخر عمرها، وكانت تعتبرهما غاصبين لخلافة علي وغاصبين

لحقوقها من سهم ذوي القربى وغير ذلك.

الخلاصة هي:

1- أوّلاً: أقول إن «جميع الصحابة، كانوا عادلين بلا استثناء» حتّى المنافقين منهم ومرتكبي كبائر الذنوب، قول مغلوط ومناقض لما جاء في القرآن والأحاديث المتواترة؛ إذ أن البعض منهم ارتكبوا ذنوباً كبيرة في زمان رسول الله وبعض من بعد رسول الله، وأقيم عليهم الحدّ. بمعنى ان القول بعدالة جميع الصحابة من غير استثناء قول يخالف القرآن ويخالف الأحاديث المتواترة التي تُجْمع عليها الامة، وهو اكذوبة بيّن، وقادة المسلمين الاوائل لا يقبل أي منهم هذه الاكذوبة. ولهذا السبب كانوا يقاتلون بعضهم ويلعنون بعضهم ويكذب كل واحد منهم الآخر. وحتى مؤلفو كتب الحديث لا يقرّون عدالة جميع الصحابة؛ ولهذا فقد نقلوا في كتبهم وفي أبواب الحدود الأحاديث التي تنص على ارتكاب بعض الصحابة للكبائرن وهذا ما فعله البخاري ومسلم وأصحاب السنن والمسانيد، وغيرهم. ونقل أصحاب التفاسير في تفاسيرهم الآيات التي تضمّنت الحدود التي يجب أن تُقام على الكبائر، مما نزلت منها في الصحابة، واقيمت تلك الحدود عليهم.

وحتى أئمة المذاهب السنيّة الأربعة وهم مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد

بن حنبل نقلوا أحاديث اقامة حدود الكبائر على بعض الصحابة الذين ارتكبوا كبائر، وهم لا يعتقدون بعدالة جميع الصحابة بلا استثناء.

القول بأن الصحابة كلهم بلا استثناء عدول، من بدع القرون التالية، وروّج لها أمثال ابن حجر العسقلاني في كتاب تهذيب التهذيب والاصابة، وغيره. وهم كانوا يعتقدون بهذه البدعة وينشرونها.

ثانياً: إذا كنّا نريد ايجاد تبريرات لجميع >من ارتكبوا كبائر من الصحابة< ونوجّه أفعالهم بذريعة الاجتهاد، وان الوليد بن عقبة مثلاً قد اجتهد في الاكثار من شرب الخمر ولم يكن مقصّراً، والمجتهد قد يصيب وقد يخطئ، وكذلك معاوية اجتهد في محاربة عليّ واجتهد في قتل ولدي عبيد الله بن عباس على يد قائد جيشه بسر بن ارطأة، وان أبا بكر وعمر قد اجتهدا في منع تدوين الحديث واستمرار ذلك على يد صنائعهم من بني أميّة، وكانت تلك زلّة منهما ولم يكونا مقصّرين فيها حتى وإن كانت تلك السياسة ستؤدّي إلى زوال الإسلام كلياً، لو قُدّر لحكومة بني أميّة صنيعة أبي بكر وعمر، أن تدوم بضعة قرون اخرى، فان هذه التبريرات لا تقلل من ذنب اولئك الاشخاص. فهم معرضون للوقوع في الاخطاء وهي اخطاء تهدد بفناء الإسلام والامّة، ومع ذلك فقد ادّعوا لأنفسهم

الأُمّة وجلسوا مكان العترة المعصومين. وهذا طبعاً ذنب لا يُغتفر. وهناك أحاديث نبوية متواترة تفيد ان هذه المجموعة من الصحابة يكون مصيرها يوم القيامة إلى النار وهذه الأحاديث وردت في أبواب الفتن، وأخبار >يوم القيامة< في كتب حديث البخاري ومسلم وغيرهما. وهو ما سبق توضيحه.

آراء «عمر بن الخطاب»:

1- التمييز العنصري: أمر عمر أن يكون عطاء الموالي (= الأعاجم وهم المسلمون من غير العرب) بقدر عطاء غلمان العرب[1]، كما أمر باخراج موالي العجم من المدينة. وهذا يعني ان عمر لا يعترف بالمساواة بين العرب والعجم في الحقوق الإنسانية بل يرى ان >العرب<، أفضل من >العجم< وان >قيمة العجم< عنده بقدر >قيمة غلمان العرب<، وان >للعرب< السيادة والكرامة على >العجم<؛ بمعنى ان العجم في مستوى غلمان وعبيد العرب، مع ان مبدأ القرآن الكريم ورسول الله هو >التساوي بين العرب والعجم< في تقسيم بيت المال، حيث كان العطاء يُقسم بينهم بالتساوي. ومعنى ذلك ان عمر لا يرى هذا المنهج صحيحاً.

وهذا التمييز العنصري[2] الذي سار

---

1. كتاب الأموال، أبو عبيد >في تقسيم الفيء والغنيمة<؛ تاريخ المدينة، ابن شبة، ص 888ـ889. عن محمد بن سيرين أن عمر كان يقول: لا تُدخلوا المدينة من السبي. قالوا: إن عمل المدينة شديد لا يستقيم الا بالعلوج. (العلوج: جمع علج وهو الرجل من كفار العجم وغيرهم).
طبقات ابن سعد، ج3، ص 349. تاريخ المدينة، ص 892. كتب (عمر) الى امراء الجيش: لا تجلبوا علينا من العلوج.
طبقات ابن سعد، ج3، ص 346؛ تاريخ المدينة، ص 903. عن عمر بن الخطاب، قال: ما كان العرب لتقتلني.
2. وهذا التمييز العنصري الذي سنّ سنته عمر،

عليه عمر في تفضيل >العرب< على >العجم< أدّى إلى سخط العجم على عمر، وهو ما دفع أحد المسلمين العجم الموالي، ويبدو أنه كان غلاماً للمغيرة بن شعبة ان يغتال عمر في فجر أحد الأيّام حين كان الجو مظلماً، وقُتِل هو أيضاً على يد أنصار عمر، وكان عبيد الله بن عمر قد رأى مقتل قاتل أبيه، ولكنه رغم ذلك هجم على دار قاتل أبيه، وقطع رأس طفليه أمام عيني امّهما. مما اثار احتجاج المسلمين عليه.

ـ كان الفيء والغنيمة يُقسمان في زمن رسول الله وأبي بكر بالتساوي، ولكن عندما جاء عمر ميزّ بين الناس في العطاء، ففضل المهاجرين على الأنصار، وعائشة على سائر زوجات النبي، والعرب على العجم كما ذكرنا من قبل.

طبقات ابن سعد، ج3، ص 304 عن سعيد بن المسيب: ان عمر بن الخطاب فرض لأهل بدر من المهاجرين من قريش، والعرب والموالي خمسة آلاف، خمسة آلاف، وللأنصار ومواليهم اربعة اربعة الاف. وعن مصعب بن سعد قال: أن عمر فرض لأزواج النبي عليه السلام ففضل عليهن عائشة. فرض لها في اثني عشر ألفاً ولسائرهن عشرة آلاف عشرة آلاف.

استمر في زمان «بني اميّة»، وطويت صفحته مع زوال «بني اميّة» ومجيء «بني عباس» الى السلطة.

ومن آرائه في السقيفة تفضيل قريش على الأنصار، ومن ذلك قوله: والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبينا من غيركم. (تاريخ الطبري، ج2، ص 457).

2. الإستهانة بالمرأة

جاء في خبر أن عمر كان يضرب امرأته فشاهده أحد اصدقائه وهو الاشعث بن قيس، فبرر عمر عمله ذلك بالقول: >يا أشعث احفظ عني شيئاً سمعته من رسول الله: لا يُسأل الرجل فيم يضرب امرأته<. أي أن ضرب المرأة لا ضير فيه وهو عند عمر جائز، وان الرجل يستطيع ضرب زوجته على قدر ما يشاء[1].

وقد ورد هذا الخبر في المصادر على النحو التالي:

ضفت عمرَ ليلةً، فلما كان في جوف الليل، قام إلى امرأته يضربها فحجزت بينهما فلما آوى إلى فراشه، قال لي: يا أشعث: احفظ عني شيئاً سمعته من رسول الله لا يسأل الرجل فيم يضرب امرأته.

---

1. سنن ابن ماجة، ج1، ص 693 ؛ مسند أحمد، ج1، ص20 . نقل عن الأشعث بن قيس انه قال:
ضفت عمر ليلة، فلما كان في جوف الليل، قام الى امرأته يضربها، فحجزت بينهما. فلما آوى إلى فراشه، قال لي:
يا اشعث: احفظ عني شيئاً سمعته من رسول الله (ص) لا يسأل الرجل فيم يضرب امرئته. الحديث.

3. اعتقاد عمر بتحريف القرآن بالنقيصة

نقل البخاري في كتاب الحدود في باب حدّ الحبلى عن ابن عبّاس في حديث طويل، قال عمر: إنّ الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب؛ فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها ....

ثمّ انا كنا نقرأ في ما نقرأ من كتاب الله أن لا ترغبوا عن آبائكم؛ فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم أو أن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم....

وكذلك نقل الطبري في تاريخه في باب قصة السقيفة.

وكذلك نقله آخرون في أبواب مختلفة من كتبهم.

الإستدلالات الاخرى على مشروعيّة «حكومة أبي بكر»

(عن كتاب حديث غدير مولاي مؤمنان وأهل السُنّة، ص 130 - 132، تأليف «محمد سليم آزاد بمقدّمة ايوب گنجي» في الاستدلال على مشروعية قيادة أبي بكر»، حيث استدل بالآية 55 من سورة النور، وهو قوله تعالى: {**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**}.

كتب السيد محمد سليم آزاد ان الخطاب في هذه الآية موجّه إلى الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنّ هذا الوعد الالهي قد تحقق بعد الرسول مباشرة باستخلاف أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومن بعده بالترتيب باستخلاف عمر الفاروق وعثمان الثري وعلي المرتضى رضي الله عنهم.

مناقشة استدلال السيّد «محمد سليم آزاد»:

وهذا هو صريح الآية التي تتحدث عمّا بعد عصر ظهور الإمام المهدي المنتظر من آل محمد، ولكن السيد محمد سليم آزاد فسّرها بحكومة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، اذ كان المسلمون في زمان حكومة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي لا يخشون هجوم الروم والمشركين فقط، بل كانت لديهم مخاوف أيضاً من الاختلافات وفقدان الأمن الداخلي الذي بدأ يظهر من بعد رسول الله. وهذا الاختلاف وفقدان الأمن الداخلي لم يكن موجوداً في زمان رسول الله، بل ان هذا الوضع ظهر واستفحل على وجه الخصوص في زمان معاوية وحروب الجمل وصفين وغير ذلك. فهل يريد السيّد محمد سليم آزاد تفسير الآية بالنحو الذي يفيد ان الخوف في زمان رسول الله من الروم والمشركين في البقاع الاخرى من الأرض قد تبدل إلى أمن تام بعد وفاة رسول الله وخلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي؛ على الصعيدين الداخلي والخارجي؟ حيث لم يبق هناك مثلاً مشركون على وجه الأرض بحيث يخشاهم المسلمون؟ خاصة وان السيد محمد سليم آزاد قد استعمل كلمة >مباشرة< حيث قال إنه بعد رحلة رسول الله مباشرة استتب الأمن بشكل تام. وكأن رسول الله لم يكن قادراً على بسط الأمن، ولكن أبو بكر استطاع بسط الأمن بشكل كامل مباشرة بعد رحيل النبي.

واضاف مؤلّف هذا الكتاب قائلاً إن الله تبارك وتعالى اثنى في هذه الآية على حكومة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي. وهذا الثناء من الله دليل على أحقية حكومتهم. ولكن هذه الآية في الواقع تتعلق بحكومة >المهدي من آل محمد< الذي سيظهر ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً من بعد ما كابدته من الظلم وفقدان الأمن؛ حيث يستطيع المسلمون ان يعبدوا الله في أي مكان يشاؤون في العالم عبادة خالصة بلا خوف. فضلاً عن ذلك فان ما قاله السيد >محمد سليم آزاد< هنا فيه اساءة لقيادة رسول الله لأنّه يعني في زمان حياة رسول الله لم يكن هناك اي اختلاف داخلي ولا مخاوف أمنية داخلية، وكان هناك فقط خوف من هجوم مشركين من بلاد اخرى، ومباشرة من بعد وفاة رسول الله استتب الأمن الداخلي والخارجي تماماً. أي ان رسول الله لم يكن قادراً على بسطن الأمن التام والمطلق، ولكن أبو بكر استطاع بعده مباشرة بسط الأمن التام والمطلق في الداخل والخارج وفي كل العالم.

اليك في ما يلي نص عبارة محمد سليم آزاد في كتابه >حديث غدير مولاي مؤمنان وما أهل سنّت< ص 131:

«الخطاب في هذه الآية موجّه الى الصحابة (رضي الله عنهم) بعد رسول الله. هذا الوعد الالهي تحقق باستخلاف أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، ومن بعده على

التوالي باستخلاف عمر الفاروق وعثمان الثري وعلي المرتضى (رضي الله عنهم).

استدلال آخر: لـ «السيد محمد سليم آزاد»

وهذه الآية أيضاً جاءت في سورة المائدة التي نزلت في أواخر العمر الشريف لرسول الله. ومفادها ان الصحابة كانوا في خوف من هجوم الروم، وكان بعضهم يلوم بعضاً على الذهاب إلى العرب، ويقول بعضهم لبعض انا لا نستطيع محاربة امبراطورية الروم الكبرى. وهنا أخبر الله رسوله حول ما سيقوم به جيش المهدي المنتظر من آل محمد، من هجوم على أعداء المسلمين في كل انحاء العالم بلا خوف ولا خشية من لومة لأئم، وعملهم هذا سيكون >في سبيل الله ولا يخافون فيه لومة لأئم< {**يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ**}. (ثم كتب المؤلف أيضاً ما يلي):

هذه النبوءة القرآنية تحققت في زمان خلافة الصديق الأكبر (رضي الله عنه).

كما استدلّ بهذه الآية أيضاً السيد ضياء الرحمن محمدي لإثبات مشروعيّة خلافة أبي بكر، في مقالة له كتبها تحت عنوان: حديث «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين»، على الصفحتين 154- 155.

مناقشة الإستدلال بالآية المذكورة:

جاءت هذه الآية في سورة المائدة أيضاً وقد نزلت في أواخر عمر الشريف لرسول الله، حيث كانت المخاوف تعتمل في قلوب الصحابة من هجوم يشنّه الروم، وكان بعضهم يلوم بعضاً على الذهاب الى مقاتلة الروم متذرّعين بعدم القدرة على محاربة امبراطورية الروم الكبرى، أخبر الله رسوله أن جنود الإمام المهدي من آل محمد سيحاربون جميع أعداء المسلمين في كلّ أنحاء العالم بلا أي خوف من أية قوة ومن غير أن تأخذهم لومة لائم «لله وفي سبيل الله ولا يلتفتون الى لومة اللائمين».

{يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم}.

ولكن السيد >محمد سليم آزاد< والسيد >ضياء الرحمن محمدي< يقولان إنّ هذه الآية تتعلق >بحكومة أبي بكر<، حيث كان الصحابة في زمان خلافة أبي بكر يجاهدون >باخلاص ولا يخافون لومة لائم<. ومعنى هذا الكلام هو أن >الصحابة< في زمان >رسول الله< كانوا يخشون هجوم مشركي البلدان الاخرى ومن قوة الروم الكبرى، ولكن بعد وفاة الرسول مباشرة، وبمجرد ان صارت الزعامة لأبي بكر زال ذلك الخوف واكتمل اخلاص المسلمين. ومن بعد رحلة رسول الله وبسبب زيادة ايمان الصحابة واخلاصهم اصبحوا بعدئذ لا يخافون لومة لأئم، وكأنهم سيطروا على بلاد الروم،

مثلما سيصير عليه الحال في اعقاب ظهور المهدي المنتظر. وكأن حياة رسول الله وقيادة رسول الله كانت تحول دون زوال هذا الخوف. فرغم ان >الصحابة كانوا بالمجموع هم اولئك الصحابة< ولكن بمجرّد >وفاة رسول الله< و>تسلم أبي بكر لزمام القيادة< زال خوف الصحابة من العدو الخارجي ومن لومة اللائمين. في حين ان الله تبارك وتعالى يخاطب في هذه الآية الصحابة انه سيأتي >قوم آخرون< >غيركم< يقاتلون في سبيل الله من غير خوف، وليس معنى الآية انكم من بعد وفاة رسول الله تزدادون اخلاصاً وتقاتلون في سبيل الله باخلاص من غير خوف.

الملحقات:

1- «الأُمّة الإسلامية الواحدة» و«الخلافة»

2- سبب اخفاق «الثورة الإسلامية في مصر»

«الأُمّة الإسلامية الواحدة» و «الخلافة»

نظراً الى ان >مذاهب عامّة المسلمين< تخلو في بنائيّتها شرعياً من اي >نظام للقيادة السياسية< وهو يفتقر حتى إلى النظام الديمقراطي الذي يضفي الشرعية على القيادة السياسية بواسطة الانتخابات. وإنما القيادة لدى >عامة المسلمين< ليس لها شرط ولا نظام، بل >كل من يستلم الحكم، وبأي نحو كان حتى ولو عن طريق الظلم والتآمر والانقلاب، فحكمه مشروع وعلى الأمّة طاعته. وبالنتيجة فان شكل الحكم لدى >أهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي< لا يسمح للمظلومين بالوقوف بوجه الطغاة والظالمين والاعتراض عليهم؛ فما بالك فيما لو أرادوا الثورة من أجل تحقيق >العدالة الاجتماعية<، بل أن >أهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي< لا يجيزون مفارقة السلطان شبراً حتى وإن كان جائراً ويعتبرون هذا العمل حراماً ويؤدّي بذلك المظلوم إلى النار، كما نسبوا ذلك إلى رسول الله في أشهر كتبهم وأكثرهم قبولاً عندهم مثل كتاب البخاري وكتاب مسلم، وغيرهما، ويقولون بحرمة التمرّد على السلطان حتى وإن كان ظلم وجور، وطاعته واجبة[1] في حين أن القرآن الكريم قد

---

1. البخاري، في كتاب الأحكام؛ مسلم في كتاب الإمارة، وهذه الأحاديث موجودة في سائر كتب أهل السنّة بالمعنى الإصطلاحي.

اشترط في سورة البقرة اتّباع القائد بعدالته، وقال في جواب طلب ابراهيم من الله في أن تكون الإمامة من ذرّيته: إن عهد الإمامة لا ينال له الظالمون{**لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**}[1]؛ بمعنى أن أفراداً من ذريتك ظالمون ولا تحق لهم الإمامة ولا الحكومة على أحد، بل ان طاعتهم حرام، و هم طواغيت وينبغي الكفر بهم كما نصّت على ذلك الآية الستّون من سورة النساء.

لقد ذمّت آيات القرآن الكريم من يذهبون إلى الطاغوت واعتبرت الكفر بالطاغوت واجباً. وبيّنت الآيات المعروفة باسم >آية الكرسي< من سورة البقرة ان الايمان بالطاغوت مدعاة للضلال.

وفي سورة المائدة وصف الله تعالى من لا يحكم بما انزل الله ظلم وفسق وكفر وهو ما يعني إن طاعته حرام.

{**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**} - 45.

{**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**} - 47.

{**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**} - 44.

ولكن على خلاف حكم القرآن، لا يُشترط في عناصر ومكوّنات القيادة لدى >عامّة المسلمين< شرط العدالة أو >الانتخاب من قبل أبناء الامّة< ولا علاقة لها في

---

1. سورة البقرة، الآية 124.

>مشروعية القيادة السياسية<. وكما مرّ سابقاً ان الفوضى والاضطراب وعدم الوضوح هي الصفة في قضية >القيادة عند عامّة المسلمين<، بل والأسوأ من ذلك هو ما يُفرض على >المسلم من أتباع مذهب عامّة المسلمين< من وجوب طاعة كل من يستولي على السلطة من الحكام الفاسقين والمنافقين والظلمة، اضافة إلى ان ايدي الناس تبقى مغلولة فيما لو أرادوا الاعتراض على الظالم ولا يُسمح لهم بالتصدي له والوقوف بوجهه؛ فما بالك بالثورة على الظالم واقامة حكومة >العدل الإسلامي< وما بالك بالثورة لاقامة >خلافة شرعية للأُمّة الإسلامية الواحدة<، وهو ما لا يمكن تحقيقه بدون اسقاط الحكومات الظالمة. في حين ان مبادئ ومنطلقات القيادة >لعامة المسلمين< تحرّم على الناس الثورة ضد الظلم والظالمين، وتدعوهم إلى طاعة كل سلطان حتى وإن كان ظالماً وفاسقاً ومنافقاً، وتريد من خلال تلقّي الأوامر من >القوى الكبرى المتسلّطة على العالم< القضاء على الإسلام. ان نظام القيادة عند أهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي يحرّم على الناس القيام بأي عمل مضاد للسلطة. وهذا النظام يؤيد استمرارية السلطان والسلطنة ويدعو إلى طاعته شرعاً بحكم البخاري ومسلم.

إنّ هذا الكلام يبيّن ان جميع الطرق في النظام الذي يعتمده عامّة

المسلمين وهم >أهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي< لاقامة حكومة العدل الإسلامي، مغلقة شرعاً، فما بالك بقضية اقامة >حكومة إسلامية واحدة< أي >الخلافة الشرعية على جميع المسلمين<. ويعني هذا من وجهة نظر الفلسفة السياسية وكأن ماهية وتكوين >أهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي< يؤدي تلقائياً إلى ظهور >ظلمة< و>حاكمين بغير ما انزل الله<، ودأبه الحفاظ على حكومة >الفاسقين والظلمة وما إلى ذلك<.

وهذا على خلاف ما عليه >نظام القيادة الشيعي< (أي الإمأميّة الإثني عشرية) فهو نظام يستند إلى الأحاديث النبوية في لزوم اتّباع الأئمة من العترة وهم الأئمة الإثني عشر من العترة الذين ذكرهم في غدير خم وفي الكثير من المواطن الاخرى. وهذا ما تنص عليه >كتب الشيعة< و>عامة المسلمين< وتُجْمع عليه الامّة. وأوّل شرط للإمامة في هذا النظام استناداً إلى ما ذكره الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم وهو شرط العدالة. هذا النظام يجيز لشيعة على شرعاً الثورة ضد الحكم الظالم واقامة حكومة العدل الإسلامي في بلادهم، على غرار ما حصل في ايران. ولأجل ذلك تتوفر في هذا النظام أيضاً >النظام الديني المناسب لاقامة حكومة العدل<، وهو نظام يتيح للشعب الثورة ضد الظلم والظالم. وتتواصل هذه الاطروحة إلى المهدي

المنتظر وهو آخر الأئمة من العترة من ذريّة آل محمد، الذي يظهر ويعلنها ثورة ضد الظلم والظالم. عندما يظهر المهدي المنتظر من آل محمد تتبعه جميع المذاهب الإسلامية امتثالاً لأمر رسول الله وتطيعه جميع البلدان الإسلامية. وهذه الثورة ضد الظلم وضد السلاطين الظَلَمة واقامة حكومة العدل الإسلامي تنسجم وتتماشى مع >نظام القيادة في المذهب الشيعي< وهو مذهب >الإماميّة الإثني عشرية<، وهذا هو ذات النهج الذي يسير عليه المهدي المنتظر، وتطبيق تام لما يأمر به القرآن، الذي يعتبر العدالة شرطاً لازماً في القيادة.

إنَّ اتّحاد المسلمين واقامة حكومة العدل الإسلامي لجميع المسلمين متعذّر شرعاً وعقلاً إلاّ عن طريق >نظام القيادة الشيعي< أي >الإمامة الإثني عشرية<. وحتى اولئك المسلمين الذين تولّد لديهم شعور بالظلم من تعسّف نظام القيادة في مذاهب عامّة المسلمين التي تستمد رؤاها من أحاديث البخاري ومسلم فأعرضوا نتيجة لذلك عن اتّباع الشيخين ووقعوا تحت تأثير الثقافة الغربية، واقتنعوا باطروحة >النظام الديمقراطي الغربي<، حتى هؤلاء تنقصهم القدرة على توحيد المسلمين واقامة حكومة الخلافة والحكومة الإسلامية الواحدة في كل أرجاء العالم الإسلامي؛ وذلك لأنّ النظام الديمقراطي

الغربي يتّسم بما تتّسم به >النظم الغربية< ذاتها من نزعة عنصرية وتوجهات قومية خاصة وان الرأسماليين الحاكمين لا يمكنهم الاتحاد مع بعضهم واقامة حكومة واحدة؛ وذلك لأنّ أطغى غريزة لدى الإنسان هي غريزة المنفعة الذاتية التي يتصرف على أساسها كل فريق وفئة وبلد وشخص رأسمالي لتحقيق مصالحه على حساب مصالح الآخرين حتى وإن كان في ذلك اضرار بمصالح الآخرين أو أدى إلى اثارة نزاعات وحروب محدودة أو شاملة أو حتى حروب عالمية، كما هو الحال بالنسبة إلى الحكومات الغربية المنتخبة في القرون الاخيرة وخاصة في القرن العشرين بين المسيحيين الغربيين. حيث كان النظام الديمقراطي الغربي بذاته مدعاة للفرقة وليس سبباً للاتحاد والتآخي.

النتيجة التي نتوصّل اليها من خلال ذلك هي >حتى المسلمون الذين غدوا تبعاً للثقافة الغربية، ليس بمستطاعهم اقامة نظام إسلامي واحد وخلافة شرعية، خاصة وان السير على خُطا الغرب وما ينتج عنه من >ضعف الايمان بالله وبرسوله< والدين الإسلامي، فان الأخلاق الإسلامية تنحدر أيضاً صوب الاضمحلال، ويصبح الحال مثلما هو لدى الغربيين الرأسماليين الذين يقودون العملية الانتخابية بأنفسهم وكل الدعاية الانتخابية في ايديهم، لذلك

فهم الذين يكسبون الانتخابات ويتسلطون على الحكم. ويسود الظلم والجنايات - مثلما هو الحال في النظم الغربية - على أبناء الشعب؛ اي على الأكثرية من غير الرأسماليين.

من المعروف ان النظم الانتخابية غالباً ما يفوز فيها المتملقون والمنافقون وهؤلاء هم الذين يسيطرون على زمام الامور، لأنّهم يخدعون الناس بالاساليب والدعاية المتملّقة، وأكثر ما يحصلون على آراء الناس من ضعيفي الايمان.

نشير على وجه الخصوص إلى اولئك الذين يرتبطون بعلاقات خفية مع القوى الكبرى الظالمة وبأكبر الرأسماليين العالميين الذين غالباً ما يكونون من الصهاينة الذين يهيمنون على وسائل الاعلام في العالم، اولئك هم من يستطيعون الفوز في الانتخابات. ولذلك نلاحظ أن الذين يفوزون في الانتخابات حتى في النظم الانتخابية للكثير من البلدان الإسلامية، هم من يوالون الغرب واسرائيل في الباطن ويظهرون لها العداء في الظاهر، ولكنهم يرتبطون بعلاقات حميمة مع أمريكا الداعم الأكبر لاسرائيل، ويتواطئون مع السياسة الأمريكية في الحرب ضد البلدان الإسلامية، التي تقف في خط المواجهة الأوّل مع اسرائيل. أي انهم يتظاهرون بمعاداة اسرائيل في العلن، ولكنهم عملياً يحاربون أعداء

اسرائيل؛ أي انهم في الباطن اصدقاء لاسرائيل ومتعاونين معها.

ولهذا السبب، فقد أدّى تشتّت المسلمين من >أهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي< من جهة والميول والارتباط الخفي للكثيرين من زعمائهم إلى الغرب واسرائيل إلى سيطرة >بضعة ملايين من الصهاينة< على >مليار مسلم< وإلى أن يبدي قادة مليار مسلم عجزهم عن مواجهة اسرائيل، ويخافوا من اسرائيل بسبب دعم أمريكا لها، بل ودفعتهم ذلك إلى التعاون مع أمريكا في الحرب ضد المسلمين وضد أعداء اسرائيل، ودفع الشبّان السُذّج والمتديّنين المسلمين بدلاً من محاربة اسرائيل - إلى الهجوم على أرواح وأموال ونساء ورجال واطفال >المسلمين المناهضين لاسرائيل< ليقتلوا المسلمين بكل بشاعة ووحشية وزرع العبوات والالغام والاحزمة الناسفة، بل ونراهم يربطون الاحزمة الناسفة حتى بأبدانهم فيقتلون أنفسهم ويقتلون النساء والاطفال المسلمين الابرياء، وحتى انهم يأكلون بعض اعضاء القتلى المسلمين، وكل ذلك باسم الإسلام، في حين ان أكل اعضاء جسم الإنسان محرّم في الإسلام بل وفي كل الاديان السماوية، بل ان هذا العمل يُعتبر في نظر جميع العقلاء والاحرار وعموم بني الإنسان، جناية قذرة وعملاً بشعاً. وهم بهذه الأعمال والممارسات

البشعة التي يرتكبونها باسم الإسلام، يشوّهون صورة الإسلام ويظهرونه بمظهر قذر وبشع أمام أنظار العالم.

وخلاصة الكلام هي ان اقامة >حكومة الأُمّة الإسلامية الواحدة< أو >الخلافة< أمر متعذر من قِبَل أتباع أبي بكر وعمر، ومن يستندون إلى أحاديث البخاري ومسلم وغيرها التي توجب طاعة الظالم وحتى الفاسق والمنافق ولا يمكن اقامة >حكومة الأُمّة الإسلامية الواحدة< الا على أساس النظام السياسي للإسلام الأصيل والواقعي الذي يتمثل في المذهب الشيعي، وستقام هذه الحكومة في آخر الزمان أيضاً على يد الإمام المهدي المنتظر من آل محمد.

سورة الأنبياء - آية 105 - {**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**} (105)

سورة النور - آية 55 - {**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**} (55)

وخلاصة الكلام هي ان الله قد وعد في سورة الأنبياء انه سيأتي اليوم الذي يرث فيه عباد الله الصالحون الأرض.

وفي سورة النور أخبر الله تعالى أيضاً ان خلافة الأرض ستكون للصالحين من

المسلمين الذين سيعبدون الله بالدين الوحيد والصراط المستقيم الذي يرتضيه الله بلا خوف من أحد.

سبب اخفاق «الثورة الإسلامية في مصر»

سبب اخفاق «اخوان المسلمين»:

1- كتاب مسلم، أبواب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة (ج 6، ص 20): «طاعة السلطان واجبة حتى وإن كان قلبه كقلب الشيطان، ولم يكن يعمل بسنّتي».

زيد بن سلام عن أبي سلام قال: قال حذيفة بن اليمان قلت يا رسول الله إنّا كنا بشرّ فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شرّ؟ قال: نعم، قلت هل وراء ذلك الشرّ، خير؟ قال: نعم، قلت فهل وراء ذلك الخير شرّ؟ قال: نعم، قلت كيف؟

قال: يكون بعدي، «أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنّون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس»، قال: قلت كيف اصنع يا رسول الله ان ادركت ذلك، قال: «تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع واطع».

2- كما مرّ بنا سابقاً ان أتباع >أبي بكر وعمر< الذين يأخذون ويعملون بأحاديث كتابي البخاري ومسلم وأمثالهما، ومن المعروف ان البخاري[1] ومسلم وغيرهما ينسبون إلى

1. كتاب البخاري في كتاب الأحكام: قال رسول الله

رسول الله انه قال: >مخالفة السلطان حرام حتى وإن كان سلطاناً جائراً< و>طاعته واجبة حتى وإن كان سلطاناً جور وسلطان سوء، والمفارق له ولو على مقدار شبر فهو من أهل النار<. وهذا الحكم مطلق حتى وإن كان ذلك السلطان قد استولى على الحكم بالتآمر والانقلاب وسفك الدماء، أو عن طريق الوصية أو الوراثة، ولا فارق بين هذه الحالات وتجب طاعة السلطان في كل الأحوال.

3- خاصة وان أياً من قادة >عامة المسلمين< ابتداءً من أبي بكر وعمر، إلى >بني أميّة< صنائع >أبي بكر وعمر< وإلى بني العباس، وإلى السلاطين الحاليين من آل سعود، لا يؤمنون بالانتخابات وفي مثل هذه الحالة لا يبقى أمام أتباع أبي بكر وعمر من عامّة المسلمين من أتباع البخاري ومسلم أي مجال للاعتراض شرعاً، حتى على >الحكومة الانقلابية في مصر< وغير مصر من سلاطين الزمان من أمثال آل سعود أو الشاه الظالم. فما بالك في أن تقوم مجموعات الوهابيين والقاعدة، وداعش، والنصرة، وبوكو حرام وغيرها بقتل الابرياء أو تفجير المفخخات في الاماكن العامّة لقتل

(ص): من كره من أميره شيئاً فليصبر فانه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية.
- مسلم في كتاب الامارة

النساء والاطفال من المسلمين الابرياء لكي يصلوا إلى الخلافة، وما شابه ذلك.

وعلى كل الأحوال فان من يفارق سلطان زمانه ولو شبراً واحداً (وهي أقل فاصلة ممكنة) وفقاً لما جاء برواية البخاري ومسلم التي ينسبانها إلى رسول الله، فهو من أهل النار. أي ان من يُقتل في معارضة سلطان زمانه - حتى وإن كان سلطاناً جائراً - فهو ليس شهيداً وأنما من أهل النار.

<و مع وجود مثل هذا الحكم< في مذاهب >أهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي< و>أتباع البخاري ومسلم<، لا ينبغي أن نأمل خيراً من >الناس الذين يعتقدون بأحاديث البخاري ومسلم< أو ان ينهض >أنصار محمد مرسي< لماضدته ومزازرته ومناهضة سلطان زمانهم، وهو الرئيس السياسي للجمهورية. واما من الناحية العملية والواقعية فانَّ السيّد محمد مرسي فقد الكثير من أنصاره ومن الذين انتخبوه وذلك بسبب صداقته مع اسرائيل. وأما الذين لازالوا يؤيدونه فهم لا يستطيعون مساندته شرعاً في ضوء ما تفيد به >أحاديث البخاري ومسلم<، وذلك لأنّ ليس سلطان الزمان لحدّ الآن.

نعم، هذا هو سبب اخفاق الثورة المصرية في تطبيق >أحكام أهل السُنّة بالمعنى الاصطلاحي<، في >مذهب عامة المسلمين< الذي يفرض على أتباعه الانقياد والخضوع للحاكم الظالم بل

وحتى الحاكم المنافق الذي له قلب >كقلب الشيطان<. وإنّ جميع قادتهم وزعمائهم الدينيين ابتداءً بـ >أبي بكر وعمر< وانتهاءً بـ >بني أُميّة وآل سعود< لا يؤمنون بالانتخابات الحرّة، ويعتقدون بوجوب طاعة السلطان شرعاً حتى وإن لم يكن منتخباً من قِبل أبناء الشعب، وذلك استناداً إلى ما رواه البخاري ومسلم. في حين ان الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم في سورة البقرة، جواباً على طلب ابراهيم: {**لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**} «والعهد هو الإمامة»، والإمامة لا ينالها ظالم.

ولا فرق في أن تكون هذه الثورة في مصر أو في بلد آخر على مذهب أهل السُنّة؛ «أتباع غير أهل البيت»، فهي لا تنجح أبداً.

وعلى العكس من ذلك تماماً الثورة الإسلامية «لشيعة علي» و«أتباع عترة رسول الله» الذين يتمسّكون على الدوام بالقرآن ويعتبرون العدالة شرطاً لازماً للقيادة - وفقاً لحكم «القرآن»، ويحرّم إتّباع السلطان الجائر، ويوجب التصدّي له والثورة عليه.

ويعتبر من يُقتل في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مقابل السلطان الجائر شهيد ومن أهل الجنة. وهو ما يعني بالنتيجة أن الثورة في مثل هذا «المذهب الداعي الى العدالة»، تنجح وتقق تطلّعاتها، ومحاولات الإنقلاب عليه مصيرها الإخفاق؛

ذلك لأنّ «الأئمة من عترة رسول الله»، هم الحافظون «للسنّة الحقيقية» ولم يفترقوا أبداً عن «القرآن» و«السُنّة الواقعية لرسول الله». كما بيّن رسول الله ذلك في «غدير خم» حول أتباع العترة، بقوله: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً.

وأما الأحاديث الموضوعة كتلك الأحاديث الموضوعة في كتابي البخاري ومسلم والتي توجب على الناس شرعاً إتّباع الظلمة وحكّام الشيطانيين التي ينسبونها إلى رسول الله زوراً وبهتاناً ويدّعون ان رسول الله أمر بطاعة السلطان أياً كان، حتى وإن كان سلطان جور وكان قلبه كقلب الشيطان، بل حتى وإن لم يكن له هدف سوى معصية الله والعمل على هدم دين الله.

الباب الثاني:
الافتراضات المسبقة:

الافتراض المسبق الأوّل نظرية «عدالة جميع الصحابة بلا استثناء»

سؤالات:

1- هل كان الصحابة كلهم عدول بلا استثناء؟

2- هل كان كل الاحاديث المتعارضة و المتناقضة التى نقلها الصحابة صحيحة و مطابقة للواقع؟

3- هل كان الرسول قد وضع الحول الكفيلة بازالة الاختلاف من بعده و اوصى الصحابة بسبيل النجاة؟

4- ان كان قد بيّن لهم سبيل النجاة فما هو ذلك السبيل فلماذا اختلفوا فصاروا ائمة مختلفين للتابعين؟

مقدمة حول «منهج البحث» و «الافتراضات المسبقة»

قبل الدخول في صلب البحث لابد من تبيان مسألتين:

أ ـ اتباع منهج مقبول لدى جميع المسلمين لكي لا يكون فيه ثمة شك او ترديد، يعني على اساس القرآن و الاحاديث المتواترة التّي تجمع عليه الامة بكل فرقها.

ب ـ ثم السير على أساس ذلك المنهج الصحيح، للبحث حول صحّة الافتراضات المسبقة.

الافتراضات المسبقة:

الافتراض الاول: حول عدالة جميع الصحابة

الافتراض الثاني: حول صحّة الاحاديث والكتب الحديثية

الكثير من المسلمين لا يناقشون هذه القضايا؛ وانما يقرّون عدالة جميع الصحابة وصحّة بعض الكتب تعبّداً، ويتّخذون منها افتراضات مسبقة لبحثهم واستدلالاتهم، في حين ان البحث والاستدلال مفيدان حتى في القضايا الثابتة وحتى في ما يتعلّق باصول الدين.

أ ـ مناهج البحث:

هناك منهجان للبحث:

1ـ المنهج الجدلي.

2ـ المنهج الاستدلالي.

ـ يقوم المنهج الجدلي على أساس الاستدلال بالقضايا المسلّم بها عند

الطرف المقابل لأجل اسكاته، حتى وان كانت هذه القضايا المسلّم بها غير مقبولة عند من يستند اليها ويستدل بها.

ـ وأما المنهج الاستدلالي فهو يقوم على الاستدلال بامور يقينية مقبولة عند الجميع.

ـ منهجنا استدلالي وليس جدلياً

نروم في كتابنا هذا اتباع المنهج الاستدلالي. ومن الواضح ان المنهج الاستدلالي يستدعي ان تكون مقدّماته من الامور اليقينيّة؛ وهي عبارة عن البديهيات وكذا المتواترات كما هو الحال بالنسبة الى القرآن الكريم عند المسلمين.

ايضاح: شِكل المنهج الجدلي هو اننا نستدل بكتب الآخرين لإثبات صحّة كلامنا. وهذا المنهج الجدلي منهج يقوم على النقض وليس اسلوباً للاقناع، ويمكن الطعن في صوابه، وهو لو ان احداً اراد الاستدلال لاثبات شيء للطرف المقابل، يقول له: اذا كنت تقر بصحّة مالدينا من الروايات، فلدينا روايات اكثر صراحة ودلالة على ما نقول. في حين ان المنهج الاستدلالي مقبول لدى الجميع، ويقوم على الاستدلال بالبديهيات والمتواترات.

ب ـ الافتراضات المسبقة

اول الافتراضات المسبقة، عدالة جميع الصحابة بلا استثناء.

ايضاح: الرواة على قسمين:

1ـ الراوي الصحابي.
2ـ الراوي غير الصحابي، أي التابعي.

الصحابة هم المسلمون الذين شاهدوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ونقلوا عنه روايات. ويذهب معظم المسلمين وهم "اتباع اصحاب السلطة" الى ان جميع الصحابة، عدول بلا استثناء. ولهذا السبب لا يوجد عندهم كتاب يبحث في احوال الصحابة ويقسّمهم الى عادل وفاسق ومنافق. وهم ـ في كتبهم الرجالية ـ عندما يصل الدور الى الصحابة لا يتطرّقون أبداً الى بحث عدالة الراوي الصحابي؛ وذلك لأنهم يقولون بأن الصحابة كلهم عدول[1] على الاطلاق، ولا يحق لنا الطعن في عدالة صحابي. وهذا الافتراض المسبق هو ما تقوم عليه كتب أتْباع اصحاب السلطة، وهو ان كل الصحابة عدول من غير استثناء. بينما يقول اتباع عترة رسول الله "الذين يعتبرون أنفسهم اتباع اهل البيت" بتقسيم الصحابة الى: صحابي عادل، وصحابي غير عادل.

---

1. وهذا ما يذهب إليه كل من ابن حجر، وابن عبد البر، والخطيب، والحاكم النيسابوري وغيرهم.

استدلال انصار نظرية عدالة جميع الصحابة على ان الصحابة كلهم عدول من غير استثناء

الاستدلال العقلي:

ومن الادلة التي يعتمدونها في هذا المجال هو اذا كان لدينا شك في عدالة صحابي، واردنا اثبات عدالته، فينبغي الرجوع الى شهادة صحابي آخر على عدالته. وهنا يعود بنا البحث الى هذا الشاهد، وكيف نعلم عدالته؟ وهكذا نقع في الدور (وكلّ ما يستلزم الدور محال). ولهذا السبب لا نستطيع اثبات عدالة أي من الصحابة. وبالنتيجة تنقطع علاقتنا بالرسول.

ورد في كتاب الاصابة لابن حجر، وفي كتاب تهذيب التهذيب وهما من كتب الرجال عند اتباع اصحاب السلطة ما يلي:

الذين ينتقصون احداً من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يريدون ان يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسُنّة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة[1].

---

1. قال ابن حاتم الرازي في مقدمة كتاب ***الجرح والتعديل***: "الصحابة عدول الامّة وائمة الهدى وحجج الدين". وقال ابن عبد البر في مقدّمة كتاب ***الاستيعاب***: "ثبتت عدالة جميعهم". وقال ابن الاثير في مقدمة كتاب ***اسد الغابة***: "الصحابة كلهم عدول".
وجاء في الفصل الثالث من كتاب ***الاصابة*** لابن حجر، ص 17 – 18، ما يلي: "الذين ينتقصون أحداً من الصحابة يريدون ان يجرحوا شهودنا ويبطلوا

هذا هو الدليل العقلي الذي يقولون به لاثبات عدالة جميع الصحابة. ولابد اولاً من مناقشة هذا الدليل العقلي. ثم ننتقل بعده الى ذكر الادلة النقلية؛ أي الاستدلال بالآيات والروايات.

الكتاب والسنة". وجاء مثل هذا في كتاب ***الكبائر*** للذهبي، ص 238.
واستدلّ الخطيب على اثبات عدالتهم بآيات: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) (آل عمران، الآية 110) ولكن هذا الخطاب موجّه للامة ولا يختصّ بالصحابة. واستدل كذلك بالآية: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) (سورة البقرة، الآية143) وهذا ايضاً خطاب للأمة ولا يختصّ بالصحابة.
واستدلوا على ذلك ايضاً بأحاديث مثل:
خبر الواحد الكاذب: "اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم"، يعني ان اتبعتم الوليد الفاسق اهتديتم وان اتبعتم معاوية الباغي اهتديتم وان اتبعتم الصحابة الذين قتلوا عثمان اهتديتم وان اتبعتم مسلم بن عقبة الذين اباح الزنا بنساء الصحابة اهتديتم لكن حديث: "ياعمار تقتلك الفئة الباغية" المتواتر، يناقض ادلة عدالة جميع الصحابة وأحاديث متواترة اخرى على ان بعض الصحابة يدخل جهنم ولا تنفعهم شفاعة الشافعين وأحاديث اخرى.

بحث حول هذا الاستدلال:

أولاً: من الواضح كوضوح الشمس في رابعة النهار بأن الشك في عدالة جميع الصحابة، واثارة التساؤلات والشكوك حولهم، سيؤدي بالنتيجة الى انقطاعنا عن سنّة رسول الله صلوات الله عليه. ولكن أي فريق وأي مسلم يشك في عدالة جميع الصحابة بشكل عام وبالمجموع الكلي؟

فبعض الصحابة عدالتهم ثابتة بالمتواتر من اقوال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كأبي ذر، والمقداد، وعلي بن أبي طالب، وبلال، وسلمان، وعمّار، وأمثالهم الكثيرون (وان كانوا لا يمثّلون الا عدداً قليلاً من بين الصحابة. ويتفق كل المسلمين على ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وصف هؤلاء الافراد بالعدالة وبشّر بأنهم من أهل الجنّة. ولهذا السبب تقر الامة كلّها عدالتهم انطلاقاً من وجود أحاديث متواترة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في تقواهم وعدالتهم. ويمكن الاستناد الى شهادة هؤلاء الصحابة العدول المُجمع عليهم، للاستدلال على عدالة قسم آخر من الصحابة.

وعلى هذا الأساس ينبغي ان يكون هناك كتاب في علم الرجال للتمييز بين الصحابة العدول وغير العدول. وأتْباع عترة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لديهم مثل هذا الشيء في كتبهم الرجالية. وبوجود مثل هؤلاء الافراد

العدول من الصحابة (الذين ثبتت عدالتهم بما تواتر من شهادة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، و...) لا تنقطع ايدينا عن سنّة الرسول، حتى اذا شككنا في عدالة قسم آخر من الصحابة.

نذكر على سبيل المثال ان علياً نشأ في بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكان بمثابة الابن، وكان على الدوام ملازماً للرسول ومدافعاً عنه. ومن الطبيعي ان مثل هذا الشخص لديه اطلاع تام على حالات الرسول، وافعاله، وأقواله. وبالنتيجة فان وجود مثل هؤلاء الصحابة الذين تُجمع الأمة على عدالتهم يجعل من غير الصحيح ان نقول بأننا اذا اردنا الشك في عدالة البعض ـ كالوليد بن عقبة[1] شارب الخمر ـ ستنقطع ايدينا عن رسول الله صلوات الله عليه.

وبالنتيجة لا يتحقق الدور المحال هنا؛ لأن عدالة رسول الله ثابتة على اعتبار ان الله قد اصطفاه وائتمنه على وحيه. وعدالته لا تحتاج الى تأييد وشهادة شخص آخر. وهو ـ أي الرسول ـ قد شهد على عدالة هؤلاء الافراد ـ الذين ذكرناهم ـ ووصلتنا شهادته بالتواتر.

ثانياً: كيف يمكن القول بعدالة

---

1. هذا ما ذكره مسلم في باب شرب الخمر، والبخاري في مناقب عثمان،... في تفسير آية النبأ (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) من سورة الحجرات.

جميع الصحابة من غير استثناء، في حين بيّن القرآن فسق بعضهم، كما هو الحال بالنسبة الى الوليد بن عقبة (شارب الخمر) الذي دلّت على فسقه آية النبأ من سورة الحجرات، وقد وردت قصّة شربه للخمر في اخبار متواترة نقلها حتى البخاري[1] المؤيد لبني أميّة؟ وجاء أيضاً في كتاب البخاري ومسلم وجميع كتب الحديث في أبواب الحدود، وفي كتب التفسير في ذيل آيات الحدود أن أول من ارتكبوا الكبائر في زمان رسول الله وأقيم عليهم حدّ الكبائر هم أصحاب رسول الله؛ في السرقة وقطع اليد وشرب الخمر والزنا بالمحصنة واتهام بعض ازواج رسول الله، كانوا من اصحاب رسول الله وحتى من البدريين.

أو كيف يمكن القول بعدالة المنافقين من الصحابة الذين وصفهم الله تعالى في سورة (المنافقون) بالكذب، وكان عددهم كبيراً[2]. سورة آل عمران، الآية 179: { مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ }...

سورة المائدة، الآية 100: { قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ } يعني كثرة المنافقين.

---

1. في باب مناقب عثمان.
2. سورة المائدة، الآية 100.

ـ الاستدلال بآيات القرآن على عدالة جميع الصحابة (بلا استثناء):

1ـ (**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّه وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللّه وَرِضْوَاناً**)[1].

استندوا الى دلالة الآية المذكورة آنفاً للقول بعدالة كل من كانوا مع الرسول.

الآية الاخرى التي استدلوا بها على عدالة كل المهاجرين والانصار من الصحابة:

(**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللّه عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ**)[2].

فبما ان الله تعالى اعلن في هذه الآية عن رضاه عن السابقين من الصحابة من المهاجرين والانصار الذين آمنوا بالرسول، ووعدهم الجنّة؛ إذاً فكل الذين هاجروا، وكذا الأنصار، عدول.

الآية الثالثة حول المهاجرين من الصحابة:

3ـ (**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللّه وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللّه وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**)[3].

وهي ان الله تعالى شهد في هذه الآية على ان كل من هاجروا مع الرسول

---

1. سورة الفتح، الآية 29.
2. سورة التوبة، الآية 100.
3. سورة الحشر، الآية 8.

صادقون.

الآية الرابعة حول اصحاب الشجرة:

4ـ (لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)[1].

1. سورة الفتح، الآية 18.

بحث حول هذا الاستدلال:

إنّ الله الذي انزل هذه الآيات، هو الذي أنزل سورة (المنافقون) أيضاً. فبحق من نزلت سورة (المنافقون)؟ لابد وانها نزلت قطعاً بحق بعض أصحاب الرسول ممن كانوا منافقين، وهي (سورة المنافقين) لم تنزل بحق التابعين أو الاجيال اللاحقة أو بحقّ أمم اخرى. لقد وصف الله عز وجل بعض من تظاهروا بالاسلام وكانت لهم صحبة مع الرسول بالمنافقين، في أول سورة العنكبوت، وأول سورة البقرة وأول سورة "المنافقون". جاء في أول سورة "المنافقون" ما يلي:

(إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللّهِ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)[1].

واضافة الى سورة "المنافقون" هناك سور كثيرة اخرى تحدثت عن النفاق، ومنها اوائل سورة البقرة، وهذه السورة نزلت في السنة الاولى للهجرة؛ أي قبل صلح الحديبية، وحتى قبل معركة بدر. وفيها قال تعالى:

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ)[2]. ثم يقول بعد ذلك **(يُخَادِعُونَ اللّهَ...)**.

وهناك سور اخرى تتحدث عمّا قبل الهجرة حيث اشارت الى حالة النفاق

---

1. سورة "المنافقون"، الآية 1.
2. سورة البقرة، الآية 8.

والمنافقين من بعض الصحابة حتى قبل الهجرة. والمثال على ذلك سورة العنكبوت (**الم* أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**). (**وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ**)[1] فهذه السورة نزلت قبل الهجرة. والدليل على ذلك ان آية الأمر بالهجرة وردت فيها. وكذا الحال بالنسبة الى الآية السادسة من سورة الحجرات فهي تحمل دلالة على فسق بعض الصحابة، وهي الآية المعروفة بآية النبأ:

(**... إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا**)[2].

وقد نزلت بحق الوليد بن عقبة، الذي كان من أصحاب الرسول باعتراف الجميع، وقد كلّفه الرسول بمهام عدّة مرّات، ولا يشك احد في صحبته. فهذه الآية تأمر صراحة بعدم الاستماع لكلام هذا الفاسق. أي ان الله يشهد ان هذا الصحابي فاسق، اذ انه كذب في قضية وألبس على الناس. طبعاً هناك من يبرر فعله ويزعم بأنه لم يقصد الكذب، ولكن الله تعالى صرّح بأنه فاسق وكاذب. وهذه ليست الآية الوحيدة الدالة على فسق الوليد، بل كل المسلمين يقرّون

1. سورة العنكبوت، الآية 11.
2. سورة الحجرات، الآية 6.

ذلك، ونذكر على سبيل المثال انه ورد في المجلد الرابع من كتاب البخاري، باب عثمان بن عفان، ومن باب هجرة الحبشة عن عثمان بن عفان وفي بقية كتب الحديث والتاريخ ان علياً قد اقام الحدّ على الوليد، لقضية نوجزها في ما يلي: ان عثمان بن عفان اثناء خلافته ولّى الوليد على الكوفة (بسبب قرابته لأنه كان اخوه لامه). وفي احدى الليالي شرب الخمر ودخل المسجد فصلّى بهم صلاة الصبح اربع ركعات، ثم التفت اليهم وقال: هل ازيدكم؟ فخرج رهط من اهل الكوفة في امره الى عثمان. فاستدعاه عثمان الى المدينة، وجلده علي ابن أبي طالب بعد ان ثبت عليه شرب الخمر.

وخلاصة الكلام هي ان امثال هذه القضايا كانت كثيراً ما تحصل. وقد وردت في المصادر المختلفة ومنها في كتاب البخاري، في باب كتاب الحدود، في باب شرب الخمر، وحد الزنا، وحد المحارب، وغيرها ان هذه الحدود واحكام القصاص اقيمت في زمن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على بعض الصحابة. وهناك آيات تدل على ان بعض الصحابة كانوا فاسقين:

(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) [1].

وكذلك آية النبأ:

---

1. سورة المائدة، الآية 38.

(إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)[1]. التي نزلت بحق الصحابي الوليد بن عقبة[2].

وكذلك نقلت كتب الحديث في ابواب الحدود بشكل متواتر ان اول من أُقيم عليهم حد الزنا بالمحصنة، وحدّ المحارب، وحد السرقة وغيرها من حدود الذنوب الكبيرة في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كانوا من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من قبائل بني مخزوم وبني أسلم وغيرها. وهناك من هؤلاء الصحابة ممن اقيم عليه الحد في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) أو بعد عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) مثل قدامة بن مظعون وهو صحابي بدري، وقد اقيم عليه الحد بسبب شرب الخمر، وكذا الوليد بن عقبة الذي اقيم عليه الحد للسبب نفسه، وغيرهما. كما ان هناك آيات تبيّن ان الكثير من الصحابة كانوا ضعفاء الايمان، ومن هذه الآيات الآية الاخيرة من سورة الجمعة، وهي:

(وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً). وتوضيح ذلك هو أن الناس كانوا يصلّون الجمعة خلف

---

1. سورة الحجرات، الآية 6.
2. اوردها مسلم في باب حد شرب الخمر، واوردها البخاري في الباب المتعلّق بعثمان يعني الاعتراف باجراء الحد على الوليد.

رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وفي تلك الاثناء قُرعت الطبول معلنة وصول قافلة تجارية، فتركوا الرسول قائماً وحده وذهبوا وراء التجارة والدينار. ونقل جميع الرواة (كما ورد في تفسير سورة الجمعة) بأنه بقي اثنا عشر شخصاً وراء الرسول. وبعد ذلك قال رسول الله بأن هؤلاء النفر لو كانوا قد ذهبوا أيضاً لأرسل الله ناراً تحرق الجميع. أي انهم اقترفوا ذنباً كبيراً حين تركوا الرسول قائماً وحده في صلاة الجمعة من أجل التجارة.

وفي الحروب وقع ما هو اسوأ من ذلك؛ ففي معركة أُحُد بقي مع الرسول من قريش رجلان فقط، هما علي والحمزة وكلاهما من بني هاشم. وقد استشهد الحمزة. وبقي من الانصار سبعة، أما الاكثرون فقد فرّوا وتركوا الرسول والمؤمنين الذين بقوا معه حتى قُتلوا جميعاً لقلّتهم الا رسول الله ونفرين من قريش واما الاكثرون ففرّوا ليحافظوا على أرواحهم.

ولابدّ من الاشارة الى انّ عدد أفراد هذا الجيش كان ألفاً حين خرجوا من المدينة، ولكن رجع ثلاثمائة منهم عند منتصف الطريق فبقى سبعمائة. ألَم يكن نصف هذا الجيش من البدريين؟ فلماذا فرّوا إذاً؟

وذهب آخرون وجلسوا فوق جبل أُحد ليبحثوا عن طريق لِلتخلّص من ذلك المأزق، وأرادوا العودة الى المدينة

ليطلبوا من عبد الله بن أُبي ليشفع لهم عند أبي سفيان، أملاً في أن يصفح عنهم. لاحظوا كيف غضب الله عليهم في سورة آل عمران، حين يقول لهم:

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ* وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) [1].

وتبين عندذاك بأن هناك عدد قليل من الصحابة الذين بقوا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وتكشف هذه الاية ان قليلاً من الصحابة كانوا راسخي الايمان، وبعد عدّة آيات من سورة آل عمران أي في الآية 152 ورد ذمٌ اشد لهذه الجماعة من الصحابة وقيل صراحة (عصيتم). أي على العكس مما يزعمونه في ان الصحابة لا يخطأ أي منهم ولا يعصون الله:

(وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ).

اذاً هذه الآية تريد ان تبيّن بأن الصحابة الذين ثبتوا وقاوموا كانوا يريدون الآخرة، واما الذين عصوا وتركوا ساحة القتال فهم آثمون

---

1. سورة آل عمران، الآيتان 142 - 143.

ويريدون الدنيا. ثم لدينا آيات اخرى تقول ان من يريد الدنيا فمصيره الى جهنم:

(**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً* وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً**ً**)[1] أي ان كل من يريد الدنيا ومتاعها كالحصول على الغنائم او الوصول الى سدّة الحكم، نعجّل لمن نشاء منهم بلوغ غايته. ولكن بعد ان يأكل الغنيمة ويستمتع بالرئاسة، ويحصل على ما يريد في الدنيا، يأتي بعد ذلك دور جهنم حيث يخلد فيها. أي ان صغرى القضية تفهم من سورة آل عمران، وتفهم كبراها من سورة الاسراء، وذلك على الترتيب التالي: تفيد سورة الاسراء ان من يريد الدنيا فهو من أهل جهنم؛ وبعض الصحابة ارادوا الدنيا، وهذا يُفهم من سورة آل عمران في قوله: (**مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا**).

اذاً فالنتيجة التي نستخلصها هي ان أكثر الصحابة كانوا يريدون الدنيا (كالحصول على الغنائم، والوصول الى السلطة، وحب الرئاسة، وكل ما هو دنيوي) او كانوا ضعفاء الايمان، والله تعالى يعجّل لمن يشاء منهم نيل تلك المآرب، ولكن في الآخرة يكون نصيبهم

---

1. سورة الاسراء، الآيتان 18 - 19.

العذاب الأبدي. وبشهادة القرآن ان امثال هؤلاء الذين يريدون الدنيا كانوا في أحد، وكانوا أيضاً في بدر. ولكن يوجد في مقابل هؤلاء من يريدون الآخرة. وقد اثبتوا عملاً انهم لا يبتغون الدنيا، وانما يبتغون الآخرة ويرومون الحصول عليها بأي ثمن كان، وان كلّفهم ذلك حياتهم، وسينال هؤلاء جزاءهم وهو افضل الجزاء.

وهناك مجموعة اخرى من الآيات جاءت بهذا المضمون وهي تثبت هذا المعنى صراحة، ولا تحتاج الى أي توضيح، كقوله تعالى:

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ) [1].

وقوله تعالى في سورة الشورى:

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ) [2].

ويفهم من التوضيحات التي مرّت علينا آنفاً ان قضية حب الدنيا والرغبة فيها كانت موجودة في السنة الثالثة للهجرة؛ أي في وقت معركة أُحد. واذا رجعنا الى الوراء قليلاً، نلاحظ في سورة البقرة، وهي السورة التي نزلت في السنة الاولى للهجرة،

---

1. سورة هود، الآيتان 15 - 16.
2. سورة الشورى، الآية 20.

بأن الله تعالى قد تحدّث فيها عن موضوع النفاق؛ اذ ورد فيها ما يلي:

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ)[1]؛

والمعنى انهم منافقون. اذاً فهذه الآية تصرّح بوجود منافقين بين المسلمين حتى في السنة الاولى للهجرة.

اذاً يتضح لنا انه كان هناك بين المسلمين منافقون، وحتى في السنة الاولى لهجرة الرسول. وهذه حقيقة يجب اقرارها.

1. سورة البقرة، الآية 8.

هل كان هناك نفاق بين السابقين من الصحابة؟

ولو قال قائل بأن السابقين ـ والمراد بالسابقين من أسلموا قبل الهجرة ـ كلهم عدول. فجوابه نطقت به سورة العنكبوت. وهذه السورة مكية؛ انها نزلت قبل الهجرة. والدليل على ذلك ان الأمر بالهجرة قد ورد فيها. ومن الطبيعي ان الأمر بالهجرة قد نزل قبل الهجرة وليس بعدها. قال الله عز وجل في هذه السورة في وصف بعض السابقين من الصحابة:

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ* الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) [1] ... **(وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ)** [2].

ويبدو ان هذه الآية نزلت حتى قبل الهجرة الى الحبشة، ومع ذلك فهي تتحدث عن النفاق في ذلك الوقت.

ولو اردنا الاقتراب اكثر الى ان نصل الى السنة الاولى من البعثة، فعلينا ان ننظر الى السور التي نزلت قبل سورة العنكبوت؛ واحدى هذه السور هي سورة المدّثر. هذه السورة من اوائل السور التي نزلت على قلب النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم)؛ أي

---

1. سورة العنكبوت، الآيات 1 - 3.
2. سورة العنكبوت، الآية 11.

في السنوات الاولى للبعثة. ومع ذلك نلاحظ ان الله جل وعلا يقول فيها:

(... وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللّهُ بِهَذَا مَثَلاً) [1]

أي ان الكافرين ومن في قلوبهم مرض يعترضون على الله ويقولون ماذا يريد بهذا؟ وهنا نلاحظ ان الله جعل الى جانب الكافرين مجموعة اخرى اطلق عليها تسمية "الذين في قلوبهم مرض". وهذه المجموعة منفصلة عن الكفار أي انها ليست من الكفار.

يقول الله تعالى في هذه الآية ان هناك طائفتان من الناس يعترضون على ارادتي:

الطائفة الاولى: هم الكفار.

والطائفة الثانية: الذين في قلوبهم مرض. ومعنى هذا الكلام ان هذه الطائفة من المسلمين وليس من غيرهم. هذه الطائفة في الحقيقة هم المنافقون الذين يصفهم الله تعالى بهذه الصفة في عدّة مواضع في القرآن الكريم، نذكر منها ما ورد في اول سورة البقرة، حيث قال تعالى: **(فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً)**. اذاً يمكن القول ان النفاق قد ظهر وتبلور في السنة الاولى من البعثة. وقد اعلن الله عز وجل عن رضاه عن المسلمين الاوائل في الآية المائة من سورة التوبة، كما ذكرنا ذلك سابقاً. ولكن

---

1. سورة المدثر، الآية 31.

عدا المسلمين الاوائل الذين سبق الحديث عنهم ولم يكن فيهم منافقون، يحتمل وجود النفاق بين غيرهم سواء كانوا من السابقين أم من غير السابقين.

الاستدلال الذي يستدل به "مؤيدو نظرية عدالة جميع الصحابة"، حول النفاق قبل الهجرة هو ان الاسلام كان قبل الهجرة يعيش في غربة وكان المسلمون يتجرّعون انواع التعذيب والأذى. ومن الطبيعي ان مثل هذه الظروف لا يوجد فيها أي دافع أو مصلحة للنفاق، بل تكاد تنعدم المبررات او الظروف المساعدة لوجوده. ولكن بعد الهجرة وفي اعقاب فتح مكة توفّرت الظروف المساعدة لنشوء النفاق بعدما غدا المسلمون أصحاب سلطة وقوّة. وكان من الممكن بعد الهجرة وبعد سلطة المسلمين ان يُسْلم البعض خوفاً على حياتهم. أي ان وجود النفاق قبل الهجرة ممتنع عقلاً.

وهذا الاستدلال له جوابان:

الجواب الاول: جواب نقض، وهو وجود آيات في سورة العنكبوت وسورة المدّثر يشير فيها الله تعالى الى وجود النفاق في ذلك الوقت، زمن ما قبل الهجرة. فكيف يمكن نفي وجود النفاق مع وجود مثل هذه الآيات.

الجواب الثاني: جواب حل، وهو ان المنافقين ليسوا كلهم من جنس واحد. فهناك النفاق الذي يأتي نتيجة

الخوف. ومن الطبيعي ان هذا النوع من النفاق توفّرت له موجباته من بعد الهجرة وبعدما صارت للاسلام قوّة وشوكة. كما هو الحال بالنسبة الى أبي سفيان الذي دفعه الخوف على حياته الى اعلان اسلامه، بينما كان قلبه على منهج النفاق. ولكن هل النفاق ينحصر في هذا النوع فقط وهو ما يمكن ان نطلق عليه تسمية دخول الاسلام خوفاً؟ ألا يُحتمل ان يكون هناك قوم اسلموا في أول البعثة بدافع التجسس على المسلمين أو لاغراض سياسية مستقبلية، أو طمعاً في نيل شيء من المعونات التي كان يقدّمها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من اموال خديجة لفقراء المسلمين، وما شابه ذلك من الأسباب والدوافع؟ يمكن ان نطلق على هذا النوع تسمية دخول الاسلام طمعاً.

حتى لو تحاشينا اطلاق تسمية المنافقين على من اسلموا طمعاً في مصالح دنيوية، واعتبرناهم افراداً في قلوبهم مرض حب الدنيا، جرياً وراء الوصف الذي ورد في سورة المدّثر. وبالنتيجة فمن الواضح بأنّ من يحملون مثل هذه الدوافع الدنيوية اذا شعروا يوماً بأنهم لم يحققوا مآربهم، فهم أما ان يتجهوا نحو الكفر (إن امكن ذلك) أو ان ينتهجوا اسلوب النفاق (إن كانوا قد اسلموا من قبل). وعلى كل الاحوال فانّ ايمانهم ليس الايمان

الحقيقي الذي يرتضيه الله.

ولغرض تسليط مزيد من الضوء على هذا الموضوع نعود الى الوراء مرّة اخرى وننظر الى زمان ما قبل البعثة، ونطرح السؤال التالي: هل كان الناس ـ أو عدد منهم على الأقل ـ يعلمون بانه سيظهر نبي وسوف يسود دينه وسلطته في كل العالم، وانه سيحقق انتصارات كبرى؟ أم كانوا يجهلون ذلك؟

الشيء الذي نفهمه من القرآن والاحاديث المتواترة هو ان التوراة، والانجيل، والزبور، والانبياء السابقين قد بشروا أو وعدوا بظهور نبي الاسلام. مثلما هو الحال في الوقت الحاضر حيث تبشر المذاهب الاسلامية أو حتى غير الاسلامية بظهور الامام المهدي.

وقبل بعثة النبي أيضاً كانت كتب التوراة والانجيل والزبور قد وعدت بظهور نبي آخر الزمان وبيّنت علاماته، وان دينه سينتشر في العالم كله، ويغلب على الاديان الاخرى وينسخها. وكان الناس واتباع الاديان الاخرى يتوقعون وينتظرون ظهوره، كما هو الحال بالنسبة الى سلمان الفارسي الذي غادر بلاد فارس وتوجّه الى الحجاز استناداً الى العلامات التي ذكرت له بأن نبي آخر الزمان سيظهر في الحجاز. ونذكر من تلك العلامات ان النبي موسى كان يقول لأمّته: يا بني

اسرائيل سيظهر من اخوانكم نبي يركب الجمل و ...[1]، ومراده من راكب الجمل، انه عربي؛ وذلك لأن ركوب الجمال صفة يختص بها العرب. وكذلك اخبر النبي عيسى ـ عندما ولد ـ بظهور نبي آخر الزمان، وهذا ما بيّنه الله تعالى في الآية الشريفة:

(وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ...)[2].

وتكشف هذه الآية ان النبي عيسى قد بين لأتباعه كل علامات وخصائص نبي الاسلام وحتى انه ذكر لهم اسمه. وكذلك ورد في الآية 75 من سورة الأعراف قوله تعالى:

(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ).

وكذلك قال الله تعالى في آية اخرى:

(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ)[3].

أي ان علماء أهل الكتاب يعرفون النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) كما يعرفون ابناءهم من غير ان يخالجهم أي شك او ترديد فيه، وتنطبق عليه كل صفات وعلامات رسول آخر الزمان، وهو

---

1. سِيَر أعلام النبلاء، ج 1، ص 519.
2. سورة الصف، الآية 6.
3. سورة البقرة، الآية 146.

ذلك النبي الموعود. وورد تعبير آخر مشابه لهذا التعبير تماماً في الآية 20 من سورة الانعام. فهل هناك دليل أسطع من هذا؟ فالله تعالى كأنّه يقول بأنه من الواضح لهم ان هذا نبي كوضوح الشمس في رابعة النهار.

وفضلاً عن كل ذلك فقد أشار تبارك وتعالى في الآيتين 75 و76 من سورة البقرة الى قضية اخرى تسترعي الانتباه، وهي ان بعض اليهود قد تظاهروا بالاسلام، وعندما كانوا يلقون المسلمين كانون يقولون لهم: انا كنا نعلم بظهور نبي الاسلام، ونعلم بأنه يقضي على عبادة الأصنام. ولكنهم عندما كانوا يخلون مع بعضهم كانوا يتلاومون، ويقولون: لماذا تخبرون المسلمين بكل شيء؟ ألا تعلمون ان هذا الكلام يساعد المسلمين على اثبات أحقيّة دينهم؟ أليس لكم عقل ينهاكم عن إفشاء هذه الاسرار للمسلمين؟ وقال أيضاً في آية اخرى وهي الآية 157 من سورة الاعراف بأن أهل الكتاب يعرفون النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بكل خصائصه واوصافه.

وخلاصة الكلام هي ان كل من كانت لديه أدنى معلومات عن الكتب السابقة فلا بد وانه كان يعرف نبي الاسلام، ويعلم بأنه هو نبي آخر الزمان.

وعلى صعيد آخر لم يكن مشركو مكّة، أناس انطوائيين ومجرّدين من الوعي والمعرفة، بل كانوا يعيشون في موطن

كمكّة، وهو موضع يفد إليه الناس من جميع انحاء جزيرة العرب لزيارة الكعبة وينقلون إليه كل ما يدور من اخبار جزيرة العرب. بالاضافة الى ذلك كانت مكّة مدينة تجارية تنطلق منها القوافل التجارية الى جميع ارجاء جزيرة العرب والى الشام وغيرها من بقاع منطقة الشرق الاوسط، وتأتى إليها قوافل كثيرة من بقاع شتّي. ويمكن القول بأنه لا يحدث حدث في مكّة إلاّ وينتقل خبره بسرعة الى كافة ارجاء شبه جزيرة العرب. ولا يحصل شيء مهم في ارجاء جزيرة العرب الا ويتناهى خبره إلى أسماع أهالي مكّة.

وعلى اية حال فقد كان مشركومكّة يعلمون ـ عن طريق أهل الكتاب ـ بأن محمداً (صلى الله عليه وسلم) رسول الله، خاصة بعدما رأوا منه معجزات، ولكن الشيء الوحيد الذي كان يصعب عليهم قبوله هو ان المتعصّبين من المشركين لم يكونوا قادرين على التخلّي عن أصنام بقوا عاكفين على عبادتها سنوات طويلة، ولم يكن من السهل عليهم نبذ معتقدات آبائهم واجدادهم. ولذلك قالوا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) انّك اذا اعترفت بأصنامنا ولم تظهر لها العداء فاننا نقبل كل ما تقول. وفي خضم تلك الظروف والملابسات كان هناك أناس اذكياء ودهاة وانتهازيّون ممن كانوا يطمحون الى ان يجلبوا لأنفسهم منفعة دنيوية في ظل

وجود هذا النبي الخاتم.
في تلك الاثناء اندفع البعض بنيّة خالصة ومن أجل الوصول الى الحق والحقيقة، وقدموا من بلاد قاصية واعتنقوا الاسلام، وآمنوا بالرسول وقاوموا في هذا السبيل الى حدّ التضحية بالنفس. ولكن في تلك الأثناء كان البعض يحدّثون انفسهم ويقولون: لا بد ان هذا الحزب سوف ينتشر في العالم، ويستولي على زمام الحكم ومن المؤكد ستكون وراءه منافع كثيرة.
وعلى صعيد آخر كانوا يسمعون من الرسول الذي اثبتت معجزاته حقّانيّته، انه وعد بفتح خزائن كسرى وقيصر. فكان هؤلاء يقولون لأنفسهم: لماذا لا يكون لنا نصيب من هذه المصالح. فلنؤمن ولو من أجل الحصول على منافع دنيوية.
وعند حلول الامتحان الالهي سقطت كل هذه الأقنعة بشكل أو آخر. وكشف الله عن ذلك قبل الهجرة في سورة العنكبوت في قوله:
(أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ).
وقد حان الآن وقت الامتحان. وكان اول امتحان، امتحان شعب أبي طالب، وما حصل فيه من حصار اقتصادي صارم، حيث بلغت الضغوط على بني هاشم واصحاب رسول الله ـ صلوات الله عليه ـ حداً لا يُطاق؛ وكان انين اطفال بني هاشم يتناهى الى اسماع ذوي القلوب

المتحجّرة من أهالي مكّة ولكن من غير أن يؤثر فيها. وكان شبّان ورجال بني هاشم يقتاتون على التمر ولا يكاد احدهم يحصل على تمرة واحدة في اليوم بل على نصف تمرة احياناً. وفي تلك الظروف كانت اوضاع بني هاشم تثير الأسى في قلوب بعض الناس حتى ان بعض الكفار والمشركين في مكّة رقّوا لهم، مثلما فعل حكيم بن حزام (ابن اخ خديجة) الذي كان يجلب التمر لبني هاشم خفية وبعيداً عن اعين المشركين.

والسؤال الذي يتبادر الى الأذهان هنا هو: في تلك الظروف العصيبة التي دفعت بعض المشركين من اقارب خديجة الى تقديم العون لبني هاشم، اين كان كبار الصحابة القرشيين من غير بني هاشم؟ ومن المؤكد انهم لم يكونوا في الشِعب، لأن الشعب كان فيه بنو هاشم فقط. اذاً فهم كانوا في مكّة، ولم يدخلوا مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الشعب، بل ولم يرسلوا له تمرة واحدة، ولم يقدّموا ادنى مساعدة للرسول (صلى الله عليه وسلم) في تلك المدّة الطويلة التي اقترنت بظروف عصيبة وضغوط لا تُطاق.

هؤلاء الذين اسلموا في الظاهر لم ينفعوا الرسول حتى في الظروف التي كان يبادر فيها بعض مشركي وكفّار مكّة ـ من اقارب خديجة ـ الى تقديم العون خفية الى بني هاشم عندما تتوفر لهم الفرصة لهذا العمل احياناً. ولكن

مسلمي قريش من غير بني هاشم لم يقدّموا أي عون للرسول في ذلك الظرف الصعب.

إذاً نلاحظ بأن هؤلاء القريشيين من غير بني هاشم لم تكن لهم مواقف مشرقة قبل الهجرة. وأما ما بعد الهجرة فقد قلنا بأن مواقفهم كانت عبارة عن مخالفة الرسول في معركة بدر، والفرار في معركة أحد، وكذلك الفرار في معركة حنين. وقد اقر المؤرخون والمحدّثون (ومنهم البخاري) بأنهم قد فرّوا من المعركة. فقد نقل البخاري رواية عن أبي قتادة جاء فيها: «**وانهزم المسلمون وانهزمت معهم فاذا بعمر بن الخطاب في الناس**». وخاطب القرآن الكريم في سورة التوبة المسلمين بما يلي: (**ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ**) [1].

ونقل البخاري عند ذكره لغزوة حنين، وكذلك ذكر مسلم في باب الانفال بأن أبا قتادة قال بأن الناس قد انهزموا وانهزمت أنا معهم، ورأيت في تلك الاثناء بأن عمر قد انهزم أيضاً. وذكر أيضاً عند حديثه عن غزوة احد (ونقل البخاري عند حديثه عن غزوة خيبر في فضيلة اسماء بنت عميس، ونقل مسلم في باب فضائل الصحابة عند ذكر فضائل جعفر بن أبي طالب واسماء بنت عميس ونقل آخرون أيضاً) خبراً متواتراً

1. سورة التوبة، الآية 25.

وهو ان عمر بن الخطاب دخل على حفصة واسماء عندها فقال عمر حين رأى اسماء: **من هذه؟**

قالت: اسماء بنت عميس. قال عمر الحبشية هذه البحرية هذه؟ فقالت اسماء: نعم. فقال عمر: سبقناكم بالهجرة فنحن احق برسول الله ـ صلوات الله عليه ـ منكم. فغضبت وقالت كلمة كذبت يا عمر كلا والله كنتم مع رسول الله ـ صلوات الله عليه ـ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في دار أو في ارض البعداء البغضاء في الحبشة وذلك في الله وفي رسوله. وأيم الله لا اطعم طعاماً ولا اشرب شراباً حتى اذكر ما قلت لرسول الله فلما قالت اسماء لرسول الله صلوات الله عليه ـ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم انتم اهل السفينة هجرتان...

وقد ذكرنا بأن من الصحابة السابقين الذين هاجروا الى الحبشة ـ قبل الهجرة الى المدينة ـ عبيد الله بن جحش زوج ام حبيبة التي اصبحت في ما بعد زوجة رسول الله (صلى الله عليه وسلم). فهذا الرجل كان قد أسلم في مكّة وهاجر الى الحبشة. وهناك وعدهم نصارى الحبشة بالاموال ليردوهم عن دينهم؛ فطمع هذا الرجل وتعجّل الحصول على المال الذي كان قد أسلم من أجله، ولم يصبر على أمل ان يحقق لهم الرسول الثراء، وبمجرّد ان لاحظ بأن

الظروف قد تهيّأت له ارتد عن الاسلام. أي ان هذا الرجل كان من السابقين، حيث كان قد أسلم قبل الهجرة ولكن اسلامه كان من أجل الدنيا كما بيّنت ذلك سورة العنكبوت، وأدى الامتحان ولكن فشل فيه، فصار من أهل النار.

ومن هؤلاء الاشخاص أيضاً عبد الله بن خطل الذي هاجر مع الرسول، ووقف الى جانب رسول الله في المدينة وكان من السابقين من المهاجرين. وقد بعثه رسول الله لأمر مع عدد من الغلمان، فقتل عبد الله الغلمان في الطريق لخلاف وقع بينهم أو لسبب آخر، وفر الى مكّة والتحق بالمشركين.

ومن هؤلاء الاشخاص أيضاً عبد الله بن أبي سرح أخو عثمان من الرضاعة، اسلم وهاجر الى المدينة، فارتد كافراً ورجع الى مكة وأخذ يثير الدعايات ضد رسول الله أكثر من أي شخص آخر. وكان يقول لقريش اني لأقول من نفسي مثل ما يجيء به فما يغيّر عليَّ فأنا أنزل مثل ما ينزل. فانزل الله تبارك وتعالى فيه:

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللّهُ).

سنأتي على ذكر عاقبة هذين الشخصين ثم نستأنف الكلام عن الآخرين. ففي فتح مكّة أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جيش المسلمين ان لا يتعرضوا لمن لا يقاتلهم ولا يؤذوا أحداً من الناس واستثنى من ذلك عدّة اشخاص منهم عبد

الله بن خطل، وعبد الله بن أبي سرح ممن كانوا قد اقترفوا جرائم قتل، أو جنايات اخرى. فقد أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ان يُقتلوا حيثما وجدوا حتى وان كانوا متعلّقين بأستار الكعبة. وقد وجدوا عبد الله بن خطل الى جانب استار الكعبة فقتلوه هناك.

وأما عبد الله بن أبي سرح فقد اختبأ في دار عثمان عدّة أيام الى ان هدأت الأوضاع، فجاء به عثمان قد أخذ بيده ورسول الله في المسجد. فقال: يارسول الله، إعف عنه، فسكت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم أعاد فسكت، ثم أعاد، فسكت رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

فلمّا مر قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه: ألم أقل من رآه فليقتله؟ فقال رجل: كان عيني عليك يارسول الله ان تشير إليَّ فاقتله. فقال (صلى الله عليه وسلم): ان الانبياء لا يقتلون بالاشارة.

وقد نقلت كتب التاريخ هذه الحادثة. وكان هذا الشخص سبباً في قتل عثمان لاحقاً. فقد عيّنه عثمان في زمن خلافته والياً على مصر، ونصب أخاه من امّه الوليد والياً على الكوفة. وهذا الوالي يعني الوليد بن عقبة هو الذي فعل تلك الفضيحة الكبرى في الكوفة. وأما عبد الله بن أبي سرح فقد انزل الكثير من الأذى والبلاء في أهالي مصر؛ فقتل من شاء منهم من الابرياء وسجن من شاء وحكم فيهم بما

هو أسوأ من حكومة كسرى وقيصر، الى ان اجتمع الناس هناك وساروا الى المدينة للتظلّم عند عثمان. وقد تظاهر عثمان بأنه قد قبل شكواهم ووعدهم ان يستبدله بوال آخر. ولكنه كتب إليه سرّاً بأن يقتل هذه الجماعة (التي قدمت عليه للشكوى) متى ما وصلت الى مصر وبعث ذلك الكتاب بيد مبعوث على جمل سريع.

وفي الطريق الى مصر شاهدت تلك الجماعة مبعوث عثمان وشكّوا في أمره، وفتّشوا ما كان معه فوجدوا في قربة الماء كتاب عثمان الذي يأمر فيه واليه على مصر بقتل هؤلاء المتظلّمين القادمين من مصر. فرجعوا الى المدينة وقتلوا عثمان. وقد ورد سرد هذه القضيّة بالتفصيل في كتب التاريخ. وأما ما قيل بأنه كانت لعمار وعلي يد في قتل عثمان فليس صحيحاً. وانّما كان عمار من بين من حاصروا دار عثمان، مثلما كان طلحة بينهم أيضاً وقد منع طلحة الماء عن عثمان. ولكن الذي قتل عثمان هم اولئك النفر الذين قدموا من مصر، والذين غضبوا على عثمان وقالوا بأنه اذا اريد لنا ان نُقتل ظلماً فينبغي أوّلاً قتل أساس الظلم وهو عثمان. وخلاصة الكلام هي ان عبد الله بن أبي سرح الذي لم يؤمن بالله قط قد انتهى الى هذه العاقبة، وكان على الدوام مصدراً للفتن والمظالم.

ـ ومن الصحابة الآخرين أيضاً حاطب بن أبي بلتعة. والغاية من ذكر هذا الشخص هي ان البعض يزعم بأن كل البدريين من أهل الجنّة مهما فعلوا وان الله يثيبهم الجنّة جزاءً على مشاركتهم في هذه المعركة، حتى وان عصوا لاحقاً او اقترفوا ذنوباً كبيرة[1]. فقد شارك حاطب بن أبي بلتعة في معركة احد أيضاً، وقد أمره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بحماية جبل أحد، وقال له ولمن معه: لا تتركوا موضعكم هذا سواء رأيتمونا انتصرنا على العدو أم انتصر العدو علينا. ولكن هذا الرجل بمجرد ان رأى هزيمة المشركين طمع في ما تركوه من اموال، وغادر مكانه ونزل من الجبل على وجه السرعة للحصول على الغنائم. فاستغل خالد بن الوليد تلك الثغرة والتفّ منها على المسلمين، مما أدى الى هزيمة المسلمين ومقتل حمزة سيد الشهداء.

والخيانة الاخرى التي ارتكبها هذا الشخص هي ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عندما أمر المسلمين بالتجهّز والاستعداد لفتح مكّة، أوصاهم بكتمان الأمر لغرض الاحتفاظ بمبدأ المباغتة وسلب أهالي مكّة أية مقدرة على

---

1. راجع: البخاري في باب غزوة فتح خيبر، وكتب التاريخ، وكتب التفسير، في تفسير الآيات الاولى من سورة الممتحنة.

المقاومة. ولكن هذا الصحابي؛ أي حاطب، كتب سراً كتاباً الى أهل مكّة يخبرهم فيه بما عزم عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وبعث ذلك الكتاب بيد امرأة تدعى سارة، لتوصله الى مكّة. وقد اطلع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن طريق الغيب على هذه المؤامرة التي فعلها حاطب. ومن الطبيعي ان الشخص المتديّن لا يُقدم على مثل هذا العمل ابداً. وقد نقل هذه القضية كل من البخاري ومسلم[1]، ولكنهما اضافا اليها تلك الاكذوبة الاولى التي تزعم بأنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. والقول بأن يعملوا ما شاءوا وانه يدخلهم الجنّة، فيه مخالفة لصريح القرآن. فقد جاء في أول سورة الحجرات، ما يلي:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ)[2] حيث كان بعض البدريين من مسلمي قريش[3] يرفعون اصواتهم فوق صوت النبي فنزلت

---

1. في غزوة فتح مكّة، و...
2. سورة الحجرات، الآية 2.
3. هذا ما نقله البخاري، في ابواب التفسير، في تفسير سورة الحجرات - وابواب الاعتصام بالكتاب والسنة؛ ونقله الترمذي في ابواب تفسير القرآن، ونقله أيضاً النسائي واحمد وغيرهما متواتراً.

هذه الآية تأمرهم بأن لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي، والا فان ذلك يحبط اعمالكم فتكونون من أهل النار، وانتم يا أهل بدر اذا اذنبتم فستكونون من أهل النار. ولكن نلاحظ أن هؤلاء يزعمون بأن لأهل بدر ان يفعلوا ما شاءوا فان الله يدخلهم الجنّة. وفضلاً عن ذلك فانَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي كان بدرياً بل وأسمى من البدريين، كان يقول: **(إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيم)**[1] وهو من يصفه الباري تعالى في كتابه الكريم بالخلق العظيم **(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)**[2].

ورغم كل ذلك فقد قال عنه في موضع آخر: **(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ)**[3].

اذاً فحينما لا يحق للرسول ان يقترف ادنى معصية، وحينما يرفع هذان الصحابيان صوتهما فوق صوت النبي تنزل آية تحذرهما بأن هذا السلوك يُحبط أعمالهما رغم انهما من أهل بدر، فكيف يمكن القول بأن الله يغفر لأهل بدر مهما فعلوا؟ وقد نصّت سورة الحجرات على ما يلي: **(لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ**

---

1. سورة يونس، الآية 15، سورة الانعام، الآية 15.
2. سورة القلم، الآية 4.
3. سورة الحاقة، الآيات 44 - 46.

بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ).

ـ ومن البدريين الآخرين، قدامة بن مظعون، أخو عثمان بن مظعون. كان عثمان بن مظعون تقياً، وكان اخوه قدامة الصحابي البدري يشرب الخمر ولكنه اخو زوجة عمر بن الخطاب، وقد أرسله عمر الى احدى الولايات، فانكب على معاقرة الخمر هناك ـ مثلما فعل الوليد بن عقبة ـ فاضطر عمر الى جلده. هذا الرجل كان من البدريين.

كانت هذه أمثلة لأشخاص شهدوا بدراً. فهل نستطيع بعدما ذكرنا من مواقفهم ان تقول بأن جميع من شهدوا معركة بدر عدول؟! فان كانوا عدولاً فلماذا يُجلدون؟ ولماذا تصدر من بعضهم مواقف خيانية؟ ولماذا يعلن الله غضبه على حاطب في اول سورة الممتحنة ويقول:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ * لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ

بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)[1]. وقد ذكر الله عز وجل هذه الجملة مقرونة بأداة الشرط "إن"؛ أي انهم لم يهاجروا كلهم في سبيل الله، وانّما كانت في قلوب قسم منهم مآرب اخرى. وقد كشف الله ذلك بقوله: تسرّون اليهم بالمودّة، وأنا اعلم بما اخفيتم وما أعلنتم. ومن يفعل ذلك فقد ضلّ. ويتفق الجميع على ان هذه الآية نزلت في حاطب بن بلتعة. اذاً فان كان بين الصحابة مثل هؤلاء الاشخاص فهل يجوز لنا أخذ ديننا وأحاديثنا عن أمثال هؤلاء الذين أراد احدهم ان يقضي على الاسلام وعلى النبي بواسطة تلك الرسالة التي بعثها الى مشركي مكّة؟!

هناك في كتاب البخاري رواية مفادها ان جرى الحديث أمام عائشة عن أحد البدريين، فشتمته عائشة، فقيل لها: "بئس ما قلت، تسبّين رجلاً شهد بدراً" فذكرت قول أهل الإفك. أي قالت ان بعض البدريين من قالوا بالإفك، وهو اتهام احدى نساء النبي بالزنا، وهذه القضية أشارت اليها الآية 11 من سورة النور، حيث قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْأِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْأِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ)**. فهؤلاء ـ بناءً على ما نقله البخاري ـ

1. سورة الممتحنة، الآيات 1 - 3.

من البدريين، وقد اقترفوا اثماً عظيماً، ووصفهم الله بالآثمين، ووعد في قرآنه الكريم بالعذاب العظيم لبعضهم، حيث نصّت الآية المذكورة على ما يلي: (**وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ**).

ذكرنا في اوائل البحث الآيات التي استدل بها البعض على اثبات عدالة جميع الصحابة، ومنها الآية الشريفة: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ)[1]. واستدلوا على ذلك بالقول بأن كل من مع رسول الله اشداء على الكفار رحماء بينهم، ويكثرون من الصلاة، وكل هذه الصفات كناية عن العدالة. ولكن قيل في الرد على هذا الرأي بأن هناك معنيين محتملين في هذه الآية:

1ـ القيود التي تتضمّنها الآية الشريفة قيود توضيحية، وهو ما ينتهي الى التناقض مع سائر الآيات فيما لو قلنا بأن جميع الصحابة عدول بلا استثناء.

2ـ ان تكون هذه القيود احترازية، أي ان من يكون مع الرسول ينبغي ان تتجسد فيه هذه الصفات. اذاً فالذي لا تتوفر فيه هذه الصفات فهو ليس مع النبي في الحقيقة حتى وان كان في

1. سورة الفتح، الآية 29.

الظاهر معه، أي انه ليس من أصحابه. وهذا يعني بطبيعة الحال ان الصحابة الذين يفرون أمام الكفار ولا تراحم بينهم، خارجون من هذه الفئة. وقلنا بأننا اذا اخذنا بالاحتمال الأول فسيؤدي ذلك الى ايجاد تناقض في القرآن على النحو التالي وهو ان الله سبحانه وتعالى يقول هنا بأن أصحاب الرسول لا يفرون في المعركة، بينما يقول في موضع آخر بأن أصحاب رسول الله فرّوا في المعركة ولجأوا الى الجبال. ويقول هنا بأنهم يكثرون من الصلاة بينما يقول في موضع آخر بأنهم اذا رأوا تجارة تركوا الصلاة خلف النبي وهرعوا الى تلك التجارة، ويقول أيضاً في موضع آخر بأنهم اذا سيقوا الى الحرب فكأنّما يساقون الى الموت ويراد قبض ارواحهم. وفي ضوء ذلك فما هو المعنى المراد من الآية "اشداء على الكفار"؟

ومن جانب آخر لدينا روايات متواترة تفيد بأن بعض هؤلاء الصحابة قد سلوا سيوفهم على بعضهم وقتلوا الكثير من المسلمين مثلما فعل طلحة والزبير حيث فرّا أمام الكفار في معركة احد وفي معركة حنين، بينما ساروا تحت قيادة عائشة وهاجموا أهل البصرة وقتلوا الكثير من مسلمي البصرة الذين لم تكن لهم يد في مقتل عثمان ولم يكن لهم علم بمقتله أصلاً. ثم ان كل الدماء التي اريقت ظلماً

وعدواناً كانت على يد أمثال هؤلاء الصحابة الذين فروا من المعركة، وارتكبوا أفضع الجرائم وقاموا بأكبر فساد في الارض. فكم قتل معاوية من الناس الأبرياء؟! وكم قتل ولاة وأمراء معاوية من المسلمين. فقد ذبح بسر بن أرطأة طفلي عبيد الله بن العباس أمام عين امّهما فجنّت امهما. وقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص ـ الذي كان من الصحابة ـ سيد شباب أهل الجنّة الحسين سبط الرسول، وقتل حتى طفله الرضيع. فكان جنكيز خان قائد المغول اكثر رحمة ورأفة منهم في مواضع كثيرة.

وفي ضوء ما ذكرناه كيف تصدق على أولئك الصحابة صفة (**رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**)[1]؟ والحقيقة هي انهم ما كانوا يتحلّون بأي من هذه الصفات. ولكي لا تكون هذه الآية في تعارض مع الآيات الأخرى ولا مع ما لدينا من المتواترات، فلابد ان نحمل القيود التي وردت في الآية الشريفة التي ذكرناها آنفاً، على محمل القيود الاحترازية. ولا بأس بأن نشير هنا الى ان بعض الصحابة قالوا بأنهم جلسوا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومشوا معه، وصلوا خلفه، وما شابه ذلك، واعتبروا ذلك منقبة لهم. ولكن الله عز وجل قال في رد هذا الوهم

---

1. سورة الفتح، الآية 29 (وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ).

بأن من يكونون مع رسول الله "لا يفرون في المعركة ويتراحمون في ما بينهم". وهذا ما كشفت عنه الآية 62 من سورة النور، والآية 29 من سورة الفتح.

وهنا نود ان نسلّط الضوء على هذا الموضوع من زاوية اخرى، وهو ان الحرف "مع" في قوله "والذين معه" يفيد معنيين؛ أحدهما بمعنى الوجود مثل وجود الله مع الناس حيث ان الله موجود مع كل الناس:

(**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**) [1].

والآخر بمعنى المناصرة والمؤازرة:

(**إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ**) [2]، كأن أقول: انا معك ولستُ معه؛ أي انني اناصرك واعاضدك. والحرف "مع" في هذه الآية مشترك لفظي بين معنيين. فالذين كانوا يقولون نحن مع رسول الله، يقصدون انهم موجودون الى جانبه اينما ذهب. أما الشيء الذي يُعتبر منقبة ويدعو الى الفخر فهو المعية بالمعنى الثاني؛ أي مناصرة ومؤازرة رسول الله (صلوات الله عليه). وقد أراد الله تعالى في هذه الآية ان يكشف عن هذا التلابس ويزيل هذا الخلط وهو ان الوجود مع رسول الله شيء آخر غير مناصرته. وانصار رسول الله هم من لا يتركونه وحده في المعركة. وأما وجود الأبدان الى جانب الرسول

---

1. سورة الحديد، الآية 4.
2. سورة النحل، الآية 128.

فلا يُعتبر دليلاً على المناصرة، والمثال الواضح على ذلك هو قوله تعالى:

(إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ).

فاذا كان المعنى هو الوجود والحضور فان الله موجود مع جميع الناس، ولا يقتصر وجوده على المحسنين، فهو تعالى موجود مع الفسّاق أيضاً. ولكن اذا اخذنا المعيّة بمعنى النصرة، فهو عز وجل مع المتقين ومع المحسنين فقط.

اذاً فليس كل معيّة فخراً ومنقبة. فمن يريد اغتيال الرسول، او يقوم بأعمال التجسس فهو أيضاً مع الرسول، وموجود الى جانبه، ولكن ليس في ذلك منقبة ولا مفخرة له.

اذاً لو اخذنا هذه المعية بمعنى الوجود فسيكون هناك تناقض، ولا يستقيم المعنى إلا اذا اخذنا المعيّة بالوجه الثاني منها وهو بمعنى النصرة والمؤازرة.

وهذه الآية واحدة من أهم الآيات التي يتخذ منها البعض، وخاصة الوهابيين، اداة للمناورة حيث ينبغي الالتفات الى ان المعنى سيكون على النحو التالي: ان اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذين معه اشداء على الكفار ورحماء بينهم... وهو ان قسماً من الصحابة كانوا يتحلّون بهذه الصفة.

وهناك آية اخرى من هذه الآيات وهي الآية الثامنة من سورة الحشر: (**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**). يفسر انصار عدالة جميع الصحابة هذه الآية على النحو التالي: كل من هاجروا مع رسول الله صادقون من غير استثناء. ولكن ينبغي الرد عليهم. بالقول بأن هذا الكلام يصح فيما لو ثبت ان هجرتهم جميعاً كانت لرضا الله؛ وذلك لأن الآية نصّت على انهم "يبتغون فضلاً من؛ الله ورضواناً"؛ أي الذين هاجروا لنيل رضا الله وليس لاغراض دنيوية. ولو عدنا الى الوراء وألقينا نظرة اخرى على سورة الممتحنة، نلاحظ ان الله عز وجل يوجّه الخطاب الى بعض المهاجرين مثل حاطب بالقول: (**إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي**).

اذاً يفهم من ذلك بأنه لم تكن كل هجرة في سبيل الله وانما هاجر البعض طلباً لاغراض دنيوية، و منهم اولئك الذين فرّوا في غزوة احد وفي غزوة حنين، او اولئك الذين أدّى طمعهم في الغنائم في معركة احد الى هزيمة المسلمين، او الذين انسلّوا من صلاة الجمعة عند سماع طبول التجارة. وقد ورد في روايات متواترة[1] عن رسول الله

1. نقلها البخاري ومسلم أيضاً وغيرهما.

(صلى الله عليه وسلم) انّه قال بأن كل امرء ينال ما هاجر من أجله؛ فإن كانت هجرته من أجل الآخرة فسينالها، ومن كانت هجرته للدنيا فهجرته الى ما هاجر إليه. أي انهم لم يهاجروا كلهم في سبيل الله، وانما هاجر قسم منهم في سبيل الله فيما هاجر آخرون طلباً للدنيا. وجاء أيضاً في سياق تلك الآية ما يلي: "ينصرون الله ورسوله". وهناك نقاش أيضاً في صغرى هذه القضية، وهو هل يمكن ان يوصف الذين فرّوا عند الخطر وحضروا حين تقسيم الغنائم بأنهم ينصرون الله ورسوله.

وبالاضافة الى ذلك فقد لاحظنا في سورة آل عمران بأن الله خاطب هؤلاء المقاتلين الذين شهدوا معركة احد بالقول: (**مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ**)، فهل من جاء ليصيب شيئاً من الدنيا او ليقوم بعمل تجسسي ضد المسلمين، يمكن ان يوصف ب ـ "ينصرون الله"، أم انه جاء لنيل حاجة دنيوية؟!

اذاً فهذا القيد "يبتغون" قيد احترازي؛ أي ان هؤلاء المهاجرين صادقون بشرط ان يكونوا قد هاجروا في سبيل الله أولاً، وان يكونوا قد نصروا الله ورسوله حقاً وحقيقة ولم يفرّوا. واذا كانت هذه الآية دالة على عدالة وصدق جميع المهاجرين، فانها تقع على طرف نقيض مع الآيات الاخرى، ومع السُنّة المتواترة؛ لأن الصحابة كان فيهم

المنافقون والفاسقون.

اذاً هذه الآية لا تدل على صدق جميع المهاجرين، وانما جاءت في مدح من لم يفرّوا ولتبيّن بأن هؤلاء هم الصادقون. والصادقون حقاً هم من هاجروا لله واستقاموا حتّى النهاية، ونصروا الله ورسوله في المواطن الضرورية: (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا**)[1].

والآية الاخرى التي يستدلون بها وسبق ان ذكرناها هي الآية 100 من سورة التوبة وهي: (**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ...**).

ولو اردنا ان نأخذ كلمة "الاولون" بانّها مجرّد تفسير توضيحي لكلمة "السابقون" فسيكون ذلك لغواً، في حين ينبغي القول بأن الله اراد هدفاً معيّناً من خلال الإتيان بهذا القيد، وهو ان هذا القيد قيد احترازي والمراد هو الاولون من السابقين. وهذا هو المعنى الصحيح للآية. ومعنى هذا ان الاوائل من سابقي الصحابة صالحون مطلقاً من غير قيد أو شرط، ولكن بقية السابقين وسائر الناس صالحون بشرط اتباع اوائل السابقين، أي اتباع أول رجل وأول امرأة من المهاجرين والأنصار،

---

1. سورة النور، الآية 62 .

وليس الثاني و....

وفي ضوء ما سبق ذكره فان هذه الآية لا تدل على عدالة جميع الصحابة، وانما تدل على عدالة أوّلي المسلمين.

اذاً اولو المسلمين، مرضيون مطلقاً عند الله وهم اهل الجنّة والآخرون بشرط الاتباع للاولين.

نتناول في الفصل التالي بيان معنى كلمة **"الأوّلون"** بشكل اكثر تفصيلاً.

من هم أوَّلُ المسلمين؟

نصت الآية 100 من سورة التوبة على ما يلي:

(وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ).

أول المسلمين من الرجال علي[1]، ومن النساء خديجة، وهما من المهاجرين طبعاً. وأما من الأنصار فأولهم اسلاماً اسعد بن زرارة وذكوان. ويريد تعالى ان يبيّن في هذه الآية ان هؤلاء مرضيون عند الله بمطلق القول. وكذلك من يتّبعون الاولين باحسان فهم مرضيّون عند الله أيضاً. أي ان المجموعة الثانية يرضى عنها الله أيضاً ولكن بشرط

---

1. 50- لأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دعا اولاً اهل بيته، ومن في بيته وكان تحت تربيته علي بن أبي طالب من الطفولة. ولذا تواترت الاخبار في انه اول من أسلم. وهذا يناسب تبليغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم). وبعد ذلك دعا من بني هاشم مثل جعفر بن أبي طالب و... وروى الطبري عن محمد بن سعيد قال: قلت لابي: أكان أبو بكر أولكم اسلاماً؟ قال: لا بل اسلم قبله اكثر من خمسين. وهذا يوافق ما ورد في اسلام ابي بكر انه كان بعد الفترة السرية التي استمرت ثلاث او خمس سنوات، بعد ان انذر النبي عشيرته الاقربين وبعد ان أمر بالصدع بالامر ودعوة الناس عامة كما نقل ابن كثير في السيرة النبوية ان أبا بكر لقي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال احق ما تقول قريش يا محمد من تركك ألهتها...؟
وعن السيرة الحلبية قال أبو بكر: فلما قدمت مكة في التجارة استبشروا وظنّوا انه فتح عليهم بقدومي فتح، واجتمعوا الي وشكوا ابا طالب. وهذا كان بعد اربع أو ست سنوات من اعلان دعوته صلى الله عليه وسلم.

أن تتبع المسلمين الأولين باحسان: (**وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ**). أي على جميع الصحابة اتّباعهم. وقد وردت هذه الآية في سورة التوبة التي يرى البعض انها آخر سورة نزلت من القرآن، ولكنها في الواقع من اواخر السور. عندما نزلت سورة التوبة في اواخر حياة النبي، كانت خديجة قد توفيت، ولم يبق من المهاجرين الاوائل الا علي، وأما من اوائل المسلمين من الانصار، فهو اسعد بن زرارة الذي كان قد توفّي في السنة الاولى للهجرة). ومن بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يبق من هؤلاء الثلاثة الاوائل من المسلمين الا علي.

اذاً فالنتيجة التي تُفهم من هذه الآية هي انّه يا ايها المسلمون إتَّبِعوا علي بن أبي طالب؛ لأنّه عدا الأولين، يشترط في من يريدون دخول الجنّة ونيل رضا الله ان يكونوا "اتبعوهم باحسان". وعلى هذا الأساس فالمسلمون على صنفين:

1ـ الأولون وهم القادة والأئمة.

2ـ سائر المسلمين وهم تبع لهم، وينحصر ذلك في من يتّبعونهم باحسان وهم اتباع علي بن أبي طالب. ولكن هل كانت عائشة او كان طلحة والزبير ومعاوية تبعاً صالحاً وحسناً لعلي اول المسلمين؟

القرآن ومجهولية اكثر المنافقين:

وبعد ان اتضح لدينا بأنه كان هناك بين الصحابة منافقون حتى قبل الهجرة، فالسؤال الذي يتبادر الى الأذهان هو: هل كان كل المنافقين معروفون أم لا؟ قال تعالى في الآية 101 من سورة التوبة: (وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ) أي ان من اهل المدينة من تمرّسوا على النفاق واتقنوه الى درجة انك ايها الرسول مع ما لديك من مقدرة عقلية، لم تستطع معرفة نفاقهم ولم تعلم بانهم منافقون، وان الله فقط يعلمهم "لا تعلمهم نحن نعلمهم".

وهذه القضية "قضية مجهولية الكثير من المنافقين" على درجة كبيرة من الأهمية، وسبب أهميتها هو ان البعض يزعم بأن المنافقين كانوا معروفين، واذا عزلناهم جانباً يبقى الصحابة الآخرون كلهم عدول ويمكن الوثوق باقوالهم، بينما تقول الآية 101 من سورة التوبة بأن هذا الكلام غير صحيح بل ان الكثير من منافقي المدينة الذين كانوا ملتفّين حول رسول الله (صلوات الله عليه) كانوا مجهولين وكانوا يتقنون النفاق الى درجة ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي كان اعقل الناس، استعصت عليه معرفتهم ولم يلتفت الى نفاقهم. وهذا يعني ان بقيّة الناس بطريق اولى لم يعرفوهم وبالنتيجة فقد صدّقوا رواياتهم. أي

انهم اذا نقلوا حديثاً عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان بقية الصحابة وسائر الناس يصدّقونهم حتى وان كان ذلك الحديث موضوعاً أو كاذباً.

وأما بالنسبة الى تمرّسهم في النفاق ومهارتهم فيه، فيُعزى الى ان النفاق على نوعين:

احدهما: نفاق سطحي يمكن كشفه بسهولة من لحن القول ومن اعمال الفرد وسلوكه وكلامه، ولا تستعصي معرفة هذا النوع من النفاق.

والآخر: نفاق عميق كأن يتخفّى المرء وراء سبعة حجب ـ كما يُقال ـ ثم يأكل الخبز والخل لكي يُهيّء الأجواء للوصول الى مآربه كالرئاسة مثلاً، ويحاول مثل هذا المنافق ان لا يكشف عن ذاته ولو مستقبلاً. وجملة "مردوا على النفاق" تعني هذا النوع من النفاق.

يقول الله تعالى ايها النبي انهم انغمسوا في النفاق الى درجة انك مع ما لديك من عقل ومعرفة وذكاء، تعجز عن معرفتهم؛ أي يُظن في الظاهر بأنهم على ايمان كامل ولا يظن احد منهم النفاق وحتى النبي نفسه ما كان يعلم نفاقهم. وهذه الآية تكشف صراحة عن وجود منافقين كان يُظن بأنهم مؤمنين حقيقيين.

وهناك شاهد آخر يبرهن على ان الكثير من المنافقين الفاعلين كانوا غير معروفين، ولهذا هدد الله بفضحهم في معركة الاحزاب:

(لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً) [1].

يقول الله تعالى في هذه الآية بأن المنافقين اذا لم يكفّوا عن اثارة الفتن التي تعصف بالمدينة فسوف نكشف عنهم ونفضحهم لكي لا يتمكنوا من مجاورة الرسول. أي انهم لازالوا مجهولين لدى الناس ويعيشون الى جوار رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولو عرفهم الناس لقطّعوهم اربا اربا.

وهناك شاهد آخر يثبت عدم معرفة المسلمين بهؤلاء المنافقين، وهو قوله تعالى: **(وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ)** [2]. وهذا يعني ان الرسول لم يكن يعرفهم، فما بالك بالناس العاديين. فهذه الآية تبيّن صراحة بأن المنافقين كانوا مجهولين. وفي ضوء كل هذه الآيات كيف يتسنّى لهم القول بأنّ المنافقين كانوا كلهم معرفون.

اما الفاسقون من الصحابة، فلو رجعنا الى كتب الحديث عند جميع المسلمين، ولاحظنا شأن نزول الآيات المتعلّقة بالحدود، مثل حد الزنا، وحد شرب الخمر، وما الى ذلك، لوجدنا

---

1. سورة الاحزاب، الآية 60.
2. سورة محمد، الآية 30.

ان اول من نزلت فيهم كانوا من الصحابة وقد اقيمت عليهم تلك الحدود. اذاً لو قلنا بأن جميع الصحابة كانوا عدولاً ولم يكن فيهم فاسق ولا منافق، فان في قولنا هذا مخالفة لصريح القرآن، ومخالفة للمتواترات من الاحاديث. ومن الطبيعي ان مثل هذا الاعتقاد بعدالة جميع الصحابة (حتّى المنافقين والفسّاق منهم) يتعارض مع القرآن والسنّة المتواترة ويوجب الارتداد لأنه تكذيب لله ولرسوله.

ان القول بأن جميع الصحابة عدول وليس فيهم منافق ولا فاسق ينطوي على تكذيب القرآن الذي يصرّح بأنهم كان فيهم الفاسق والمنافق.

سبق ان نقلنا عن البعض قولهم بأن هناك دليل عقلي على عدالة جميع الصحابة وهو قولهم: "لو شككنا بعدالة بعض الصحابة لانقطعنا عن سنّة رسول الله" ثم نقلنا قول صاحب كتاب تهذيب التهذيب الذي أفرط في الرأي حين قال:

"الذين ينتقصون احداً من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يريدون ان يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسُنّة". ثم عُرض نقض لهذا الاستدلال وهو أنه ثبت في القرآن والسنّة المتواترة بأن بعض الصحابة عدول وبعضهم فاسقون ومنافقون. ولهذا السبب لا يمكن القول بأن جميع

الصحابة بلا استثناء عدول حتى اولئك الذين وصفهم القرآن والسنّة المتواترة بأنهم منافقون او فاسقون.

ونريد الآن ان نقول بأن القضية على العكس مما قاله صاحب تهذيب التهذيب لأنه الله تعالى قال بأن الصحابة فيهم الفاسق والمنافق، وفيهم العادل. وكذلك نصّت الاحاديث النبوية على هذا المعنى أيضاً. وكان الصحابة يعتقدون ازاء بعضهم الآخر بهذا الرأي نفسه وهو ان بعض الصحابة فاسقون ومنافقون، وليس هناك صحابي واحد يؤيد صحّة رأي تهذيب التهذيب. بل ان هذا الاعتقاد بـ"عدالة جميع الصحابة بدون استثناء" بدعة ابتدعها أنصار بني امية لاحقاً. ولم يكن في زمان الصحابة صحابي واحد يعتبر جميع الصحابة عدول بلا استثناء؛ ولهذا السبب فقد كانوا يتحاربون ويُفسّق بعضهم الآخر، ويقتل بعضهم الآخر.

وعلى العموم يمكن القول بأن الصحابة يجمعون على عكس ما ذهب إليه أمثال[1] صاحب تهذيب التهذيب.

---

1. ورد في مقدمة كتاب ***الجرح التعديل*** لابن حاتم الرازي ـ قال ابن حاتم: "الصحابة عدول الامة وائمة الهدى وحجج الدين"؛ وفي مقدمة كتاب ***الاستيعاب*** لابن عبد البر، قال: "ثبت عدالة جميعهم"؛ وقال ابن الاثير في مقدمة كتاب ***اسد الغابة***: "الصحابة كلهم عدول"؛ وفي الفصل الثالث من كتاب ***الاصابة*** لابن حجر، ص 17 ـ 18: "الذين ينتقصون الصحابة يريدون ان يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة". وجاء هذا أيضاً

والنتيجة التي نريد التوصّل اليها تقع على طرف نقيض من كلام تهذيب التهذيب، وهي لو ان مؤلف هذا الكتاب التفت الى ما يعنيه كلامه، وما الذي يستلزمه قوله بان "جميع الصحابة عدول بلا استثناء"، لكان هو نفسه مرتداً. فلو التفت مؤلف تهذيب التهذيب لعلم ان كلامه هذا يعني تكذيب الله ورسوله، ومن البديهي ان كل من يكذّب الله ورسوله فهو مرتد. ولكننا نقول عسى ان يكون انصار "عدالة جميع الصحابة بلا استثناء" قد قالوا هذا الكلام جهلاً.

اذاً فالقضية على العكس مما قال به مؤلف تهذيب التهذيب حين قال بأن من يشك في عدالة بعض الصحابة مرتد. ولكن واقع الحال عكس ذلك؛ أي ان من يقول بعدالة جميع الصحابة ويذكر وجود المنافقين والفاسقين بينهم، ويلتفت الى ان القول بأن جميع الصحابة عدول بلا استثناء، ينطوي على تكذيب "الله الذي صرّح بفسق الوليد بن عقبة، ولا يعتبر المنافقين من الصحابة عدول"، فهو في الواقع مرتد.

في كتاب ***الكبائر*** للذهبي، ص 238. واستدلّ الخطيب على اثبات عدالتهم بالآية: (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**). وهذا طبعاً خطاب للامة ولا يختصّ بالصحابة.

هل كان المنافقون كثيرين بين الصحابة؟

من الافضل هنا ان نرى ما يقوله القرآن. فقد ورد في القرآن الكريم ما يلي: (**مَا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**)[1]. يقول البعض احياناً بأن المنافقين لم تكن تُطلق عليهم تسمية المؤمنين. ولكن القرآن يُسمّي المنافقين مؤمنين أحياناً، وذلك لأنهم في الظاهر مؤمنين. يقول الله تعالى في هذه الآية اننا لا نترك المؤمنين على ما هم عليه ولا نقبل ايمانهم بسهولة، بل نختبرهم ونبلوهم ليُعلم الخبيث من الطيب. والطيب من يكون على ايمان خالص لا تشوبه شائبة، والخبيث يراد به المنافق ومن في قلبه مرض.

اذاً الآية 179 من سورة البقرة تقول ان هناك بين الصحابة من هو طيب، وهناك من هو خبيث ومنافق. ثم تأتي الآية 100 من سورة المائدة لتقول: (**قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ...**) ايها الرسول لا يستوي عندي الخبيث والطيب، وان كانت كثرة الخبيث مدعاة لتعجّبك؛ أي ان الخبثاء بين المؤمنين في زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كانوا من الكثرة بحيث حتى الرسول ـ صلوات الله عليه ـ كان يتعجّب من ذلك.

---

1. سورة آل عمران، الآية 179.

ومن الأدلة الاخرى على كثرة المنافقين وطلاب الدنيا بين الصحابة ما حصل في غزوة الأحزاب حيث ادت اشاعاتهم الى اثارة الهلع في نفوس أهل المدينة وكادت ان تدفعهم لاستسلام للعدو. وقد هددهم الله ان هم لم يسكتوا، فسيفضحهم للناس، حيث ورد في الآية 60 من سورة الاحزاب، ما يلي: **(لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً)**.

الافتراض المسبق الثاني «أحاديث الكتب الستّة...»

الرواة العدول والرواة المنافقون والفاسقون

خلاصة ما توصلنا إليه من القرآن الكريم حول "الصحابة" هو أن "الصحابة" لم يكونوا على نمط واحد. وبالنتيجة فان الروايات التي نقلها "الصحابة" ودوّن قسم منها في الكتب التي دُوّنت في القرنين الثاني والثالث، تُقسم الى مجاميع مختلفة:

1ـ مجموعة روايات الأقلية المؤمنة حقيقة؛ أي الصحابة العدول.

2ـ مجموعة روايات عدد من الصحابة الفاسقين والظالمين.

3ـ مجموعة روايات اكثرية الصحابة وهم أهل الدنيا، الذين تركوا رسول الله وحيداً في غزوتي أحد وحنين عند مواجهة الخطر، وتركوا رسول الله وحده قائماً في صلاة الجمعة عند سماع صوت الدهو والتجارة. وتوجّهوا من بعد رسول الله الى حيث ما كانت مصالحهم الدنيوية، وسكتوا أمام البدع وامام الظالمين، أو وضعوا الاحاديث لصالح الظلمة لقاء الحصول على المال، ونسبوا تلك الاحاديث الى رسول الله، أو اراقوا دماء الابرياء.

وهذا التقسيم الثلاثي للصحابة وأحاديثهم ينطبق على الاحاديث التي نسبوها الى رسول الله في السنوات الاولى بعد وفاته وفي منتصف القرن الأول.

اما دور السلاطين في نقل الاحاديث ووضعها وتدوين كتب الحديث والتاريخ:

من ذا الذي يستطيع إنكار دور السلاطين في الترويج لمذهب معيّن او تمجيد وتعظيم شخصية، واسدال ستار النسيان على شخصية اخرى؟ نذكر على سبيل المثال ان بني هاشم كانوا هم الحُماة الوحيدون لرسول الله في شعب أبي طالب، وكان علي في كل ليلة يستبدل مكانه بمكان رسول الله، ويضع سيفه الى جانبه مجرّداً لكي يُقتل فداءً لرسول الله فيما لو اغار عليه المشركون ليلاً وارادوا قتله، هذا في ما يتعلّق بعهد ما قبل الهجرة. وأما بعد الهجرة، فمتى ما شعر المسلمون بالهزيمة وتركوا الرسول بين ايدي الاعداء العُتاة، مثلما حصل في غزوتي أحد وحنين، كان علي والحمزة من بني هاشم فقط هما اللذان ثبتا من القرشيين في ساحة المعركة، وجعلا من انفسهما درعاً له ويصدّا عنه سهام الاعداء ومن الانصار سبعة او تسعة.

وكان معاوية في جيش الشرك الى جانب ابيه أبي سفيان يشاهد مآثر علي في جيش الاسلام، وكان معاوية قد رأى بأم عينه قبل ذلك مقتل اخيه وخاله وجدّه المشركين على يد عليّ وبني هاشم في معركة بدر الكبرى. ولكن بقي معاوية وأبو سفيان وسائر بني امية مصرّون في غزوة الاحزاب وغيرها على عدائهم لله ولرسوله، الى ان شاهدوا

على حين غرّة ان موطنهم مكة قد حوصر تماماً من قبل رسول الله، وخضع له، وانهم سيقتلون ان لم يُعلنوا اسلامهم، فاضطروا الى التظاهر بالاسلام.

وبعد ان تمكنوا ـ بعد رسول الله ـ من حكم الشام، وصار أولاد أبي سفيان ولاة على الشام ابتداءً بيزيد بن أبي سفيان، ومن بعده معاوية بن أبي سفيان، ومن بعد أبي بكر وعمر حين آلت الخلافة الى عثمان بن عفان الاموي، أضحت كل بلاد المسلمين بيد بني امية، غير ان حكومة عثمان الاموي سقطت بسبب دعمه غير المحدود لأقاربه. وعادت خلافة المسلمين الى علي بن أبي طالب من بني هاشم.

وأما "معاوية" الذي شاهد من قبل تضحيات علي في غزوات رسول الله، ووصايا رسول الله بعلي وعترته، فقد شهر سيف الانتقام ضد الاسلام وضد قائد المسلمين علي بن أبي طالب تحت ذريعة الانتقام لدم عثمان (الذي لم يكن لعلي أي يد في قتله وانما كانت عائشة هي التي أمرت بقتله وكان معاوية قد تهاون في نصرته) وخرج معاوية عن طاعة الامام المفترض الطاعة، ولم يرحم حتى الاطفال، بل ذبح قائده الصحابيُ بسر بن أرطأة، طفلي عبيد الله بن العباس أمام عيني امهما مما ادى بها الى الجنون.

ورغم ان معاوية بن أبي سفيان كان قد سمع من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

قوله بأن بغض[1] علي بن أبي طالب علامة النفاق، فانه كان يظهر بغضه لعلي، وقد قاتل علياً[2] وأمر بسبّه في صلاة الجمعة. وبعد استشهاد علي بن أبي طالب وتسلط معاوية على العالم الاسلامي، أمر ان يُسب على منابر صلاة الجمعة أوّلَ القوم اسلاماً واكثرهم فداءً لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، واقدم على قتل ابناء واصحاب علي بن أبي طالب؛ فقد سمّ معاوية أحد سبطي رسول الله وأحد سيدي شباب أهل الجنّة[3] وهو الحسن بن علي، ثم قتل أصحاب علي مثل حجر بن عدي ذلك الصحابي الجليل العابد الزاهد وصحبه، لا لجرم اقترفوه وانّما لأنهم كانوا من الموالين لعلي بن أبي طالب ولأنّهم امتنعوا عن سبّه، ثم قتل ميثم التمار وسائر أصحاب علي، من أجل التمهيد لكي يستخلف على المسلمين من بعده ابنه يزيد شارب الخمر والزاني بالمحارم.

وبعدما تسلّط يزيد على رقاب المسلمين سار فيهم بسيرة أبيه، ولما

---

1. مسلم، ابواب مناقب الانصار: حب الانصار وحب علي علامة الايمان وبغضهما علامة النفاق.
2. ابن ماجة، ابواب المناقب، مناقب الحسن والحسين. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعلي وفاطمة والحسن والحسين: انا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم.
3. نقل الترمذي وابن ماجة وغيرهما، قال رسول الله: الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة.

قام سبط رسول الله الحسين بن علي للأمر بالمعروف والنهي عن منكر يزيد، وثار ضد ظلم وفسق وفجور يزيد، لم يتورّع يزيد بن معاوية عن قتل الحسين بن علي وسائر أهل بيته وهم أهل بيت رسول الله الذين قدموا برفقة الحسين نحو الكوفة. وقتل حتى الطفل الرضيع وصرّح انه ثأر من بني هاشم لدماء اجداده واقاربه الذين قتلوا في بدر.

وبعد مقتل الحسين سيّر يزيد جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة الى المدينة فقتل من قتل من أهلها واستباحها لجيشه ثلاثة أيام ليفعلوا ما يشاءون بأموال الناس وأرواحهم واعراضهم[1].

ثم هجم جيش "يزيد" على مكّة، واحرق أستار بيت الله وارتكب الكثير من الاعمال الشنيعة. وسار خلفاء يزيد من بني أمية من الشق المرواني على هذا النهج الذي اختطه معاوية ويزيد في قتل أئمة العترة وأهل البيت وموالي علي بن أبي طالب، واستمر في لعن علي من فوق منابر صلاة الجمعة.

سؤال: فمن الذي كان يجرأ في مثل تلك الظروف على ذكر مناقب علي بن أبي طالب وعترة الرسول؟ إلاّ ان يكون قد وطّن نفسه على الموت. وهكذا فقد أسدل ستار النسيان غالباً على

---

1. ***تاريخ الطبري*** وغيره من كتب التاريخ. وجاء ذكر ذلك في كتاب البخاري في باب غزوة بدر حول واقعة الحرّة.

الأحاديث النبوية التي وردت في فضائل علي بن أبي طالب. بل حصل على العكس من ذلك، إذ كان بنو أمية يميلون الى عثمان بسبب نسبه الأموي، ورغم ان عثمان قُتل على يد المصريين بالتعاون مع أصحاب رسول الله، ولم يدفن الصحابة جثة عثمان ثلاثة أيام، الى ان جاء اقارب عثمان من بني أمية ودفنوه في حش الكوكب وهو مقبرة لليهود؛ لأن أصحاب رسول الله لم يسمحوا بدفنه في مقبرة المسلمين، لأنهم لم يعتبروه مسلماً، اذ ان دفن المسلم من الأمور المسلّم بها في الإسلام. ولكن بعد مضي قرن من تسلط سلاطين وحكام بني امية على المسلمين وما قاموا به من دعايات واسعة، اختلقوا لعثمان بن عفان الكثير من المناقب والفضائل التي لو صحّت واحدة منها فقط وكان قد سمع بها أصحاب رسول الله، لما اقدموا على قتله قط، أو كانوا قد أذنوا على الاقل بدفنه في مقبرة المسلمين.

ان احاديث الفضائل التي وضعوها لعثمان تتناقض نوعياً مع سيرته في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومنها ان عثمان فرّ في غزوة أُحد[1]، وبقي متخفياً خلف الجبال ثلاثة أيام الى ان تأكد بأن المعركة قد انتهت كليّاً ولم يعد هناك ثمة خطر

1. البخاري، باب مناقب عثمان.

يتهدده[1]، أو انه لم يشهد غزوة بدر، ولم يبايع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في بيعة الشجرة. حيث اخذ موالوه يضعون الأحاديث التي يبررون بها مواقفه هذه.

وعلى اية حال فان عثمان الاموي بما كانت له من هذه المواقف في أيام رسول الله، وما فعله بعد أن آلت إليه الخلافة من تعطيل احكام الله ونهب المال على يد أقاربه وتسليط اخيه الوليد بن عقبة شارب الخمر على الكوفة، واخيه في الرضاعة عبد الله بن أبي سرح ـ الذي ارتد في زمان رسول الله ـ على مصر، وقتله المصريين ظلماً وعدواناً، وغير ذلك من الاعمال والمواقف، تحوّل عثمان الاموي ـ بعد قرن من تسلط بني امية على السلطة والحكم ـ الى صاحب فضائل مختلقة، بينما نُسيت معظم الفضائل الحقيقية لعلي بن أبي طالب.

وعلى صعيد آخر، بعد قرن من حكم خصوم علي بن أبي طالب، تربى الجيل الجديد على افكار المخالفين لعلي بن أبي طالب، وعلى فضائل عثمان الموضوعة وعلى فضائل من جاءوا بعثمان الى سدّة الحكم. وكان كُتاب "الكتب الستّة" من هذا الجيل الذي تربّى في ظل العهد الأموي، او كان

---

1. ***تفسير الفخر الرازي***، سورة آل عمران، تفسير الآية: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ).

آباؤهم واساتذتهم ممن تربّوا في ظل ذلك العهد.

تأليف الكتب في القرن الثاني و...:

وأما بالنسبة الى الأحاديث التي نسبوها في القرن الثاني الى رسول الله، فقد كان معظمها من اختلاق التابعين، وهذه الاحاديث الموضوعة نوعياً يقرب عددها من المليون حديث. وبالنتيجة فان الكتب التي دوّنت في القرنين الثاني والثالث مثل كتاب مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، واحمد بن حنبل، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وأبي داوود، وابن ماجه، خرجت من هذه الأكداس من الاحاديث التي تم اختلاق معظمها على يد التابعين الذين كانوا يميلون الى بني امية، ولم يهتم الا القليل النادر منهم برواية الاحاديث التي رواها الصحابة حقيقة. ولا تكاد تمثل أحاديث التي وردت في هذه الكتب عن الصحابة العدول بالقياس الى احاديث المنافقين المجهولين واكثرية أهل الدنيا من الصحابة الاّ قطرة من بحر. حيث دأب كل مؤلف ـ في القرنين الثاني والثالث ـ وفقاً لميوله ومذهبه، الى فرز مجموعة من الاحاديث واطلق عليها تسمية الصحيح، مثل كتاب صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وغيرها، وكذلك سنن أبي داوود، وسنن ابن ماجة، وبقية السنن والمسانيد، وغيرها. ومشكلة " هذه الكتب التي دوّنت في القرنين الثاني والثالث" أدهى واعظم؛ وذلك لأنه جرى تقسيم

الروايات التي نقلت عن الصحابة حقاً بعد رسول الله وفقاً للمجاميع المختلفة من الصحابة، فكانت روايات الصحابة العدول، وروايات الصحابة المنافقين والفاسقين وأهل الدنيا.

وبعد مضي قرن، حيث لم يعد بامكان أحد من الناس الذين عاشوا في القرن الثاني والثالث ان يسألوا رسول الله أو العدول من أصحابه حول مدى صحّة تلك الاحاديث، وجدوا انفسهم عند ذلك مضطرين الى اخذ الأحاديث عن التابعين أو عن تابعي التابعين. وبالنتيجة فقد كانت هناك أهمية بالغة لعدالة او نفاق هؤلاء التابعين الذين نقلوا أحاديث رسول الله الى مؤلّفي هذه الكتب؛ لأنه كان من الممكن ان يكون هناك منافقون مجهولون بين التابعين نسبوا كذباً أحاديث الى الصحابة العدول وصدّقها الناس وقبلوها منهم بدون الانتباه الى ان هذا الراوي التابعي من المنافقين المجهولين، وانه ينسب كذباً هذا الحديث الموضوع الى عدول الصحابة من امثال سلمان وأبي ذر والمقداد وغيرهم، بمجرّد ان يسمعوهم يقولون بأن حذيفة او سلمان او غيرهما نقل عن رسول الله كذا وكذا.

ولهذا السبب بلغ عدد الاحاديث في القرن الثاني عند تأليف الكتب الأولى ما يقارب المليون حديث، وقد نقل منها البخاري ومسلم واصحاب السنن والمسانيد ما يوافق ميلهم ومذهبهم.

نذكر على سبيل المثال ان البخاري ومسلم واصحاب السنن والمسانيد نقلوا احاديث حتى عن مبغضي علي بن أبي طالب الذين يعتبرون من المنافقين بشهادة رسول الله (لا يحب علياً الاّ مؤمن ولا يبغضه الاّ منافق)، كما فعلوا حين نقلوا (كما فعل البخاري) عن رئيس الخوارج عمران بن حطان الذي مدح عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي، او حين نقلوا عن اسحاق بن سويد العدوي الذي كان يقول صراحة اني ابغض علي بن أبي طالب، وكان يكثر من ذم علي رغم قول رسول الله: "يا علي لا يحبّك الاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق"[1]، او حين نقلوا عن حريز بن عثمان الذي لم يكن يخرج من المسجد الا بعد ان يلعن علي بن أبي طالب سبعين مرّة، أو حين نقلوا عن سمرة بن جندب الذي كان يبيع الخمر و...[2]، أو حين نقلوا عن عبد الرحمن بن ابراهيم المشهور بدحيم الشامي

---

1. ورد في كتاب مسلم، ابواب الايمان، ان علي بن أبي طالب قال: عهد النبي اليّ انه لا يحبّني الاّ مؤمن ولا يبغضني الاّ منافق. الترمذي، ابواب المناقب؛ النسائي في مناقب وفضائل علي بن أبي طالب.

2. نقل مسلم حول بيع سمرة الخمر في كتاب البيع، في ابواب المساقاة. وقد نقل البخاري هذا الحديث أيضاً. ولكن بما ان سمرة كان من الرواة الذين نقل عنهم البخاري فقد وضع البخاري بدل اسم سمرة كلمة فلان؛ لكي لا يعلم القارىء ان سمرة بن جندب كان بياع خمر. وقد ورد في ***سنن ابي داوود*** ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لسمرة: أنت مضار.

مبغض علي، أو حين نقلوا عن عكرمة ومعاوية ابن أبي سفيان الباغي على الامام المفترض الطاعة وقاتل عمّار، وقاتل طفلي عبيد الله بن العبّاس، وغيرهم من الرواة الآخرين الذين كان من مشاهير مبغضي علي وكانوا يلعنونه على الدوام. وأما بقية الرواة الذين نقلت عنهم هذه الكتب فقد كانوا غالباً من مبغضي علي بن أبي طالب او من اعوان الظلمة وتاركي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في فسق يزيد وظلمه وظلم بن امية وفسقهم؛ أي ان هذه الرواة لم يكونوا عدولاً.

نقل مسلم في باب الامارة انه حتى ابن عم معاوية وهو عبد الله بن عمرو بن العاص لم يستطع ان ينكر ظلم معاوية وفسقه وفجوره العلني عند جوابه لسائل سأله امام الملأ العام، عن الداعي الذي يدعوهم لاطاعة معاوية الذي يأمرهم بأكل الحرام واراقة الدم الحرام.

والمثير للانتباه في هذا السياق هو ان كل واحد من اصحاب هذه الكتب، اثنى على كتابه ووصف بقية الكتب بانّها ضعيفة وغير معتبرة. نذكر على سبيل المثال ان احمد بن حنبل (المتوفى في القرن الثالث، في عام 241هـ) نقل في مسنده "ثلاثين ألف حديث" اختارها من بين سبعمائة ألف حديث وفقاً لميوله ومذهبه. أي انه اعتبر ثلاثين الف حديث فقط. في حين

اعتبر البخاري (المتوفى في القرن الثالث؛ في عام 256هـ) اكثر أحاديث احمد بن حنبل غير صحيحة، واورد في كتابه ما مجموعه "ألفي حديث" من غير تكرار، أي ما مجموعه واحد من خمسة عشر من أحاديث مسند احمد. وهذا يعني ان البخاري اختار اقل من واحد من كل ثلاثمائة من الاحاديث التي كانت موجودة حينذاك (يعني من مليون حديث). ولم يكن هذا الاختيار بناءً على كونها احاديث صحيحة، فالكثير من هذه الاحاديث التي اختارها البخاري تتعارض مع بعضها ومع القرآن، وبالنتيجة فهي اكثرها احاديث مكذوبة، وانما اختارها البخاري لأنها تتطابق مع مذهبه. واعتبرها احاديث صحيحة (أي انها كانت تنسجم مع مذهب آبائه).

والشاهد على ذلك انه نقل ابن عبد البر في كتاب الانتقاء ان البخاري يعتبر أبا حنيفة باطلاً وضالاً، ويعتبر في كتابه أنّ القياس ضلالة.

واعتبر "البخاري" في كتاب تاريخه الكبير "الشافعي" ضعيفاً وغير معتبر.

وجُلد "احمد بن حنبل" من قبل السلطان بسبب نقله احاديث كاذبة. والاحاديث المتعارضة والمتكاذبة والموضوعة (في مسند احمد اكثر من سائر الكتب).

مذاهب المسلمين:

ولا تنحصر فرق المسلمين بهذه الفرق الاربعة التي تسير وفقاً لأهواء السلاطين والولاة، وانّما هناك فرقة اخرى وهي التي تتبع ائمة العترة، مثل المذهب الجعفري. وبالاضافة الى الفرق الاربعة الاخرى وهي الحنبلية والحنفية والشافعية والمالكية يكون المجموع خمس فرق. ويوجد بين هذه الفرق الخمسة تضاد وتناقض شاسع، ومن غير الممكن ان تكون هذه الفرق الخمسة كلّها حقّة، لأن الحق واحد لا أكثر. ومن غير الممكن ان تكون الفرقة الحقّة من بين الفرق الاربعة: الحنبلية، والحنفية، والمالكية، والشافعية التي توجب طاعة السلطان والحاكم حتى وان كان جاهلاً بالدين وظالماً. في حين ان الله تعالى لم يوجب قط طاعة الجاهل والظالم، بل ان طاعة الظالم تتناقض مع طاعة الله لأن الله تعالى يأمر بالعدل والاحسان وينهى عن الظلم والفسق، بينما الظالم والفاسق يأمر بالظلم والفسوق.

اذاً هذه المذاهب الاربعة، وهي الحنبلي، والحنفي، والمالكي، والشافعي، التي تأمر بطاعة السلطان مطلقاً حتى وان لم يكن مستنبطاً للاحكام الصحيحة من الدين، وحتى ان كان ظالماً. فهذه المذاهب الاربعة تأمر بخلاف حكم الله، وهي فرق ضالة، اضافة الى ان هذه المذاهب الاربعة لا

تتبع العترة الهادية التي أمر الله في حديث الثقلين باتباعها والتمسّك بها. والمذهب الجعفري هو المذهب الوحيد الذي يتمسك بأهل البيت ويتّبع الثقلين اللذين أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالتمسّك بهما من بعده وهما القرآن والعترة، والعترة هي المبيّنة للسنّة الصحيحة بشهادة رسول الله.

اضافة الى كل ذلك لم يكن لأي من هذه المذاهب الاربعة: الحنبلي، والحنفي، والمالكي، والشافعي، أي وجود في القرن الأول حتى تكون طاعة احدها واجبة. واما القول بوجوب طاعة أحد هذه المذاهب الاربعة فهو من بدع القرنين الثاني والثالث. في حين ان الائمة من أهل البيت والعترة الهادية كانوا موجودين على الدوام وأوّلهم علي بن أبي طالب وثانيهم الحسن بن علي، وثالثهم الحسين بن علي (الذي ثار ضد فسق وفجور يزيد واستشهد في سبيل الذهي عن المذكر) ومن بعد الحسين بن علي ابنه علي بن الحسين، ومن بعده ابنه الامام محمد بن علي المعروف بالباقر، ثم جعفر بن محمد المعروف بالامام الصادق. وهذان الإمامان (أعني الامام الباقر والامام الصادق) من ائمة العترة، وقد نقلا عن طريق علي بن الحسين بن أبي طالب، السُنّة الصحيحة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى اتباعهم في القرن الثاني.

وهذه هي الفرقة الوحيدة التي تنقل السنّة الحقيقية، وتتبع السنّة الحقيقية، وهي واجبة الاتّباع استناداً الى حديث الثقلين "كتاب الله وعترتي" الذي نقله مسلم والترمذي وآخرون متواتراً. وليس هناك في القرآن والسنّة دليل على وجوب طاعة أئمة المذاهب الاربعة التي تتبع السلاطين والولاة حتى فاسقهم وظالمهم.

وقد نقل مسلم (المتوفى في القرن الثالث؛ في عام 261هـ) وحده اربعة آلاف حديث لا تكرار فيها، أي ضِعف ما نقله البخاري (أي ان نصف أحاديث مسلم لا تعتبر عند البخاري حجّة). ويمكن القول بعبارة اخرى ان البخاري لم ينقل نصف أحاديث مسلم ولم يكن يعتبرها صحيحة. كما ان مسلم لم ينقل بعض أحاديث البخاري لانه يرى تلك الاحاديث كاذبة مثل حديث ابن عمر انه قال: كنا نخيّر بين الناس في زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان. ولكن الكثير من احاديث البخاري نفسه ـ الذي نقل من الأحاديث أقل مما نقله الآخرون ـ تتعارض مع بعضها أو مع القرآن، او مع السنّة المتواترة. وهناك اكاذيب كثيرة في أحاديث البخاري.

وقد اكتفينا هنا بذكر هذه المقتطفات على سبيل المثال لا الحصر، وهذا غيض من فيض.

الاحاديث الكاذبة أو التحريفات والتناقضات

نستعرض في ما يلي نماذج من الاكاذيب والتناقضات التي تكتنف تلك الاحاديث:

1ـ رؤية الله: حديث: "سترون ربكم كما ترون هذا القمر".

2ـ نزول الله من السماء الى الارض: ان الله ينزل في الثلث الأخير من كل ليلة من السماء الى الارض ويبقى على الارض حتى آذان الفجر، ثم يعود بعد ذلك الى السماء: "يتنزّل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا"[1].

وها تان الروايتان كاذبتان طبعاً استناداً الى ما يلي:

أوّلاً: لم يلتفت البخاري الى ان الارض تدور حول الشمس، وان نصف الارض الآخر غير المقابل للشمس يكون ليلاً على الدوام، وان الليل يغطّي نصف الارض الى يوم القيامة، كما ان الثلث الاخير من الليل موجود على الدوام في قسم من الارض الى يوم القيامة. واذا كان الله ينزل من السماء ـ حسب ما يدّعي ـ ويمكث على الارض في الثلث الاخير من الليل، فهذا يعني انه يبقى على الارض الى يوم القيامة؛ وذلك لأن الليل والثلث الاخير من الليل موجود في قسم من الارض الى يوم القيامة، وانما يتبدّل موضعه حول الارض لا غير.

---

1. البخاري، ج 7، ص 149 (بيروت، 1401هـ).

ثانياً: يقول القرآن الكريم: (**وَكَانَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً**)[1]؛ أي ان الله محيط بكل شيء وليس محاطاً بحيث يُرى، أو ان يكون داخل الاشياء؛ لأن الله لا يحتاج الى مكان وانما هو موجود في كل مكان. (**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**)[2].

ثالثاً: اذا قلنا بأن الله في السماء أو في الارض، فذلك يعني انه غير موجود في مواضع اخرى.

رابعاً: اذا كان الله في العرش أو في الارض أو في أي موضع آخر، فذلك يعني انه يحتاج الى مكان. وان كان الأمر كذلك فأين كان قبل خلق المكان والعرش؟ وان لم يكن بحاجة الى مكان ـ كما يقول القرآن ـ فان القول بأن الله في كذا مكان يخالف القرآن.

وخلاصة الكلام هي ان هذه الأحاديث خلاف الواقع، وهي كاذبة قطعاً. وقد نقل البخاري ومسلم وامثالهما الكثير من الاكاذيب حول الله بل وحتى حول رسول الله (صلوات الله عليه)، وحول الصحابة. وهذه الاحاديث لا تنسجم مع بعضهما، بل انها متضاربة ومتعارضة ومتكاذبة.

3ـ العصمة: اورد البخاري في ابواب المناقب من كتابه حول عمر بن الخطّاب بأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لعمر:

يا ابن الخطّاب والذي نفسي بيده ما

---

1. سورة النساء، الآية 126.
2. سورة الحديد، الآية 4.

لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط الا سلك غير فجّك. وهذا الكلام يعني انك يا عمر معصوم.

بينما روى البخاري ومسلم وغيرهما ان عمر فرّ من ساحة المعركة في غزوة أحد وفي غزوة حنين، وترك الرسول وحده بين ايدي اولئك الاعداء الشرسين. وقد اعتبر الله في سورة آل عمران اولئك الفارّين بأنهم قد عصوا: **(وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ)**[1].

وقال عنهم في موضع آخر: **(إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا)**[2].

أي ان الله عز وجل يبيّن في هذه الآية بأن جميع اولئك الذين فرّوا انما اتبعوا سبيل الشيطان في حين ينقل البخاري ما يخالف كلام الله وهو ان عمر الذي كان بين الفارين[3] لم يتّبع سبيل الشيطان. وهو ينسب وهذه الاكذوبة المخالفة لكلام الله الى النبي. ومن الطبيعي ان الكذب على الله ورسوله من الكبائر، واذا جاء ذلك الكذب في شهر رمضان أبطل الصوم (فأين عدالة البخاري). ولهذا لا يمكن التعويل على قول البخاري لأنه كذب على الله ورسوله

---

1. سورة آل عمران، الآية 152.
2. سورة آل عمران، الآية 155.
3. اورده البخاري ومسلم وغيرهما في غزوة حنين.

في كتاب أحاديثه كذبات كبرى. ومن المعروف ان قراءة ونقل هذه الأحاديث الكاذبة في شهر رمضان يبطل الصوم.

4ـ آمَنُ الناس: نقل البخاري في كتابه في فصل المناقب ان آمَنَ الناس عند رسول الله أبو بكر: "إنَّ آمَنَ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر"[1]. مع انه لم يثبت مع الرسول في غزوة أحد من قريش الا رجلان؛ أحدهما الحمزة سيد الشهداء، والآخر علي بن أبي طالب. وبعد شهادة الحمزة كان علي هو الرجل الوحيد من قريش الذي ثبت مع رسول الله ودافع عنه. ومن الانصار كان هناك سبعة أو تسعة رجال. وفي خيبر وحنين لم يثبت مع رسول الله إلاّ علي، وأما بقية الصحابة فقد فرّوا كلّهم[2].

وقبل الهجرة أيضاً بقي في شعب أبي طالب فقط، علي وجعفر وبنو هاشم وهم الذين دافعوا عن رسول الله. وأما بقية الصحابة فلم يذهبوا الى الشعب ولا ساعة واحدة. ولم يجلبوا لرسول الله ولبني هاشم تمرة واحدة رغم انهم شارفوا على الموت من شدّة الجوع. وبذلك فقد تعاونوا عملياً مع المشركين في محاصرة النبي. رغم ان بعض المشركين من اقارب خديجة مثل

---

1. ***سنن الترمذي***، ج 5، ص 270.
2. البخاري، غزوة حنين. وجاء في سورة التوبة ما يلي: (**ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ**). وروى الحاكم النيسابوري في ***المستدرك*** انه بعث رسول الله أبا بكر الى خيبر، فسار بالناس وانهزم.

أبي البختري الذي كان يقدّم لبني هاشم كمية من التمر خفية.

ولهذا السبب عندما نزلت آية الخمس وجعل رسول الله سهماً منه لذوي القربى، اعترض عثمان الاموي على ذلك وقال: لماذا فضل الله بني هاشم علينا؟ فقال رسول الله: انهم لم يفارقوني في جاهلية ولا اسلام[1]. أي انكم تركتموني في شعب أبي طالب وفي ساحة المعركة عند ظهور الخطر الجاد.

حديث أسماء: ولو غضضنا النظر عن كل هذه الامور، فان حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حول اسماء بنت عميس يكفي، وهو ما نقله البخاري ومسلم وجاء في مناقب أسماء بنت عميس. فهي بعد ان رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب (وكان ذلك في السنة السابعة للهجرة) كانت جالسة في دار حفصة بنت عمر بن الخطاب وتتحدثان، اذ دخل عمر على حفصة فوجد اسماء عندها. فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس. قال عمر: الحبشية هذه البحرية؟ فقالت اسماء: نعم. فقال عمر: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله (صلى الله عليه وسلم) منكم، فغضبت وقالت: كلا والله، كنتم مع رسول

---

1. كتاب ***الاموال***، أبو عبيد في ابواب الفيء والخمس؛ وكذلك في كتاب ***تاريخ المدينة***، لابن شبّة.

الله (صلى الله عليه وسلم) يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم، وكنا في دار أو في ارض العدى البغضاء في الحبشة، وذلك في الله وفي رسوله (صلى الله عليه وسلم). وايم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى اذكر ما قلت لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ونحن كُنا نُؤذى ونُخاف، فسأذكر ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، والله لا اكذب ولا ازيد على ذلك. فلمّا جاء النبي (صلى الله عليه وسلم) قالت: يانبي الله ان عمر قال كذا وكذا. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ما قلت؟ قالت: قلت كذا وكذا. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أهل السفينة هجرتان.

قصّة اسماء هذه نقلتها كتب الحديث في باب مناقب اسماء بنت عميس بشكل متواتر وحتى البخاري نفسه نقل هذا في "مناقب اسماء بنت عميس" وهو ان رسول الله قال لأسماء بنت عميس: انتم مهاجروا الحبشة افضل من عمر بن الخطاب واصحابه (واصحاب عمر من امثال أبي بكر وطلحة والزبير وغيرهم)، وانتم احق بي منهم؛ لانكم مهاجري الحبشة هاجرتم الى الحبشة هجرتين، واما عمر وأصحابه فقد هاجروا هجرة واحدة. فان كانت امرأة مثل اسماء بنت عميس وكل مهاجري الحبشة افضل من عمر واصحاب عمر واقرب منهم الى رسول الله، فكيف يمكن

ان يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن بعض من هاجروا هجرة واحدة (وتركوا الرسول وحده في شعب أبي طالب وفي ساحة المعركة): انت أفضل وآمَن ممن هاجروا هجرتين ولم يتركوني وحدي ولم يفروا عني؟!

المفارق للسلطان والمفارق لجماعة المسلمين:

5ـ حديث: من كره من اميره شيئاً فليصبر فانه من خرج من «السلطان" شبراً مات ميتة جاهلية[1].

6ـ حديث: من رأى من اميره شيئاً يكرهه فليصبر فانه من فارق «الجماعة» شبراً فمات الا مات ميتة جاهلية[2].

يقول في حديث "من رأى من اميره شيئاً" انه يجب الصبر على ما يراه من الامير من اشياء يكرهها، وينبغي ان لا يعترض عليها، لأن مفارقة السلطان مفارقة للاسلام. ومن يفارق اميره فيموت، فانه يموت ميتة جاهلية أي على غرار ميتة أهل الجاهلية حيث لم يكن الاسلام قد جاء وكان الناس كفاراً. أي ان معارضة السلطان توجب ارتداد وكفر كل من يعارضه: فانه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية.

---

1. البخاري، كتاب الاحكام؛ مسلم، كتاب الامارة وغيرها من اتباع السلاطين.
2. البخاري، كتاب الأحكام؛ مسلم، كتاب الامارة، وغيرهما من اتباع السلاطين.

واما الحديث الثاني: من رأى من اميره شيئاً...، فقد جاء على العكس من ذلك؛ لأنه يقول بأن كل من يرى من اميره شيئاً يكرهه يجب ان يصبر عليه، وذلك لأنَّ مفارقة جماعة المسلمين كفر، أي ان المرء اذا مات في مثل هذه الحالة أي حالة مفارقة جماعة المسلمين فانه يموت ميتة جاهلية، أي انه يموت كافراً: من فارق "الجماعة" شبراً فمات الا مات ميتة جاهلية.

وهذا يعني ان أحد هذين الحديثين يقول بأن مفارقة "السلطان" توجب الكفر، بينما يقول الحديث الآخر ان مفارقة "جماعة المسلمين" توجب الكفر، وليس مجرّد مفارقة السلطان، وذلك لأنه من الممكن ان تفارق جماعة المسلمين ـ مثلما حصل في عهد عثمان ـ السلطان وتعترض عليه. وفي الحديث الثاني اعتبر مفارقة جماعة المسلمين علّة مباشرة أو علّة اصلية للكفر، في حين اعتبر في الحديث الأوّل مفارقة السلطان علّة اصلية ومباشرة للكفر، سواء كانت مفارقة السلطان ملازمة لمفارقة جماعة المسلمين أو في معزل عنها.

وبالنتيجة في الوقت الذي تفارق فيه جماعة المسلمين السلطان وتعلن رفضها له او معارضتها لحكمه كما حصل في عهد عثمان "وفقاً للحديث الاول فان جماعة المسلمين من الصحابة هي التي كفرت وميتتها ميتة جاهلية؛ وذلك لأنه

في الحديث الاول اعتبرت مفارقة السلطان نفسها سبباً أصلياً للكفر حتى وان كان المفارقون للسلطان هم جماعة المسلمين والصحابة الذين خاصموا عثمان فان ميتتهم جاهلية.

ـ واما عكس الحديث الثاني اعتبرت مفارقة جماعة المسلمين العلة الأصلية للكفر، حتى وان كان المفارق هو السلطان نفسه، فالسلطان نفسه يعتبر كافراً بسبب مفارقته لجماعة المسلمين وميتته ميتة جاهلية وان كان عثمان، بينما اذا فارقت جماعة المسلمين السلطان، مثلما حصل في عهد عثمان، حيث خرج المهاجرون والانصار على عثمان وخالفوه لأنه حكم بغير ما انزل الله، ولم يأخذ بسنّة رسول الله، وسلط اقاربه الفاسقين الظلمة على رقاب الناس، وقسّم اموال بيت المال بينهم[1]. وفي عهد حكم الوليد[2] بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، كان هذا السلطان يكثر من شرب الخمر، وزنا بمحارمه ـ كما فعل يزيد بن معاوية ـ وما الى ذلك من الافعال

---

1. قالت عائشة لابن عباس: اياك ان تردّ الناس عن هذا الطاغية. وهذا القول رواه البلاذري. وروى الطبري وابن شبة وابن سعد وغيرهم قول عائشة في عثمان بن عفان الاموي: اقتلوا نعثلاً فقد كفر. وكذا رواه المدائني؛ وأبو الفداء، وأبو مخنف، وقيس بن حازم، وابن عبد ربه، وابن الاثير، وابن قتيبة (في ***الامامة والسياسة***) وغيرهم متواتراً.
2. ***المستدرك***، الحاكم النيسابوري، ج 4، ص 494.

الشنيعة، ولم يستجب لنصائح من نصحوه ولم يكف عن تلك المحرّمات والفسق والفجور. فهجم عليه جماعة من المسلمين وعزلوه عن السلطة.

وطبقاً للحديث الأول فان هذه الجماعة من الصحابة والانصار الذين خرجوا على سلطانهم عثمان وفارقوه، وكذلك هذه الجماعة من المسلمين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر (الذين عزلوا الوليد بن يزيد بن عبد الملك عن السلطنة) كلاهما جماعتان كافرتان ومن اهل النار وميتتهما ميتة جاهلية، لأنهما خرجتا على سلطانهما. وكل من يخرج على السلطان يموت ميتة جاهلية.

ولكن طبقاً للحديث الثاني فان مفارقة جماعة المسلمين علّة أصلية ومباشرة للكفر. وبناءً على هذا الحديث فان عثمان بن عفان هو الذي فارق جماعة المسلمين وهو من أهل جهنم وقد مات ميتة جاهلية، وليس المهاجرون والانصار الذين خالفوه وازاحوه عن السلطة والحكم.

ولو قلنا بأن كلا حديثي البخاري صحيحان، فالنتيجة هي ان عثمان كافر ومن أهل النار لانه فارق جماعة المسلمين، وكذلك جماعة المهاجرين والانصار الذين خرجوا على سلطان زمانهم، فهم أيضاً كفار ومن اهل

النار[1].

اضافة الى ذلك فان السلطان الظالم الذي يحكم بغير ما انزل الله كافر بنص الآية 44 من سورة المائدة، أي انه طاغوت ويجب الكفر به استناداً الى الآية 60 من سورة النساء.

ولهذا السبب ثارت عائشة ضد عثمان وامرت بقتله، حيث كانت قد قالت بأنّ عثمان حكم بغير ما انزل الله ولم يعمل بسنّة رسول الله، اذاً فهو طاغوت وتجب مخالفته، فاقتلوه.

اليكم في ما يلي نص الآية 60 من سورة النساء:

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً)

أي أن طاعة الطاغوت ـ وهو من يحكم بغير ما انزل الله ـ حرام والكفر به واجب.

وجاء في الآية 44 من سورة المائدة:

(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ

---

1. أي ان هذه الأحاديث الكاذبة نقلها البخاري وكذلك نقلها مسلم. واما قول البعض بأنه "اذا نقل البخاري ومسلم كلاهما حديثاً فمعنى ذلك ان هذا الحديث متواتر ومتفق عليه وصحيح" فهو قول كاذب. لنقلهما المتناقضات المتكاذبات مثل الذي ذكرناه في مخالفة السلطان ومخالفة جماعة المسلمين حيث كانا كذبان ومع ذلك نقلهما البخاري ومسلم كلاهما.

هُمُ الْكَافِرُونَ).

والجدير بالذكر ان أبا بكر منع سهم ذوي القربى من الخمس[1]، ولم يعط فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة، خمس خيبر. وهذا يعني انه لم يحكم بما انزل الله ـ سورة الانفال، الآية 41 **(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّه خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّه)** ويمكن الاطلاع على مزيد من المعلومات في هذا المجال عند الرجوع الى غزوة خيبر، وابواب الخمس.

وايضاً بعث أبو بكر خالد بن الوليد الى الصحابي العادل مالك ابن نويرة. وعندما دخل خالد بن الوليد على مالك، استسلم مالك مباشرة وقال سأعطيك الزكاة لتأخذها لأبي بكر، وقبل منه خالد ذلك. ولكن كانت لمالك امرأة جميلة ولما رآها خالد عمد الى قتل مالك وزنا بامرأته مباشرة. وقد اشتكى[2] بعض من كان معه أبي بكر فعل خالد وطالبوه باقامة حد زنا المحصنة عليه، والاقتصاص لدم مالك منه. ولكن أبا بكر (الذي كان يحب خالد كثيراً) عطل حد الزنا عنه، ولم يقده به.

---

1. ***سنن ابي داوود***، باب بيان مواضع الخمس؛ ***مسند احمد***، ج 4 ص 84.
2. ***تاريخ الطبري***، حوادث سنة 11 للهجرة، قال ابن الاثير وأبو الفداء والزبيدي ان خالد رأى امرأة مالك جميلة، وقال مالك لامرأته: لأقتُلُ من أجلك.

ولكن في موضع آخر نلاحظ ان أبا بكر احرق مسلماً اسمه "فجاءة" في مقبرة البقيع لمجرّد انه اثار غضبه، مع العلم ان الحرق لم يكن هو الحد الشرعي له[1]. فحكم يقيناً بغير ما انزل الله.

ولا بد من الاشارة الى ان عمر بن الخطاب أرسل المغيرة بن شعبة (وكان من المقربين إليه) والياً على أحد المدن، فزنا المغيرة هناك بامرأة عاهرة اسمها "ام جميل". وجاء اربعة من أهالي تلك المدينة الى عمر

---

1. أمر أبو بكر بنار فالقي فيها شخصاً مقمّطاً (أي موثوق اليدين والرجلين) في مقبرة البقيع وكان اسمه اياس ولقبه "الفجاءة"، وكان يقطع الطريق ويخيف الناس ويسلب اموالهم. وحكم هذا الشخص في القرآن هو حكم المحارب ويجب ان يُنفى، أو يُشنق أو يُقتل أو تُقطع يده ورجله. ومن الطبيعي ان الحرق خلاف حكم القرآن. وقد احرق أبو بكر هذا الشخص.
ذكر هذه الحادثة الطبري في حوادث السنة الحادية عشرة قبل الحديث عن بني تميم. وذكرها أيضاً ابن كثير في تاريخه، بينما نصّت الآية 33 من سورة المائدة على ما يلي:
(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ).
وكذلك ورد في الآية 44 من هذه السورة نفسها، ما يلي:
(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ).
(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ).
(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ).
وقد عفا أبو بكر عن خالد بن الوليد الذي قتل مالكاً وزنا بزوجته لأن خالد كان صديقاً لابي بكر، وعطل حكم الله فيه.

ليشهدوا عنده على زنا المغيرة، وقد شهد ثلاثة منهم بما رأوا.

فشق على عمر حين شهد هؤلاء الثلاثة.

وكما ورد في كتاب كنز العمال فانه لمّا شهد هؤلاء الثلاثة وهم أبو بكرة (مولى رسول الله) ونافع وشبل بزنا المغيرة بن شعبة (والي عمر)، شق على عمر ذلك.

وقال أبو الفرج الاصفهاني في هذا المجال انه لما شهد الشاهد الاول عند عمر تغيّر لذلك وجه عمر، ثم جاء الثاني فشهد فانكسر لذلك انكساراً شديداً، ثم جاء الثالث فشهد فكأن الرماد نثر على وجه عمر!!. فلما جاء زياد رفع عمر رأسه إليه وصاح صيحة: ما عندك انت يا سلح العقاب[1]؟!

وقال عبد الكريم بن رشيد ناقل هذا الخبر، ثم ان ابا عثمان النهدي الذي كان حاضراً في ذلك المجلس صاح صيحة تحكي صيحة عمر: لقد كدت ان يُغشى عليَّ لصيحته[2].

---

1. كان زياد بن ابيه غالباً ما يرتدي ثياباً بيضاء، فكان عمر يسمّيه لذلك سلح العقاب، اذا غضب عليه تشبيهاً له بذرق العقاب الذي يكون ابيض عادة. ومن الطبيعي ان هذا السلوك يتنافى مع طبيعة الحاكم الاسلامي، ويبعد عن اخلاق خليفة المسلمين بعد السماء عن الارض.

2. ***تاريخ اليعقوبي*** (م 292م)، ج 2، ص 136، طبعة النجف الأشرف، موضوع أيام عمر بن الخطاب؛ ***الأغاني***، أبو الفرج الاصفهاني (م 356م)، ج 14، ص 328، دار الحياة - بيروت. وج 16، ص 98، دار احياء التراث العربي، بيروت، تحت عنوان:

ومن الواضح طبعاً ان صيحة عمر على زياد، وتكبيره من شدّة الفرج بعد امتناع الشاهد الرابع ـ زياد ـ عن الاداء بشهادة صريحة على زنا المغيرة، تمثّل دليلاً قاطعاً على ان انكسار عمر كان بسبب الشهادة الصريحة للشهود الثلاثة على زنا واليه المغيرة بن شعبة!!

وبعد ذلك عزل عمر المغيرة عن ولاية البصرة وولاه على الكوفة. وقد ذكر جماعة من المؤرخين ان تلك الواقعة قد اتّخذت وسيلة للتندّر. فقد ذكر محمد بن سيرين كان الرجل من أهل البصرة يقول لصاحبه اذا بالغ في الدعاء عليه: غضب الله عليك كما غضب امير المؤمنين على المغيرة؛ عزله عن البصرة، واستعمله على الكوفة[1]!... (ومن المعروف ان ولاية الكوفة اعظم وأهم من ولاية البصرة).

ومما يسترعي الانتباه هنا ان صيحة عمر على الشاهد الرابع وغضبه عليه واهانته له من خلال مخاطبته بسلح العقاب، انما أراد ان يعلمه بأنّه

"اخبار المغيرة بن شعبة ونسبه".

1. ***عيون الاخبار***، ابن قتيبة، (م 276م)، المجلد الثاني، ج 1، الجزء الثاني؛ ***انساب الاشراف***، البلاذري، المجلد الاول، ص 491 - 492؛ ***معجم البلدان***، ياقوت الحموي، كلمة "بصرة"؛ ***تاريخ الأسلام***، الذهبي (م 748م)، ج "عهد معاوية بن ابي سفيان" سيرة المغيرة بن شعبة. وقائع سنة 50 للهجرة، حرف الميم.

(أي عمر) غير راض عن ادلائه بشهادة صريحة توجب الرجم، واشارة منه إليه بأن يكتم شهادته. وعندما كتم الشاهد الرابع شهادته ولم يدلِ بشهادة صريحة ضد صاحب عمر، كبّر عمر من شدّة الفرح ولم يعد قادراً على اخفاء سروره.

ثم ان عمر لم يوكل مهمة جلد الشهود الذين لم يستطيعوا اتمام شهادتهم بشهادة رابعة، الى الأشخاص المكلّفين باجراء الحدود، وانّما أوكلها الى المتّهم نفسه وهو المغيرة الزاني (الذي كان قطعاً عارياً مع امرأة أجنبية في لحاف واحد) لكي يجلدهم بكل قوّة انتقاماً لشهادتهم ضده. مع العلم ان عمر لم يجلد المغيرة ولو سوطاً واحداً من باب التعزير رغم ان الرجال الاربعة قد شهدوا كلّهم بانهم رأوه في خلوة عارياً وملاصقاً لأمرأة اجنبية عارية.

لقد كان عمر شديد الوفاء لاصحابه، فعندما سمع بأن ولاته اختلسوا اموالاً طائلة وان هناك اشاعات عظيمة قد انتشرت بشأنهم وان الشعراء قد نظموا اشعاراً في التشهير بتلك الاختلاسات الهائلة، وان الناس قد اوشكوا على الثورة ضد تلك الاوضاع، أمر ببقائهم في مناصبهم ولكن عليهم ان يعيدوا نصف ما اختلسوه الى بيت المال، أما النصف الآخر فقد اعطاه لهم؛ لكي يُسكت الناس من جهة، ويسترضي الولاة من جهة

اخرى[1].

و هذا الموقف معاكس تماماً لموقف علي بن أبي طالب الذي قال ـ عندما أصبح خليفة ـ في أخذ الاموال المختلسة من بيت المال:

"والله لو وجدته قد تزوّج به النساء ومُلِك به الإماء لرددته". كما ان ما سار عليه علي من تقسيم بيت المال بالسويّة[2] مثلما كان يفعل رسول الله،

---

1. ***تاريخ الطبري؛ فتوح البلدان*** للبلاذري؛ ***العقد الفريد***، المجلد الاول؛ ***معجم البلدان***، المجلد الثاني؛ ***تاريخ ابن كثير***، المجلد السابع والثامن؛ ***تاريخ السيوطي؛ السيرة الحلبية؛ الاصابة***، المجلد الثالث وغيره؛ هذا بيت من الشعر نظمه أبو المختار يزيد بن قيس بن يزيد في كتاب بعثه الى عمر بن الخطاب:

فلا تدعن اهل ... يخونون مال الله في
الرساتيق والقرى ... الادم الحمر
وقاسمهم أهلي ... سير ضون ان قا سمتهم
فداؤك انهم ... منك بالشطر

2. كتاب ***الاحكام السلطانية***، باب قسم الفيء والغنيمة: عن عبادة بن الصامت قال: "فقسمه (رسول الله) بين المسلمين على السواء"؛ ***سنن ابي داوود***، باب موضع الخمس: "كان أبو بكر يقسم الخمس نحو قسم رسول الله غير انه لم يكن يعطي قربى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان النبي يعطيهم".
كان رسول الله يقسم الغنائم بين المسلمين بالتساوي ولكن أبا بكر لم يعط سهم ذوي القربى من الخمس ثم ان عمر فعل ذلك، وبالاضافة الى ذلك نقض مبدأ التقسيم بالتساوي الذي كان يسير عليه رسول الله.
البخاري، ابواب غزوة بدر، في تفضيل عمر بعضاً على بعض:
كان عطاء البدريين خمسة آلاف وقال عمر لأفضّلَنَّكم على من بعدهم وذكر أبو عبيد في كتاب ***الاموال***

ادى الى ان يثور عليه طلحة والزبير والكثير من وجوه المهاجرين والانصار الذين اعتادوا على قبض المزيد من الاموال في عهد عمر[1] وعثمان، فخرجوا

انّه ابى عمر بن الخطاب ان يرث احد من الاعاجم احداً من العرب الا ان يكون ولد في العرب - متجاهلاً بذلك خطبة رسول الله يوم الحج الاكبر: "ايها الناس انما المؤمنون اخوة... ليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى". ***سنن ابن ماجة*** في ابواب النكاح، وباب ضرب النساء: عن الاشعث بن قيس قال ضفت عمر ليلة فلما كان في جوف الليل قام الى امرأته يضربها فحجزت بينهما. فلما آوى الى فراشه قال لي: يا اشعث احفظ عني شيئاً، سمعت من رسول الله: "لا يُسأل الرجل فيما ضرب امرأته"، مسند احمد، جلد 1، ص 20.

1. بدّل عمر النهج الذي كان سائداً في تقسيم الفيء بالسوية، وخالف المساواة بين المسلمين، وكان يعطي العجم في الفيء بقدر ما يعطي الغلمان؛ أي انه كان يحتقر العجم.
نقل البخاري في باب معركة بدر في تفضيل البدريين، وباب هجرة النبي وفي مواضع اخرى أيضاً، ونقل آخرون أيضاً مثل ابي عبيد بن سلام في كتاب ***الاموال*** في ابواب الخمس والفيء، وابن شبّة في ***تاريخ المدينة***، وابن سعد في كتاب ***الطبقات الكبرى***، وغيرهم ان عمر بدّل سنّة رسول الله في تقسيم الفيء بالسوية، وكان يعطي نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصة بنته وبنت ابي بكر؛ أي حفصة وعائشة اكثر مما يعطي غيرهم من بيت المال، وأباح لصديقه معاوية حريّة التصرّف ببيت المال. وكان يعتبر المسلمين من غير العرب ادنى مكانة من العرب ويعتبر العرب افضل من غيرهم. وكان يعطي الغلمان من بيت المال اقل مما يعطي اسيادهم، ويقول بأنّ العجم لا يرث من العرب، كما ورد ذلك عن عمر في الجزء الثاني من الموطأ في صفحة 12. وقد اخرج عمر غير العرب من المدينة في آخر حياته، ولكنه ابقى غلام المغيرة في المدينة رغم انه كان أعجمياً وسبب ذلك ان المغيرة كان من اصحابه. وقد نقل ابن شبّة في

على علي واتّبعوا عائشة التي كانت مبغضة لعلي وهجموا على البصرة ونهبوا ما كان في بيت المال وقتلوا الكثير من الابرياء. أي انهم خرجوا على الإمام المفترض الطاعة. وقد قال علي بن أبي طالب عن اصحاب الجمل الذين هاجموا البصرة وقتلوا كثيراً من الأبرياء: "فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين الا رجلاً واحداً متعمّدين لقتله بلا جرم لحلَّ لي قتل ذلك الجيش كلّه، اذ حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا يد، دع ما انهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدّة التي دخلوا بها عليهم".

ـ وأما ما ورد حول عائشة فان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان قد أشار الى مسكنها فقال: هاهنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان[1].

ويمكن القول بايجاز بأنه عندما يُقسم الصحابة في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى عادل وفاسق ومنافق وطالب دنيا، وكان بعضهم في عهد رسول الله قد اقيم عليه حد الزنا، وحد

كتاب ***تاريخ المدينة*** ان عمر أمر بأن لا يدخل المدينة أحد من العلوج يعني العجم. وكان عمر يقول بأنَّ الرجل مهما ضرب امرأته فانه لا يُسأل فيما ضرب امرأته. ورد هذا القول في الجزء الثاني من مسند احمد، الصفحة 20، نقلاً عن الاشعث بن قيس.

1. البخاري، ج 4، ص 46، باب ما جاء في بيوت ازواج النبي صلوات الله عليه. وقد نقل البخاري هذا الحديث متواتراً.

السرقة، وحد شرب الخمر، وحد الزنا بالمحصنة، وحد المحارب. وبعد عهد رسول الله اقيمت الحدود على آخرين منهم، مثل قدامة بن مظعون وهو من إهل بدر، والوليد بن عقبة اللذين أقيم عليهما حد شرب الخمر. وكان بعضهم مثل الصحابي سمرة بن جندب[1]، يبيع الخمر، وبعضهم قتلة اطفال كما هو الحال بالنسبة الى معاوية[2] وبسر

---

1. المصدر السابق.
2. نقل مسلم في كتابه، في كتاب الامارة، ان معاوية كان يأمر الناس بأكل المال الحرام وسفك الدم الحرام. وكان سمرة بن جندب - بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) - يبيع الخمر. وقد ذكر ذلك مسلم في كتاب البيوع في ابواب المساقاة، في باب تحريم الخمر والميتة والخنزير والأصنام، عن عمرو بن دينار قال: اخبرني طاووس انه سمع ابن عباس يقول: بلغ عمر ان سمرة باع خمراً، فقال: قاتل الله سمرة، ألم يعلم ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم، فجملوها وباعوها. ومن الجدير بالذكر ان سمرة من رواة البخاري في كتاب الحيض، والصلاة، والجنائز، والبيوع، والشهادات، وبدء الخلق، والتفسير، والأطعمة، والأدب، والتعبير. وقد نقل البخاري هذا الحديث الذي قال فيه ان سمرة كان يبيع الخمر، وان عمر قال: قاتله الله... ولكن بما ان سمرة كان من رواة كتابه فانه لم يذكر اسمه صراحة وانما كنّى عنه بالقول: فلان كان يبيع الخمر لكي لا يعلم القارىء بان سمرة الذي هو من رواة كتاب البخاري كان بائع خمر. وهذا يعني ان البخاري مخادع لأنه كنّى عن اسم سمرة بفلان لذلك.
نقل البخاري هذا الحديث في كتابه في ابواب البيع، في باب حرمة بيع الخمر ودهن الميتة (ج 3، ص 40).
نقل المدائني في كتاب ***الاحداث*** ان معاوية منع

نقل الأحاديث النبوية في فضائل علي بن أبي طالب والعترة، وشجع الناس على نقل أحاديث في فضائل عثمان الاموي وابي بكر وعمر. وانه لابد من عدم نقل أي حديث قاله رسول الله في فضائل علي بن أبي طالب، والاتيان بدلاً منه بأحاديث توضع في فضائل ابي بكر وعمر وعثمان وتبث بين الناس، بل ولابد من اختلاق مطاعن ومعايب وتهم ونسبتها الى علي بن أبي طالب، وتوجّه الناس الى وضع الأحاديث من أجل نيل الصلات. وكان معاوية يعطي مزيداً من الاموال للصحابة وحفاظ القرآن وخاصة ظاهري الصلاح منهم الذين يقدمون على هذا العمل؛ وذلك لأنَّ الناس البسطاء المتديّنين يقعون تحت تأثير هذا النوع من الرواة اكثر من غيرهم، ويبادرون الى نقل أحاديثهم الى الآخرين. ومن الطبيعي ان الآخرين عندما يسمعون هذا النوع من الأحاديث الموضوعة من لسان اولئك المتديّنين البسطاء يظنّونها أحاديث صحيحة، ويتقبلونها عن اخلاص.
وعدا المدائني، ذكر أبو جعفر الاسكافي وآخرون هذه الامور وقالوا بأنَّ معاوية كان يضع الأحاديث، وكان من جملة الصحابة الوضّاعين سمرة بن جندب وأبو هريرة وعكرمة وغيرهم. ونقل الطبري ان سمرة بن جندب قال بعد عزله عن ولاية البصرة: والله لو اني اطعت الله كما اطعت معاوية لما عذّبني أبداً.
وذكر مسلم في اول كتابه: "ان اكثر الأحاديث الكاذبة كانت من الصالحين: لم تر اهل الخير في شيء اكذب منه في الحديث".
ونقل البخاري في كتاب العلم الذي يقع في الجزء الأوّل من كتابه، في باب اثم من كذب على النبي (صلى الله عليه وسلم) ان عبد الله بن الزبير قال لأبيه "الزبير بن العوام صحابي رسول الله": اني لا أسمعك تحدّث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كما يحدّث فلان وفلان؟ قال: (ما اني) افارقه ولكن سمعته يقول: من كذب عليَّ فليتبوّء مقعده من النار.
والظاهر ان مراد الزبير من فلان وفلان الذين يحدّثون كثيراً عن رسول الله احدهما ابوهريرة الذي كان ينسب الكثير من الأحاديث الى رسول الله، وينقل احياناً أحاديث متعارضة، والآخر اما انس بن مالك او عبد الله بن عمر او عائشة. أي ان هؤلاء كانوا

بن ارطأة، وقد خرجوا على إمام مفترض الطاعة مثل علي بن أبي طالب والحسن بن علي، وسيطروا على الحكم. وكذلك الحال بالنسبة الى بعض نساء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مثل عائشة التي كانت في عهد رسول الله تفشي اسرار داره الى اعدائه. ولهذا السبب نزلت فيهن آيات من سورة التحريم، وصرحت بزيغ قلوبهن: (**فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**). وشبّههن الله تعالى بامرأتي نوح ولوط اللتين لم يغن عنهما ذلك (كونهن زوجتي نبيين) من الله شيئاً ولم يمنع دخولهما النار.

وبعد رسول الله عملن خلافاً لأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي أمرهن بأمر الله تعالى بعدم الخروج من بيوتهن: (**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**) فخرجت عائشة من بيتها وهجمت ـ مع من خرج معها ـ على اهل البصرة وقتلوا عدداً من الناس الأبرياء، وخرجوا على امام زمانهم علي بن أبي طالب ومهّدوا بذلك السبيل لظهور الخوارج وعصيان معاوية الجائر. وكان سبب كل ذلك بغض علي. رغم ان عائشة هي التي كانت أمرت بقتل عثمان، حيث قالت انه قد حكم بغير ما انزل الله، (ومن يحكم بغير ما انزل الله) فهو طاغوت وطاعته حرام، وقتله واجب. ووصفته بالطاغية وقالت " هذا الطاغية". واصدرت أمراً بقتله

ينسبون أحاديث كاذبة الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

حين قالت: «اقتلوا نعثلاً». وكان نعثل اسم رجل يهودي طويل اللحية. ولم يكن لعائشة أي عذر في قتل عدد من الابرياء من أهالي البصرة عند الهجوم على تلك المدينة.

«آخر وصايا رسول الله (ص) للصحابة»

القرآن ووصايا رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [1].

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "لتفترقنَّ أمَّتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار" [2].

وقال الله العزيز في كتابه الكريم:

(وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [3].

وقال أيضاً في القرآن المجيد:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ) [4].

وقال أيضاً: **(لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)** [5].

---

1. سورة البقرة، الآية 213.
2. *سنن ابن ماجة*، باب افتراق الامم.
3. سورة آل عمران، الآية 105.
4. سورة النساء، الآية 59.
5. سورة البقرة، الآية 124.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا".

وصايا رسول الله:

قدنا بانه على الرغم من وجود اكثرية من الصحابة تميل الى الدنيا وكانت من بينهم جماعة تحب الرئاسة، وجماعة اخرى حاقدة، وفئة اخرى منافقة ومثيرة للفتن.

وفي ظل وجود مثل هذه المخاطر التي كانت بمثابة نار تحت الرماد لعهد ما بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان من الطبيعي أن يقع الصحابة وعموم المسلمين في الفتنة والفرقة والضلال لولا أن يكون الله والرسول (صلى الله عليه وسلم) قد وضعا علامة ومناراً يهتدي به الصحابة من بعد رسول الله ويستدلّوا به على ما يقيهم عثرات الطريق، والا فليس للصحابة من ذنب بل هم معذورون فيما لو وقعوا في الفتنة والاختلاف والضلال، وتكون الحجّة في ذلك على الله سبحانه، وعلى رسوله.

ويمكن ايجاز ذلك بالقول بأنه لو لم يجعل الله ورسوله للصحابة مناراً يستدلون به على واضح الطريق ويميّزون به بين الحق والباطل ويهتدون به من الوقوع في الضلال، فكان لا مناص لهم من الوقوع في مهاوي الفتنة والفرقة والضلال، ولا حجة عليهم في ذلك وانما الحجّة على الله وعلى الرسول.

ـ ولكن ان كان الله ورسوله قد وضعا العلامة والمنار للصحابة وللمسلمين بحيث يستطيعون عند رؤيته التمييز بين الحق والباطل، والاهتداء به من أجل اجتناب الوقوع في متاهات الفرقة والضلال، فلا حجة على الله ورسوله في ما يقع بعد الرسول من الفرقة والضلال، وانّما الحجّة في ذلك على اولئك الصحابة الذين تجاهلوا ذلك المنار وتغاضوا عنه عن علم وعمد، يدفعهم الى ذلك دافع حب الرئاسة، فانحرفوا على اثر ذلك عن طريق النجاة. وكانت النتيجة انهم كانوا سبباً في تفرّق الأمّة، ويبقى اثم فرقة وضلال الأمة الى يوم القيامة في اعناق اولئك الذين كانوا يتحركون بدوافع من الاحقاد وحب الرئاسة.

وهناك سؤال يراود الاذهان وهو: هل ان الحجّة في ما جرى من ضلال وفرقة الصحابة، على الله والرسول؟ أم ان الحجة في ذلك تقع على طلاّب الرئاسة من الصحابة؟ والجواب عن هذا السؤال واضح جداً عقلاً وهو ان الله ورسوله قد بيّنا للناس كل ما هو كفيل بهدايتهم الى التقوى وتوجيههم الى سبيل النجاة والوحدة، ولا حجة في ذلك على الله ورسوله. وليس ادلُّ على ذلك من الآيات القرآنية والاحاديث المتواترة على هذا الأمر العقلي الذي تقتضيه العدالة والرحمة الالهية الواسعة، حيث يقول تعالى في قرآنه الحكيم:

(وَمَا كَانُ اللّه لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ)[1].

أي انهم إن ضلّوا فلا حجة علينا في ذلك وانما يعزى سبب ذلك الى الاهواء والنزوات التي تأتي عن علم وعمد لا عن جهل. فهذه الفئة من الصحابة كانوا من قبل ضالّين فهداهم الله وبيّن لهم كل سبل التقوى واجتناب الضلال.

وكذلك ثبت في التاريخ بالتواتر بأن أهل الشام لم يكونوا يعتبرون علياً مؤمناً وذلك بفعل تأثير الاعلام الذي كان يمارسه معاوية، في حين كان معاوية على معرفة تامة بمدى ايمان علي حتى قبل ان يسلم وحينما كان في صف المشركين في معركة بدر وأحد والاحزاب، ولم ينس تضحيات وإقدام علي بن أبي طالب في الدفاع عن الاسلام وعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، الا ان حبّه للرئاسة ورغبته في الإنتقام لاقاربه الذين قُتِلوا في بدر وأحد بيد علي، دفعاه الى شنّ تلك الحملة الاعلامية المسمومة ضد علي[2].

وقال الله أيضاً في قرآنه الكريم:

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّه جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا)[3].

---

1. سورة التوبة، الآية 115.
2. **(وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ)** سورة البقرة، الآية 213.
3. سورة آل عمران، الآية 103.

(وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) [1].

ومن غير الممكن ان يكون الله قد اوجب الوحدة على المسلمين، وحرّم عليهم الفرقة، الا وقد بيّن لهم سبيل الحفاظ على الوحدة واجتناب الفرقة. وقد أمر الله عز وجل في الآية 59 من سورة النساء، بعدما أمر بطاعة الله والرسول واولي الأمر: **(أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ)**؛ لأنه من الممكن حصول افتراق ونزاع بين الصحابة في ما يخص تفسير ومصداق اولي الأمر، لذلك فقد بيّن لهم في اعقاب ذلك مباشرة سبيل ازالة الاختلاف، حيث قال مباشرة بعد الامر بطاعة الله والرسول واولي الأمر:

(فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) [2].

فهو تعالى يقول: إنَّ اختلفتم في شيء فارجعوا فيه الى الله والرسول، ولم يأمر بالرجوع الى الله والرسول واولي الأمر، لما قد يقع بينهم من اختلاف في تفسير وتعيين مصداق اولي الأمر. ولذلك فقد بيّن بأنَّ السبيل الى ازالة الاختلاف في معرفة وتعيين اولي الامر هو الرجوع الى الله والى الرسول، اذ

1. سورة آل عمران، الآية 105.
2. سورة النساء، الآية 59.

انه معنى ومصداق ذلك كان معروفاً وواضحاً لدى جميع الصحابة ولا اختلاف بينهم في معرفة الله والرسول.

إذاً يُستفاد من هذه الآية ان الله تعالى كشف في هذه الآية للصحابة ان السبيل الى رفع النزاع يكمن في الرجوع الى الله والرسول، ولو لم يُحل الاختلاف من خلال الرجوع الى الله والى الرسول لما كان الله عز وجل قد جعل ذلك الرجوع كفيلاً بازالة ما بينهم من الاختلاف.

اذاً يتّضح بأن الله ورسوله قد بيّنا للصحابة في القرآن والسنّة الواقعية السبيل الصحيح لمعرفة اولي الأمر، وبالنتيجة بيّنوا لهم السبيل الكفيلة بتبديد الاختلاف (حيث يتسنّى لهم حينذاك الوصول الى السنّة الواقعية بسهولة). ولكن من غلبهم حب الرئاسة من الصحابة، والذين في قلوبهم مرض حب الدنيا والحقد على المضحّين من أصحاب رسول الله، وكذلك المنافقين المجهولين منهم، خالفوا عن علم وعمد ـ بدافع من المصالح الشخصية ـ المنار والعلم الذي نصبه لهم الله ورسوله. مثلما حصل في معركة احد، حيث ساقت المطامع الشخصية والرغبة في الحصول على الغنائم تلك الجماعة التي اوكل اليها رسول الله مهمة حراسة الجبل واوصاهم بعدم مغادرة اماكنهم حتّى وان شاهدوا المسلمين انتصروا، فتركوا أحد عن علم وعمد طمعاً في

الحصول على المغانم، وكانت النتيجة حصول فراغ في عقبة احد فاستغلها العدو للالتفات على المسلمين وانزل بهم هناك هزيمة فادحة. ولذلك قال الباري تعالى في سورة آل عمران في وصف اولئك الصحابة: (**وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَآ أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْاٰخِرَةَ**)[1].

وتُطلق كلمة العاصي على من يرتكب ذنباً عن علم وعمد، لا عن جهل وخطأ. واولئك الذين غادروا جبل أحد رغبة في الحصول على مزيد من الغنائم، هم الذين حوّلوا نصر المسلمين الى هزيمة عندما خالفوا أمر الرسول الذي أوصاهم "بملازمة مواقعهم وعدم التخلّي عنها مالم يأذن لهم حتى وان رأوا ان المسلمين قد انتصروا وان المعركة قد انتهت".

وهكذا الحال بالنسبة الى اكثرية الصحابة الذين تركوا رسول الله في ساحة المعركة بين الاعداء وانهزموا حفاظاً على أنفسهم، فارتكبوا بذلك ذنباً كبيراً وهو الفرار من الجهاد وترك الرسول في موقف خطير يهدد حياته. ولهذا السبب «ونظراً الى عدم وجود ضمانة على عدم اقتراف الصحابة لأي ذنب، اذا فعمل اكثرية الصحابة لا يُعد حجّة". وبالنتيجة فان اتباعهم لا يُنجي من الضلال، وهم ليسوا اسوة، وعمل

1. سورة آل عمران، الآية 152.

الصحابة لا يُعتبر دليلاً على الصحّة ولا على الجواز، وانما قول الصحابة العدول في نقل سنّة رسول الله حجّة.

نعود الى صلب الموضوع لنبيّن بأنَّ الله تعالى قال في كتابه الكريم بانني قد بيّنت لأولئك الذي انجيتهم من الضلال؛ أي الصحابة، كل سبل التقوى، ومنها سبيل الحفاظ على الوحدة في المسار الحق. إذاً فتفرّقهم و ضلال بعضهم عن سبيل الحق لا يمكن ان يأتي عن جهل، وانما يأتي لدوافع ومآرب شخصية.

وأما بالنسبة الى التابعين فمن المحتمل ان تكون بعض اعمالهم عن جهل؛ وذلك لأن الذين بيّن لهم الله سبل التقوى والوحدة على طريق الحق هم الصحابة، وأما التابعين كأهل الشام مثلاً فانه من المحتمل ان يكون معاوية وانصاره قد اضلوهم منذ البداية بأكاذيبهم، وسدّوا عليهم المنافذ التي تتيح وصول السنّة النبوية الحقيقية الى اسماعهم مثل الاحاديث النبوية الواردة في فضائل علي بن أبي طالب وما شابه ذلك. وهكذا الحال بالنسبة الى التابعين في سائر البلاد الاخرى.

أقول ان الصحابة وحدهم (وليس التابعين) هم الذين اتيحت لهم منافذ الإطلال على ذلك النبع الزلال، وهم الذين سمعوا قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين قال: اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ما ان

تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً.
هناك طبعاً من عكّر صفو هذا النبع الصافي بالأكاذيب وبتضليل التابعين، وهم طلاّب الرئاسة والمنافقون المجهولون من الصحابة الذين خرجوا عن طوع العترة الهادية، وتحوّلوا بالنتيجة الى قادة للفرقة والضلال، من امثال عكرمة ومعاوية وغيرهما، من مبغضي علي بن أبي طالب الذين وضعوا الأحاديث الكاذبة ونسبوها الى رسول الله، وخلطوا الحقائق على التابعين وأضلوهم بالاخبار المتعارضة والمتضاربة، فزيّفوا حديث الثقلين واستبدلوا فيه كلمة "عترتي" بكلمة "سنّتي" لكي لا يتسنّى لأتباعهم معرفة وتمييز الاحاديث الصحيحة من الأحاديث الموضوعة (اي تلك الاحاديث التي تستهويهم)، وهكذا يبقون حيارى تائهين بين الأخبار المتعارضة. في حين ان الناس لو فكّروا قليلاً لوجدوا ان هذا الحديث: "اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلّوا ابداً؛ كتاب الله وسنّتي" الذي وردت فيه كلمة "سنّتي" بدل "عترتي"، مكذوب على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، على خلاف الحديث المتواتر الذي وردت فيه عبارة كتاب الله وعترتي (الذي هو حديث متواتر وصحيح. وقد نقله فى تاريخه الكبير البخاري ومسلم فى كتابه المعروف واصحاب السنن والمسانيد وغيرهم متواتراً).

أما الحديث الذي وردت فيه عبارة "كتاب الله وسنّتي"، فضعيف وغير متواتر نقلاً وغير مقبول عقلاً، وذلك لأن السنّة بعد رسول الله مختلف فيها ولا يمكن ان تؤدّي الى حل الاختلاف، اضافة الى ذلك لم ينقل حديث "كتاب الله وسنتي" مسلم والبخاري والسنن والمسانيد وليس من سند صحيح له، ولم يرد الا في موطأ مالك من غير سند. أضف الى كل ذلك ان ابن هشام نقل في سيرته، وابن حجر في صواعقه هذا الحديث الصحيح المتواتر "كتاب الله وعترتي"، الى جانب الحديث الضعيف وغير المسند كتاب الله وسنّتي. خاصّة وان ابن هشام نقل حديث "كتاب الله وسنّتي" عن ابن اسحاق من غير سند كامل، في حين ان كتاب السيرة لابن اسحق لا يوجد فيه مثل هذا الحديث الذي فيه "كتاب الله وسنتي".

وفي القرنين الخامس والسادس وما تلاهما رتّبوا لحديث كتاب الله و سنّتي اسناداً. كما فعل الخطيب البغدادي الذي نقل هذا الحديث عن طريق سيف بن عمر وهو معروف بالكذب لدى اصحاب كتب الجرح والتعديل، يزعم انه نقل هذا الحديث عن اسحاق الاسدي، عن صباح بن محمد، عن ابن حازم، عن أبي سعيد الخدري (وتكشف كتب التاريخ ان شأن أبي سعيد الخدري كشأن عبد الله بن عمر، لم يبايع علياً بسبب بغضه له). وأبو سعيد الخدري نفسه هو ناقل الحديث الصحيح والمتواتر "كتاب الله وعترتي".

وبالاضافة الى أبي سعيد الخدري فقد نقل هذا الحديث وبهذا النص أيضاً "كتاب الله وعترتي" زيد بن أرقم في كتاب مسلم وفي السنن والمسانيد وغيرها من عدّة طرق.

وقد نقل حديث "كتاب الله وعترتي" جابر بن عبد الله، وخزيمة بن ثابت، وسهل بن سعد، وحذيفة بن أُسَيْد، وزيد بن ثابت، وضميرة الأسدي، وعبد الله بن عباس، وعلي بن أبي طالب، وأبو رافع، وأبو الهيثم بن التيهان، وأبو ذر الغفاري، وأبو هريرة، وام سَلَمة، وام هانىء بنت أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عمر، وعدد كبير آخر من الصحابة. ونقل عدد لا يُحصى من تابعي القرن الاول حديث كتاب الله وعترتي عن جماعة من الصحابة. وكذلك الحال في القرنين الثاني والثالث وما بعدها إذ لا يبقى هناك ثمة شك أو ترديد في صحّة حديث "كتاب الله وعترتي".

واما خبر الواحد المجهول "كتاب الله وسنّتي" الذي نقله فقط مالك في الموطأ من غير سند، وابن هشام والصواعق عن اتباع السلاطين، فكان من غير سند صحيح. واما في القرن الخامس وما بعده فقد انفرد بنقله الحاكم النيسابوري فقط، عن انصار معاوية الباغي، من امثال عكرمة وأبي هريرة (الذي كان يلعن علياً في مدّة ولايته على المدينة) وهما من اعداء علي بن أبي طالب ومن اعداء العترة الطاهرة،

حيث كان وضع الأحاديث ضد علي والعترة الهادية من الاساليب التي انتهجها معاوية وجلاوزته.

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في علي "ياعلي لا يبغضك الا منافق". يعني ولا يوجد بين اعداء علي، مؤمن واحد. وانما كلهم منافقون من غير استثناء. وهذا القول شهادة من رسول الله على ان جميع اعداء علي بلا استثناء، منافقون في حين اننا نعلم بأنه لم يكن احد من الصحابة اشد بغضاً لعلي من معاوية واعوانه من امثال عكرمة واضرابه. وهم كلهم ـ بشهادة رسول الله ـ منافقون. وقد شهد الله على المنافقين ـ في أول سورة المنافقون ـ بأنهم كلهم كاذبون:

(وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ). (صدق الله العظيم)

ـ اما بالنسبة الى كذب سيف بن عمر الذي نقل عنه الخطيب البغدادي في كتابه الفقيه المتفقه حديث "كتاب الله وسنّتي"، فكل علماء الجرح والتعديل يعتبرون سيف بن عمر كذاباً. نذكر منهم على سبيل المثال: ابن حاتم (المتوفى عام 327) الذي ترك حديثه، ويحيى بن معين (المتوفى عام 233) اعتبره ضعيف الحديث وانّ فلساً خير منه، وأبا داوود اعتبره كذاباً. واعتبره النسائي (المتوفى عام 303) ضعيفاً. ونقل كل من ابن عون (المتوفى

عام 365)، والحاكم (المتوفى عام 405)، والخطيب البغدادي نفسه، وابن عبد البر (المتوفى عام 463) عن ابن حبّان قوله: "سيف متروك الحديث و...".

(ـ سيف بن عمر هذا هو ذلك الكذّاب الذي اختلق قصّة تاسيس المذهب الشيعي على يد عبد الله بن سبأ. ونقل الطبري هذه القصّة المختلفة المكذوبة عن سيف، وأثار بذلك الشكوك حول صحّة واعتبار سائر اقواله. في حين ان عمر نفسه نقل قضية افتراق علي وفاطمة وشيعة علي عن عمر بن الخطاب وأبي بكر، وجاء ذلك في كتاب البخاري في ابواب الحدود، في باب حد الجبلى. أي أن افتراق اتباع علي عن اتباع السلاطين حصل بعد رحلة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مباشرة، وليس كما زعم سيف بن عمر).

ـ وعلى اية حال فانَّ السنّة التي ضاعت في خضم الاخبار المتضاربة والمتعارضة،

وصارت موضع اختلاف ومصدراً للاختلاف ولم يعد يُعرف صحيحها من كذبها "وتلاشت السنّة الحقيقية بين الأحاديث المتعارضة". فكيف يمكن للشيء الذي اضحى ـ من بعد رسول الله ـ مجهولاً ان يستنقذ الامة من هذا الاختلاف، ومن الضياع الناتج عن هذا الاختلاف.

فان كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد عيّن ما يزيل الاختلاف والضلال من

بعده، فمن المحال ان لا يزول ذلك الاختلاف عند الرجوع الى ما عيّنه الرسول، والذي عيّنه الرسول هم العترة مثل علي بن أبي طالب وبقية الأئمة من العترة الهادية. حيث يمكن من بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) معرفة السنّة الصحيحة لرسول الله من بين الاخبار المتعارضة من خلال الرجوع الى العترة الهادية، ويمكن الفرز عند ذاك بين السنّة الواقعية والاخبار الزائفة الكاذبة. وذلك لأن علي بن أبي طالب الذي هو من العترة كامل الايمان، ولديه علم تام بكل القرآن والسنّة وهو مبيّن للسنّة الواقعية. وعندما يسأل الناس من العترة الهادية تتبيّن لهم السنّة الواقعية.

ولكنهم اذا رجعوا بعد رسول الله الى الاحاديث المختلف فيها بين ابناء الأمّة، فمن المحال ازالة ذلك الاختلاف. "والسنّة المختلف فيها" بعد رسول الله لا يمكن ان تكون بحد ذاتها مزيلة للاختلاف. اذ ان الاختلاف بشأن الاحاديث كان مدعاة لاختلاف المذاهب والفرق. أي ان الاحاديث المتضاربة والمتكاذبة والمختلف فيها كانت بحد ذاتها مصدراً للاختلاف على الدوام وليس مصدراً لحل وازالة الاختلاف.

اذاً فقد اتضح بأن هناك فارق بين هذين الخبرين المتعارضين:

وأحدهما حديث كتاب "حديث الله وعترتي" المتواتر، وان مهمّة ازالة

الاختلاف تتكفّل بها ـ من بعد القرآن ـ العترة الهادية، أي علي بن أبي طالب، (والأئمة من العترة) الذين هم عالمون بالسُنّة الواقعية كلها.

والآخر حديث ضعيف وهو الذي وردت فيه عبارة "سنّتي" بدل "عترتي"، واوكل فيه رفع الاختلاف في السُنّة الى "نفس السنة المختلف فيها". ومن المحال ان تكون السنّة المختلف فيها قادرة على حل ما تختلف فيه الأُمّة.

اذاً تبيّن بأن "الذي إن تمسكت به الامة فانّها ستدرك السنّة الواقعية"، ولا تقع في الضلال بعد رسول الله، اضافة الى القرآن هي "العترة". والحديث المعارض له هو "الذي جعل السنة المختلف فيها بعد رسول الله، هي سبيل لاجتناب الوقوع في الضلال". ومن البديهي ان هذا الحديث موضوع وهو من اختلاق المنافقين المجهولين (اعداء علي واعداء عترة رسول الله).

ان اتباع العترة وأهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كعلي بن أبي طالب، والحسن بن علي، والحسين بن علي، وعلي بن الحسين، والامام الباقر، والامام الصادق، من ذرية فاطمة سيّدة نساء اهل الجنّة، هم الاتباع الحقيقيون لسنّة رسول الله، وهم اهل السنّة الواقعيّون، وهم اتباع القرآن والسنّة الواقعية. في حين ان "قادة ما سوى العترة"، وفقاً لمفهوم حديث الثقلين "كتاب الله وعترتي ما ان

تمسكتم بهما لن تضلوا"، ماهم الا قادة ضلال.

لقد ازاحوا عترة رسول الله الهادية عن علم وعمد. وادّى انحراف القيادة السياسية الى زرع الاختلاف وألقوا مستقبل الامّة في احضان بني اميّة، وقادوا الامّة الى التناحر والقتال. واما على الصعيد العلمي فبما انّهم كانوا جهلة وغير قادرين على قيادة الامة علمياً فقد وضعوا اول واعظم فاصل وتفرقة وهو فصل القيادة العلمية عن القيادة السياسية، وهو ما حصل بعد رسول الله مباشرة حين ابعدوا علياً عن القيادة السياسية. وبما ان القابضون على السلطة السياسية لم يكونوا يريدون للناس أن يتّبعوا العترة الهادية (العالمة بالقرآن والسنّة)[1] اتباعاً تاماً حتى في القضايا العلمية، وكانوا هم عاجزين عن الاجابة عنها. ولذلك كانوا يحيلون الناس الى افراد مختلفين وكثيرين. ومن ذلك انها كانوا يحيلون من لديه سؤال حول تفسير القرآن الى شخص، ويحيلون من لديه سؤال فقهي الى شخص آخر[2]، وما شابه ذلك. وكان اكثر

---

1. وذلك لأن احدى هذه المسائل العلمية هي اختصاص الشؤون القيادية بالعترة الهادية سواء في السياسة أم في القضايا الاخرى لكي لا يقع الناس في الضلال، وذلك يعني في ما يعنيه عدم مشروعية خلافة غير العترة.
2. خطب عمر بن الخطاب في الجابية حول ارجاع

ما يثير حنقهم الرجوع الى العترة الهادية.

وبالنتيجة فقد ادّى تخبّط الناس في القضايا الفقهية والعقائدية والقرآنية وما شابه ذلك، الى ظهور الاختلاف في المذاهب العقائدية والفقهية. وفضلاً عن الفصل بين القيادة السياسية والقيادة العلمية، فقد تم تجزئة وتقسيم القيادة العلمية أيضاً (حيث ظهر هناك قادة عقائديون، وقادة فقهيون، وقادة...). ثم ان القيادة السياسية نفسها تجزّأت (واتخذ كل شعب من الشعوب الاسلامية لنفسه قيادة، وانهمكوا في التناحر والحروب في ما بينهم بدلاً من محاربة الكُفّار). والضعف الذي يعيشه العالم الاسلامي يُعزى سببه الى انعدام القيادة الواحدة بينهم.

ولو ان "العترة الهادية العالمة بكل القرآن والسنّة"، كعلي بن أبي طالب اخذت بزمام القيادة السياسية،

الناس الى غير العترة الهادية فقال: من اراد ان يسأل عن القرآن فليأت ابي بن كعب، ومن اراد ان يسأل عن الحلال والحرام فليأت معاذ بن جبل، ومن اراد ان يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن اراد ان يسأل المال فليأتني فأنّي له خازن.

الاموال، أبو عبيد؛ ***سنن البيهقي***، المجلد السادس، ص 210؛ ***مستدرك الحاكم***، المجلد الثالث، ص 271؛ ***العقد الفريد***، المجلد الثاني، ص 132؛ ***معجم البلدان***، المجلد الثالث، ص 33؛ سيرة عمر لابن الجوزي، ص 87.

لكانت القيادة العلمية والسياسية، موحّدة في شخص واحد، مثلما كان الحال في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم). ولما كان يحصل في ظل حكمه أي انحراف عن الحق او أي افتراق في صفوف الامة. وبالنتيجة فان الذين شتتوا شمل الامّة هم اولئك الذين ازاحوا علياً (وهو من عترة رسول الله) العالم الكامل بالقرآن والسُنّة، وهم الذين تسببوا في حصول هذه الفرقة والضلال. وكان دافعهم لذلك هو حب الرئاسة[1] لا غير.

فهل يُعقل ان الرسول (الذي حرّم الفرقة الى يوم القيامة) لم يعيّن للامّة لمرحلة ما بعد وفاته، ما تتمسك به ويكون لها اماناً من الفرقة السياسية، والاعتقادية، والفقهية، ومع ذلك فقد اوجب عليها الوحدة وحرّم عليها الفرقة الى يوم القيامة. وهذا لايعني بطبيعة الحال إلاّ تكليفاً بما لا يُطاق[2] بل النبي عيّن للأمّة لمرحلة ما بعد وفاته ما ان تتمسك به يكون لها اماناً من الفرقة السياسية والاعتقادية والفقهية.

---

1. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مخاطباً اصحابه: ستحرصون على الامارة وتكون ندامة يوم القيامة.

2. نقل البخاري في ابواب الغزوات، في باب عمرة القضاء ان عمر قال: اقضانا علي بن أبي طالب. ومع ذلك يكفينا قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين قال: ما إن تمسكتم بهما (كتاب الله والعترة) لن تضلوا ابداً.

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعيّن ما هو ضروري لحفظ وحدة المسلمين:

كل مجتمع، اسلامي كان او غير اسلامي، لابد له من امير وحاكم، وهذه ضرورة عقلية لا ينكرها عاقل. بيد "ان حاجة المجتمع الاسلامي الى امام، فهو شيء اعلى من وجود الحاكم"، وذلك لأن وجود الحاكم ضروري في كل الاحوال، لكي يمنع وقوع الفوضى في المجتمع، ولا احد ينكر ذلك. ولكن الحاجة تدعو الى وجود "الإمام" لمنع خطأ وانحراف وافتراق الأمّة، وذلك استناداً الى المعطيات التالية:

أولاً ـ وجود أي حاكم لا يمثل (ضمانة لتحقيق العدالة التامّة) مانعاً تاماً من الوقوع في الضلال.

ثانياً ـ ان الحاكم من غير العترة الهادية (حتى وان كان من كان) لا يمكن ان يكون معصوماً من الخطأ. (ولا يمكنه منع وقوع الفرقة التي تأتي نتيجة لنقل الاحاديث المتعارضة). ولهذا فمن المناسب البحث في وصايا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) التي وردت في خطبة غدير خم، وفي اثناء مرضه الذي انتهى بوفاته، وقوله[1] في خطبة غدير خم: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، وقوله أيضاً: اني تارك فيكم

---

1. نقل البخاري هذا الحديث في تاريخه الكبير، ونقله ايضاً بقية المؤلفين في السنن والمسانيد وكتب التاريخ.

الثقلين كتاب الله وعترتي، ما ان تمسكتم بهما لن تضلّوا.

ولكن مسلم نقل في كتاب حديثه المعروف، القسم المتعلّق بالثقلين فقط، أي القرآن والعترة، وقال بأن رسول الله اوصى بذلك كثيراً. بينما نقلت كتب السنن ومسند احمد وكتب التاريخ مزيداً من الجُمل حول هذا الموضوع، وهو ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: ما إن تمسكتم بالقرآن والعترة من بعدي لن تضلوا ابداً.

والسؤال الذي يُثار هنا هو: لماذا نقل البخاري ومسلم و... هذا الحديث ناقصاً على الرغم مما له من الأهمية؟ اذ ان كل واحد منهما نقل قسماً منه ولم ينقلاه كاملاً. ويمكن الحصول على جواب هذا السؤال من خلال اجراء مزيد من البحث والتحقيق في هذا المجال، وذلك لأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في غدير خم جعل قيادة الامة من بعده للعترة الهادية، وليس لمن يسيطرون على زمام الامور من غير العترة. ولهذا السبب لم ينقل اتباع السلاطين من غير العترة قصّة غدير خم اصلاً، أو انهم حذفوا منها ذلك القسم الذي يعتقدون بأنه ناقض لمذهبهم ويكشف عدم مشروعية خلافة أبي بكر وعمر (لانهما لم يكونا من العترة).

لزوم الرجوع الى القرآن والسنّة المتواترة لمعرفة اولي الأمر المفترضي الطاعة:

(أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ) [1].

بيّن الله تبارك وتعالى في هذه الآية من تجب طاعتهم في الاسلام، وهم:

الاول: الله.

الثاني: الرسول.

الثالث: أولو الأمر.

ولكن لما كان الناس في ذلك العصر يعرفون الله ورسوله، وكانوا بحاجة الى تعريف من يعرّفهم بأولي الامر سواء من حيث المعنى او من المصداق، ويبيّن لهم من هم، اذ من المحتمل ان يكون ذلك موضع خلاف ونزاع بين الناس. ولذلك قال تعالى في مواصلة هذه الآية مباشرة:

(فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ).

أي انكم اذا اختلفتم في تفسير وتعيين مصداق اولي الأمر، فارجعوا الى الله والى الرسول (ولم يقل ارجعوا الى اولي الأمر، وذلك لأن موضوع "اولي الأمر" قد يكون هو نفسه موضع اختلاف ونزاع). ولهذا السبب يجب الرجوع الى الله والى الرسول حتى لمعرفة اولي الأمر. ويتضح من ذلك ان لدى الله

---

1. سورة النساء، الآية 59.

والرسول جواب واف حول معرفة اولي الامر، وإلاّ لما أرجع الباري تعالى الناس الى هذين المرجعين.

وهكذا ينبغي لنا الرجوع الى القرآن والسنّة لمعرفة اولي الأمر المفترضي الطاعة الذين امرنا الله بطاعتهم بعد رسول الله. ومن المؤكد ان اولي الامر المفترضي الطاعة هو قائد وامام الامة بعد رسول الله، اذ نصّت الآية 83 من سورة النساء على ما يلي:

(وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ).

أي اذا تناهى الى اسماعهم خبر حول الأمن والمخاطر يسارعون الى بثّه، ولكن لو ردّوه الى رسول الله او الى أولي الامر منهم، يستطيعون استنباط واستكشاف جوابه ورد الفعل المناسب له من القرآن والسنّة. ان الصحابة ليس لهم مثل هذه القدرة الاستنباطية. بل ان قدرة الاستنباط هذه، خاصّة بالرسول وأولي الامر فقط.

ويُستفاد من هذه الآية ان رسول الله واولي الامر اعلم الامة بالقرآن والسنة، بل انهم اعلى من الاعلم، ويجب القول ان رسول الله واولي الامر هم العالمون الكاملون بالقرآن والسنّة. وهذا يعني ان استنباط احكام الحوادث الجديدة منحصر بهم، ورسول الله واولو الأمر هم فقط القادرون على مثل هذا

الاستنباط.

وفي سورة البقرة عندما اعترض بنو اسرائيل على تعيين طالوت ملكاً عليهم، قال لهم الله: (**وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ**)[1] (يعني ان الاعلمية من ملاكات نصب الامام من الله).

وكذلك يستفاد من قوله تعالى: (**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَ مِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**)[2] بأن الله عز وجل لا يجعل الظالم قائداً واماماً. وبالنتيجة فان اولي الامر وامام المسلمين ـ اضافة الى لزوم كونهم اعلم الامّة ـ يجب ان يكونوا عادلين ومعصومين أيضاً. هذا فضلاً عما يفهم من

---

1. سورة البقرة، الآية 247. اضافة الى ان هناك أحاديث تدل على أعلمية علي (وهو من العترة) اضافة الى انه تربّى في حجر الرسول، ونشأ منذ صغره في بيته، وله علم اكثر من بقية الصحابة بقول وفعل رسول الله. ومن تلك الأحاديث قول رسول الله: انا دار الحكمة وعلي بابها فمن اراد المدينة فيأتها من بابها.
وقد نقل الترمذي في ابواب المناقب من كتابه، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، وغيرهما، هذا الحديث بألفاظ اخرى كما يلي: "انا مدينة العلم وعليّ بابها فمن اراد المدينة فليأت بابها".
ونقل الحاكم في ***المستدرك***، (ج 3، ص 126)؛ والخطيب البغدادي في ***تاريخ بغداد*** وغيرهما، ما يلي: "أقضاهم علي".
ونقل الترمذي في باب فضائل اصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) قال عمر: اقضانا علي. نقله البخاري في ابواب تفسير قوله تعالى: (**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا**).
2. سورة البقرة، الآية 124.

الآية الشريفة (**أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**) بأنه من غير الممكن ان يكون مصداق أولي الأمر فرداً ظالماً؛ وذلك لأن الله تعالى الذي حرّم الظلم و حرّم حتى التعاون على الظلم، من غير الممكن ان يقوّى حكومة الظالم من خلال الأمر بوجوب طاعته، فيكرّس بذلك ظلمه. هذا ناهيك عمّا يستلزمه هذا من تناقض في الآية نفسها، وذلك لأن الظالم عندما يأمر بالظلم مثل ضرب أو جرح او قتل انسان بريء او طفل او رضيع او يأمر بشرب الخمر وترك الفرائض الدينية، ان كانت اطاعته واجبة فذلك يستلزم ترك طاعة الله، خاصة اذا كان هو يشرب الخمر، ويريد القضاء على الدين.

وخلاصة الكلام هي اننا نستفيد من هذه الآية ان ظالماً مثل يزيد بن معاوية الذي ما كان يتورّع عن ارتكاب أي ظلم وحرام كشرب الخمر[1]، والزنا بالمحارم[2] وحتى انه أمر بقتل[3] سبط رسول الله وأحد سيدي شباب اهل الجنّة، وهو الحسين بن علي (من العترة الهادية) وطفله الرضيع علي الأصغر، وابن اخيه غير البالغ وهو القاسم، وقتل ذرية رسول الله.

ثم انه أمر بالهجوم على المدينة

---

1. كتب التاريخ.
2. كتب التاريخ.
3. كتب التاريخ.

والاستيلاء عليها واستباحتها ثلاثة أيام[1] لجيشه ليفعل ما يشاء بارواح الناس واموالهم واعراضهم ابتداءً من الصحابة وحتى التابعين[2]، فقتلوا كثيراً من الناس حتى بلغت الدماء الى قبر النبي في المسجد، وزنا افراد جيش يزيد بكثير من نساء الصحابة وبناتهم بحيث ولد بعد تسعة اشهر من ذلك التاريخ ما يربو على ألف نغل.

ثم ان يزيد نظم اشعاراً صرّح فيها بكفره وعدم ايمانه برسالة النبي الهاشمي حين قال:

لعبت هاشم خبر جاء ولا وحي
بالملك فلا نزل
ليت اشياخي ببدر جزع الخزرج من
شهدوا وقع الأسل
قد قتلنا القوم وعدلنا ميل بدر
من ساداتكم فاعتدل
فاهلّوا ثم قالوا يا
واستهلوا فرحاً يزيد لا تُشل
لست من خندف ان أنتقم من بني
احمد ما كان فعل

هل يمكن القول إنّ يزيد من اولي الامر الواجبي الاتباع والطاعة لمجرّد انه كان حاكماً على المسلمين وان اولئك الذين اقترفوا الكثير من

---

1. ***تاريخ الطبري***، واقعة الحرّة، في احداث سنة 61 – 63، وغير ذلك.
2. البخاري، ابواب غزوة بدر (ج 5، ص 20) في الاعتراف بواقعة الحرّة.

المظالم بأمره، أو الذين انكروا رسالة النبي ـ حسب تعبيره ـ من اهل الجنّة؟

وألم تكن تلك المظالم والمخالفات لدين الاسلام هي التي أثارت الامّة الاسلامية ضد يزيد وبني اميّة، وأحدثت شرخاً عظيماً بين المسلمين؟ ولولا ثورة المسلمين ضد بني أمية وقضائهم عليهم، لاستمر منع تدوين الحديث النبوي (وهو ما كان يُمارس في عهد بني امية) ولتواصلت اعمال بني اميّة الهادفة الى القضاء على الدين، ولو انها استمرت الى عدّة قرون اخرى لكانت سنّة رسول الله قد طُمست كلياً ولقُضي على الاسلام قضاءً مبرماً.

عند الرجوع الى القرآن نلاحظ ان الله قد حرم الظلم والحاكم الظالم ونهى عن التعاون على الظلم، واوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصة عند الحاكم الجائر، وغير ذلك من المبادىء، وهذا يمثّل أوضح دليل على ان هذا الظالم لم يكن ولي امر مفترض الطاعة من قبل الله ورسوله، بل ان الله أوجب محاربته والتصدّي له، لاسيما انه يمثّل مصداقاً للطاغوت، والكفر بالطاغوت واجب: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ**

ضَلالاً بَعِيداً) [1].

هذه الآيات القرآنية التي تحرم حكم الظالم وتأمر بالكفر به وتوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هي التي دفعت الناس الى الثورة ضد بني اميّة، واجتثاث حكمهم من اساسه.

وحتى عندما ثار الصحابة ضد عثمان الاموي، فهم قد استندوا الى هذه الآيات والروايات. وهذا الواقع هو الذي جعل حتى عائشة تصف عثمان بالطاغوت وتأمر بقتله [2]. وقالت ان عثمان لا يعمل بأحكام من القرآن والسنّة النبوية بل انه يحكم بغير ما أنزل الله. وقد ورد في القرآن الكريم ما يلي:

(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [3].

وكما ينقل فان عمر بن الخطّاب كان قد تنبّأ بمثل هذا المصير لعثمان الاموي، وحذره من ذلك، حيث وصفه بأنه كلِف باقاربه، وقال له: كأني بك وقد قلدتك قريش هذا الأمر فحملت بني امية وبني أبي معيط على رقاب الناس، وآثرتهم بالفيء، فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب فذبحوك على فراشك ذبحاً [4]. ويبدو ان عمر بن الخطاب كان قد أخذ هذه النبوءة عن رسول الله حين

---

1. سورة النساء، الآية 60.
2. *انساب الاشراف*، البلاذري؛ *تاريخ الطبري*، وغيرهما.
3. سورة المائدة، الآية 44.
4. نقلت ذلك بعض كتب التاريخ.

قال ـ كما يروى ـ بأن حكم بني امية على الناس حرام، واذا بلغت بنو امية اربعين اتخذوا عباد الله خولاً ومال الله نحلاً وكتاب الله دغلاً[1] ويسومون الناس غاية الظلم.

وفي عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أيضاً كان عثمان بن عفان الاموي ممن انهزموا في معركة أحد واختبأ في الجبال ثلاثة أيام[2]، ولم يجابه مشركي قريش، وكان كثيراً ما يلقى من المسلمين اللوم والتقريع على ذلك الموقف[3].

وجاء في القرآن الكريم ان الله تعالى قال لابراهيم اني جاعلك للناس اماماً. فسأله ابراهيم ان يجعل من ابنائه وذريته اماماً وقائداً للناس. فقال له الله: ان عهدي لا يشمل الظالمين (اي ان من شروط الامامة والقيادة العدالة) ولا يمكن ان يجعل الله على الناس اماماً وحاكماً ظالماً:

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي

---

1. نقل الحاكم النيسابوري عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول اذا بلغت بنو امية اربعين اتخذوا عباد الله خولاً ومال الله نحلاً وكتاب الله دغلاً (وفي زمن عثمان بلغوا اربعيناً).
2. البخاري، باب عثمان (يشير الى فرار عثمان وفي كتب التاريخ موجود بتمامه).
3. ***تفسير الفخر الرازي***، في تفسير الآية الشريفة: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ**﴾ سورة آل عمران.

الظَّالِمِينَ) [1].

وهذا يعني ان الامام وولي الأمر يجب ان يكون ـ كما نصّت على ذلك الآية 83 من سورة النساء ـ عالماً كاملاً بالقرآن والسنة الواقعية، ولديه القدرة على استنباط الاحكام الصحيحة منهما، كما يجب ان يكون عادلاً، بل ينبغي ان يكون ـ وفقاً لما ينص عليه حديث الثقلين المتواتر حول العترة ـ معصوماً من الخطأ أيضاً.

1. سورة البقرة، الآية 124.

آخر وصية للرسول عند العودة من الحج:

في السنة العاشرة من الهجرة، وهي السنة الاخيرة من عمر الرسول، وفي آخر شهر حج يدركه الرسول ولا يبعد عن وفاته بفاصل زمني طويل، توقف عند العودة من الحج في موضع يُقال له غدير خم، وألقى خطبة اورد فيها ـ بعد حمد الله والثناء عليه ـ جملة من المواعظ ثم اشار فيها الى قرب أجله وانه موشِكٌ على الرحيل، وكان ذلك خبراً مؤلماً هز اعماق المسلمين. ثم تطرق الى ما ينبغي ان يفعله المسلمون من بعد رحيل قائد معصوم وجامع لكل خصال الكمال مثل رسول الله، وما الذي يجب ان يفعلوه في شؤونهم السياسية والعلمية وما شابه ذلك. خاصة وان الصحابة كانوا قد سمعوا من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) انه قال بأنه سيتسلّط على الناس من بعدي ائمة ضلال، وان اصحابه سيدخلون النار يوم القيامة أفواجاً بسبب ما ابتدعوه من بدع من بعده، ولا ينجو منهم الا القليل النادر. واليك في ما يلي نص قوله:

«فاذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم فقلت اين؟ قال الى النار قلت وما شأنهم؟ قال: انهم ارتدوا على ادبارهم القهقري ـ فلا يخلص منهم الا مثل همل

النعم»[1].

وقال صلوات الله عليه في موضع آخر: "يكون من بعدي ائمة لا يهتدون"[2].

وفي ضوء ما ورد في حديث الثقلين حول العترة يتّضح بأن مراد رسول الله من "أئمة الضلال"، هم "القادة من غير العترة". لكن الجمل والعبارات التي قالها رسول الله في خطبة الغدير بعد الإخبار عن قرب وفاته تعرّضت للكثير من الحذف (في نقل) على خلاف سائر عباراته ومواعظه، او انهم اكتفوا بنقل مقدار منها مما لا يسيء للحكام والسلاطين بعد رسول الله. وكلما كان ناقل الحديث اقرب الى بني امية وابعد عن العترة الهادية كان حذفه من تلك العبارات اكثر. وكلما كان الراوي اكثر مودّة لذوي القربى ومحبّة لهم كان حذفه اقل. نذكر على سبيل المثال ان البخاري اكتفى في تاريخه الكبير بأوجز العبارات والجمل (مما كان يراه اقلها ضرراً على مذهبه) من خطبة رسول الله في غدير خم، وقال: قال رسول الله: " من كنت مولاه فهذا علي مولاه".

اما مسلم فقد أشار في كتاب حديثه الى قصّة غدير خم، اشارة مقتضبة وعابرة، قال فيها ما يلي: "قام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوماً خطيباً

1. البخاري، ج 7، باب في الحوض.
2. مسلم، كتاب الامارة. وسائر كتب الحديث.

فينا بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكّر" ثم قال:

«اما بعد الا ايها الناس فانما انا بشر يوشك ان يأتي رسول ربّي فاجيب وانا تارك فيكم الثقلين «اولهما كتاب الله» فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحثّ على كتاب الله ورغب فيه ثم قال و"اهل بيتي"، اذكّركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي».

وقد سمع ان الراوي سُئِل: فمن أهل بيته؟ أليست نساؤه من أهل بيته؟ قال: لا[1].

كان هذا مقدار ما نقله مسلم من هذه القصّة، وهو (كما نلاحظ) مختصر جداً لأنه يقول: "قام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوماً فينا خطيباً" ولابد ان تكون الخطبة مطوّلة. وأخبرهم فيها عن قرب وفاته ثم قال اني تارك فيكم شيئين مهمّين احدهما القرآن، والآخر أهل بيتي. وبعدما أخبر عن قرب أجله، ذكر أهل بيته ثلاث مرّات. (وورد في احاديث اخرى بشكل متواتر، كما ورد عند تفسير آية التطهير، وعند ذكر قصّة المباهلة ان رسول الله ذكر ان مراده من أهل بيته هم ابنته فاطمة

1. مسلم، ج 7، ص 122.

وسبطاه الحسن والحسين، وعلي بن أبي طالب. وحتى انه ورد في خبر في تفسير آية التطهير بأن أم سلمة قالت: ألست من اهل البيت يارسول الله؟ فقال: انكِ على خير.

وقد حصر رسول الله معنى كلمة أهل البيت ـ كما ورد في تفسير آية المباهلة، وآية التطهير ـ في هؤلاء الاربعة فيكونون معه خمسة. اضافة الى ما ورد في حديث غدير خم[1] وهو حديث متواتر أيضاً ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذكر اسم علي بن أبي طالب، بل انه رفع يده ووصفه بأنه مولى المسلمين مثلما انه هو نفسه مولاهم وقال: "من كنت مولاه فهذا علي مولاه". وحتّى البخاري[2] نقل هذه الجملة وهي: "من كنت مولاه فهذا علي مولاه".

لقد نقلت اقوال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بحذافيرها حتى وان كانت امام شخص واحد او عدّة اشخاص، ومتى ما كان يقول كلاماً فانه كان ينقل بتمامه وكماله. ولكن نلاحظ ان هذه الخطبة السياسية المفصّلة التي أُلقيت على مسامع ما يزيد على مائة وعشرين ألف حاج في غدير خم وتضمّنت مجموعة من الوصايا المهمة وبيّن فيها ما يكفل ازالة الاختلاف، قد نُقلت مبتسرة،

---

1. الغدير يعني بركة الماء، وخُم اسم الموضع الذي كان فيه ذلك الغدير.
2. البخاري في تاريخه الكبير.

وكأن البخاري ومسلم من اتباع السلاطين ومن الرواة المحابين لبني أمية، ولا يروق لهم نقل هذا الحديث السياسي المهم (الذي جعل الخلافة في العترة فقط) بتمامه. والبعض الآخر لم ينقل هذا الحديث بتمامه خوفاً من السلاطين.

ـ أما بالنسبة الى مؤلّفي الكتب فقد نقله البعض منهم بشكل اكمل، والبعض الآخر بشكل أنقص. وكما ذكرنا فان مؤلفي الكتب كلما كان احدهم اشد ميلاً لبني أمية واكثر عداءً لآل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعترته فقد نقل الحديث بشكل انقص. وكلّما كان اكثر ميلاً لعترة رسول الله واقل ميلاً لبني امية (او كان لا يميل الى اعداء ذوي القربى) كان ينقل الحديث بشكل اكثر واكمل.

نذكر على سبيل المثال ان "الترمذي" كان اقل ميلاً الى بني امية بالمقارنة مع البخاري" و"مسلم"، ويميل اكثر منهما الى ذوي قربى رسول الله، وقد نقل في كتاب حديثه جملة: "من كنت مولاه فهذا علي مولاه" التي قالها رسول الله في خطبة غدير خم. (ونقل أيضاً حديث المباهلة وهو ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اخذ معه علي بن أبي طالب والحسنين وفاطمة للمباهلة. وأيضاً في تفسير آية التطهير حيث قال ان رسول الله بعد أن أدخل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) علي بن أبي طالب

وفاطمة والحسنين تحت ردائه، دعا لهم وتلا آية التطهير التي نزلت فيهم في سورة الأحزاب. مبيّناً بأن المراد من أهل البيت في المباهلة وفي تفسير آية التطهير هم هؤلاء الاربعة ويكون عددهم مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خمسة. وتجدر الاشارة الى ان الترمذي نقل حديثين آخرين حول علي بن أبي طالب، احدهما حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي قال فيه حول علي بن أبي طالب:

1ـ "علي مني وانا من علي، ولا يؤدّي عني الا انا أو علي".

وهو يكشف ان اهداف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يمكن ان يؤدّيها عن جدارة الا هو أو علي، وان علياً اقرب الناس الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

(تجدر الاشارة الى ان البخاري، في ابواب المناقب، اكتفى بذكر قول رسول الله لعلي: "انت مني وانا منك". وكذلك اقتصر في ابواب الغزوات ـ باب عمرة القضاء ـ على هذا القول أيضاً وهو: "انت مني وانا منك")، وأسقط بقية الحديث.

2ـ الحديث الآخر الذي نقله الترمذي هو قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "ان علياً مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي".

وهذا الحديث يكشف بعبارة اخرى بأن علياً ولي ومولى كل مؤمن بعد رسول الله،

وهو يؤيد حديث: "من كنت مولاه فهذا علي مولاه"[1].

وعندما نضع هذه الاحاديث الى جانب حديث المنزلة الذي قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عند مسيره الى غزوة تبوك، لعلي بن أبي طالب: "انت منّي بمنزلة هارون من موسى" وهو حديث متواتر. أي مثلما كان هارون خليفة موسى فأنت خليفتي أيضاً، عند ذاك يتضح لنا بكل جلاء معنى قول رسول الله في غدير خم. ومع ذلك فحينما نلاحظ النص الكامل لحديث الغدير تتجلى لنا القضية بشكل أوضح. نذكر مثلاً ان **"الترمذي"** ذكر في كتابه في باب مناقب اهل البيت عن زيد بن ارقم في ما يتعلّق بحديث الثقلين ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال:

"اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي احدهما اعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض و"عترتي" اهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علّى الحوض

---

1. نقل ابن ماجة في كتاب سننه، وابن قتيبة في كتاب معارفه، واحمد في مسنده، المقدار التالي من حديث غدير خُم: أقبلنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حجته التي حج فنزل في بعض الطريق فأمر الصلوة جماعة فأخذ بيد عليّ فقال: الست اولى بالمؤمنين من انفسهم؟ قالوا: بلى قال: الست اولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى قال: فهذا ولي من انا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

فانظروا كيف تخلفوني فيهما".

وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد أدلى بحديث الثقلين ـ كتاب الله وعترتي ـ عدا ما قاله في غدير خُم ـ في أيام الحج في عرفة، وفي مواضع اخرى، وفي اثناء مرضه الذي توفي فيه. وقد نقله "الترمذي" و"احمد" في مسنده وغيرهما. وإن كان هناك اختلاف في نقل الحديث بسبب اختلاف بيان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تبعاً لاختلاف المواضع، فقد بيّن بالفاظ مختلفة حقيقة واحدة. او ربّما كان هناك اختلاف في بيان الراوي في النقل بالمضمون، ومضمونها كلها واحد ولا فرق بينها من حديث المعنى والمقصد، مثلاً نقل "الترمذي" عن عبد الله الانصاري قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حجّته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: "يا ايها الناس اني تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي". كما انه نقله أيضاً عن طريق ابي ذر وحذيفة.

وكان ينبغي طبعاً ان تتعدد الكلمات وان يستخدم رسول الله عبارات متنوعة تبعاً لاختلاف الزمان والمكان لبيان ما ينقذ الامّة من الضلال الى يوم القيامة.

وقد ورد مضمون حديث غدير خم في احاديث اخرى أيضاً، مثلاً في حديث السفينة:

"مثل اهل بيتي كسفينة نوح من

ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق"[1].

و حديث: "الحق مع علي وعلي مع الحق"[2].

إلى غير ذلك من الاحاديث الاخرى. وحتى آية وجوب مودّة ذوي القربى يمكن ان تؤيد هذا المعنى أيضاً، اذ ان علياً من ذوي القربى. وذلك قول الله تعالى:

(قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)[3].

وقوله تعالى: **(مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ)**[4].

وقوله تعالى: **(قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً)**[5].

وخلاصة القول هي ان محبتهم طريق الى الله، والسير على طريق الله هو طريق الاسلام الواقعي والسعادة الأبدية.

(وجملة: "اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره[6] واخذل من خذله". وهذه العبارات التي وردت في سياق حديث الغدير من بعد قوله: "من

---

1. *المستدرك*، ج 5، ص 189.
2. الترمذي، ابواب المناقب: رحم الله علياً اللهم أدِر الحق معه حيث دار.
3. سورة الشورى، الآية 23.
4. سورة سبأ، الآية 47.
5. سورة الفرقان، الآية 57.
6. من يحبّه الله لا يتركه يضل حتى وان قُتل أو ظُلم. أي ان محبي علي واتباعه الكُمَّل قد يُقتلون ويُظلمون، ولكن لا يضلون أبداً.

كنت مولاه فهذا علي مولاه" انّما هي من هذا القبيل؛ وذلك لأن من يحب اولياء الله ويطيع من اوجب الله اطاعته فان الله يرضى عنه، لأن الله يحب اوليائه وينصرهم، يعني ويهديهم الى سواء السبيل، وهم من المهتدين حتى وان قُتلوا مثلما حصل لأبي ذر الغفاري وعمّار بن ياسر. واما الذين يبغضون اولياء الله وخاصة لم يطيعوا من اوجب طاعتهم شرعاً، فان الله يغضب عليهم ولا يهديهم الى سواء السبيل ولا ينصرهم وهم من الضالين حتّى وان تسلّطوا على الأمّة (مثل معاوية) وقمعوا أو قتلوا مخالفيهم حتى وان كان مخالفوهم من العترة. ولهذا السبب توضح الجملة التالية في حديث غدير خم، هذه القضية بكل جلاء).

وكذلك نقلوا في باب مناقب الحسن والحسين، في كتب الحديث، ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لعلي بن أبي طالب وللحسن والحسين وفاطمة: انا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم[1].

أي لو ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان قد بقي حيّاً، لحارب من حاربوا فاطمة وعلياً والحسن والحسين، أي لحارب رسول الله فلاناً وفلاناً وعائشة ومعاوية ويزيد بن معاوية.

وهذه الجمل موجودة في روايات حديث

---

1. سنن ابن ماجة، ***ابواب المناقب.***

الغدير التي ذكرت حادثة غدير خم بتمامها. ويتّضح موقف هذا الحديث من الصحابة والتابعين الذين سلّوا سيوفهم ضد علي.

ولا يفوتنا ان نشير الى ان علي بن أبي طالب اول مسلم من سابقي الصحابة وقد ذكر الله في كتابه الكريم: **(وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ)** [1] انه اول المسلمين مرضي عند الله بقول مطلق. والرضا عن بقية السابقين (وبقية الصحابة والتابعين) مشروط بتبعيّتهم للأوّلين باحسان. واول مسلم آمن بالرسول من المهاجرين هو علي بن أبي طالب، وخديجة. ومن اسعد بن زرارة وذكوان. واما (الآخرون) الثاني والثالث وغيرهما (فلم يكن أي منهم من الاولين). والوحيد من هؤلاء الثلاثة الاوائل الذي بقي على قيد الحياة بعد رسول الله هو علي بن أبي طالب، الذي نصّت هذه الآية على ان اتباعه التام باحسان شرط لمن يريد مرضاة الله (ودخول الجنّة). أي ان الاتباع التام لعلي بن أبي طالب كان واجباً على جميع الصحابة حسب منطوق الآية المائة من سورة التوبة. في حين لم يكن من الواجب على عليٍّ بن أبي طالب اتباع

1. سورة التوبة، الآية 100.

أحد غير الرسول. وهذا هو الفارق الذي يميّز الامام المفترض الطاعة من غيره.

وقد نقل حتى امثال الطبري ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال بشأن علي بن أبي طالب، حتى في الأيام الاولى التي آمن فيها بالله ورسوله، وكان اول القوم اسلاماً، حين دعا رسول الله بني هاشم الى وليمة في بيت أبي طالب (وسألهم النصرة على تبليغ هذا الدين)، وقال لهم: أيّكم يؤازرني على هذا الأمر على ان يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فاحجم القوم عنها جميعاً، ولم يستجب له الا علي بن أبي طالب. فأخذ برقبة علي وقال: ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم[1].

---

1. كتاب ***تاريخ الطبري***، باب اخبار البعثة وما تلا ذلك من الاحداث الى وقت الهجرة؛ ***الكامل في التاريخ***، ابن الاثير، ج 2، ص 22؛ ***تاريخ أبي الفداء***، ج 1، ص 116؛ ***مسند احمد***، ج 1،ص 331. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعلي ابن أبي طالب: "ان هذا اخي ووصيي وخليفتي عليكم فاسمعوا له واطيعوه".
قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في خطبة الغدير... "علي، اخي ووزيري ووارثي ووصيّي وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن بعدي، ثم الحسن ثم الحسين ثم تسعة من ولد ابني الحسين واحد بعد واحد القرآن معهم وهم مع القرآن لا يفارقونه ولا يفارقهم حتّى يردّوا عليّ الحوض...". والخطبة طويلة ومفصّلة، وقد اكّد فيها مراراً وكراراً باتباع علي والاحد عشر من اولاده وهم – بعد علي – الحسن بن علي، ثم الحسين بن علي، ثم ابناء الحسين وذريّته وهم تسعة آخرهم مهدي آل محمد الذي يظهر ويملأ الارض عدلاً بعدما ملئت ظلماً

وجوراً. ومن يريد الاطلاع على كل خطبة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) التي القاها في غدير خم يمكنه الرجوع الى كتاب ***فرائد السمطين*** للسمهودي، وهو من اتباع السلاطين، ويمكنه أيضاً الرجوع الى مصادر شيعة علي بن أبي طالب مثل كتاب ***أصول الكافي*** وكتاب ***الاحتجاج***. وقد اكتفينا نحن هنا بنقل النص التالي رعاية للايجاز:

نقل صاحب كتاب ينابيع المودّة - رغم انه كان من اتباع السلاطين - ونقل كتاب ***فرائد السمطين*** عن ابن عباس ان يهودياً اراد ان يُسلم فسأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من وصيك من بعدك؟

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ان وصيّي علي بن أبي طالب وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوه تسعة ائمةٍ من صلب الحسين، قال يامحمد سمّهم لي، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اذا مضى الحسين فابنه علي فاذا مضى فابنه محمد واذا مضى محمد فابنه جعفر فاذا مضى جعفر فابنه موسى فاذا مضى موسى فابنه علي فاذا مضى علي فابنه محمد فاذا مضى محمد فابنه علي فاذا مضى علي فابنه الحسن فاذا مضى الحسن فابنه الحجّة محمد المهدي فهؤلاء اثنا عشر.

قال: فاسلم اليهودي.

لكن الاشكال الذي يُثار على ما نقله صاحب ***ينابيع المودّة وفرائد السمطين*** هو ان ما نقلاه خبر واحد، الا انه لا تكون هناك حاجة لهاتين الروايتين. أو ان تصريح رسول الله بمسار الامامة في العترة وآل محمد، وان اولهم علي بن أبي طالب المنصوب للامامة بأمر الله وصار بذلك وصي رسول الله، فصارت بذلك معرفة بقية اوصياء رسول الله امراً واضحاً؛ وذلك لأن كل وصي يعيّن عند وفاته من يأتي بعده، فعلي بن أبي طالب قد عيّن من بعده ابنه الحسن وصياً له بالنيابة عن رسول الله، وعيّن الحسن بن علي في وصيّته عند وفاته أخاه الحسين بن علي، وعيّن الحسين بن علي من بعده (نيابة عن رسول الله) الوحيد الذي بقي خلفاً له وهو علي بن الحسين.

وعلى هذا المنوال عيّن علي بن الحسين ابنه محمد الباقر، وعيّن محمد الباقر ابنه جعفر بن محمد، وعين جعفر بن محمد أيضاً ابنه موسى بن جعفر، وعين موسى بن جعفر ابنه علي بن موسى الرضا،

وقد ذكر محبو "آل رسول الله وعترة النبي" من أمثال الحموي وغيره الذين نقلوا حديث الغدير بتمامه ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد بيّن في غدير خم عدّة امور، وهي:

اولاً: ان النبي كان يقول على الدوام بأنه يكون بعدي اثنا عشر خليفة (= اميراً = اماماً) كلهم من قريش[1]. ولكنه لم يعيّنهم بأسمائهم

وعين علي بن موسى الرضا ابنه محمد الجواد، وعين هو ايضاً ابنه علي، وعيّن علي بن محمد ابنه الحسن بن علي، وكذلك عين الحسن بن علي ابنه محمد المهدي وهو الثاني عشر والاخير من أوصياء رسول الله، ولهذا السبب يَسمّون اتباع الأئمة الاثني عشر من العترة، الفرقة الامامية الاثني عشرية. وهكذا قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حديث متواتر في عددهم: يكون من بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش. وبيّن في غدير خم خاصّيتين اخريتين لهم، واحداهما انهم من العترة، والاخرى من اولهم علي بن أبي طالب.

1. قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بانه يكون من بعده اثنا عشر خليفة، نقله البخاري في آخر كتاب الأحكام، ومسلم في باب الامارة، ومسند احمد، ج 5، ص 90. وكذلك نقله غيرهم في الابواب المعنية بهذه الموضوعات. ونص الحديث هو: (يكون من بعدي اثنا عشر خليفة = اميراً = اماماً) كلّهم من قريش.

واما نص حديث غدير خم الذي نقلته مصادر مختلفة في أحاديث متواترة فقد مضى في الصفحات السابقة، ولم يبق لتاركي اتباع العترة من عذر. ولا ريب في ان ائمة العترة هم من آل محمد الذين وجبت الصلاة عليهم في الصلوات الى يوم القيامة. وهذه امارة على انهم هم أولو الامر الذين فرض الله طاعتهم بعد طاعة الله والرسول الى يوم القيامة، والعترة الهادية الى يوم القيامة ولا يمكن ان يكون أولو الامر من غيرهم ومن مخالفيهم، بل مخالفوهم من المضلين - بمفهوم حديث الثقلين

قبل غدير خم، وقد عيّنهم في غدير خم بأسمائهم.

المتواتر - كتاب الله وعترتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا، يعني ان تمسكتم بغير العترة تضلوا. مثلاً ذكر البخاري في المجلّد السادس في تفسيرة سورة الاحزاب، باب آية صلوا عليه وسملوا تسليماً - فقيل يارسول الله اما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلوة - قال: قولوا: اللّهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد... الحديث. ومثل هذا الحديث نقله مسلم وغيره.

ومن هم اولو الامر الذين ورد ذكرهم في الآية 59 من سورة النساء؟

(**أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُم**)؟ وهذا ما بيّنه الرسول في خطبة غدير خم، وانهم اثنا عشر اماماً من العترة. (حيث كان يقول على الدوام يكون من بعدي أثنا عشر خليفة وامير اً). وقد نقل البخاري ومسلم وغيرهم هذا الحديث الذي نصَّ على انه يأتي بعد الرسول اثنا عشر خليفة. حيث نقله البخاري في آخر كتاب الاحكام، ونقله مسلم في باب الإمارة. وهكذا غيرهما: يكون بعدي اثنا عشر خليفة ـ يكون بعدي اثنا عشر اميراً.

ومجمل القول هو ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال ان علياً مولاكم اللهم انصر من نصره واخذل من خذله[1]. وقال رسول الله ايضاً انني تارك فيكم شيئين ثمينين وثقيلين؛ احدهما القرآن والآخر عترتي أي اهل بيتي وهم أولو الامر والأئمة والخلفاء عليكم والخلفاء الاثنا عشر الذين ذكرتهم سابقاً وقلت بأنه يكون من بعدي اثنا عشر خليفة، وأول هؤلاء "الأئمة واولي الامر والخلفاء الواجبي الطاعة" هو علي بن أبي طالب وثانيهم الحسن،

---

1. يكون نصر الله في اعانة الشخص على السير على طريق الحق وان كان مظلوماً، وخذلان الله له في هذا السياق أيضاً. وبالنتيجة فمن يوكله الله الى نفسه يضل.

وثالثهم الحسين بن علي، ثم ابناء الحسين واحد بعد الآخر الى تاسعهم وهو "مهدي الأمة" الذي يظهر فيملأ الارض قسطاً وعدلاً. وهم لا يفترقون عن القرآن ولا يفترق القرآن عنهم حتى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة[1]. وما قصده رسول الله بقوله الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي هم هؤلاء العترة الهادية وهم الأئمة الاثنا عشر من العترة.

والذي نفهمه من منطوق حديث الثقلين وهو ان المتمسكين بالقرآن والأئمة من عترته، هم الناجون من الضلال. ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يريد القول (في حديث الثقلين كتاب الله وعترتي) بأن كل "الائمة من غير العترة" ائمة ضلال من

---

1. بما ان أولي الامر بناءً على ما تفيده الآية 83 من سورة النساء، عالمون وعاملون كاملون بالقرآن والسنّة. وكل حكم يستنبطونه من القرآن والسنّة الواقعية لرسول الله انما هو حكم الله ورسوله، وبالنتيجة فهو واجب الطاعة بأمر الله ورسوله. وهكذا يبيّن لنا ان الاتباع التام لأولي الامر هو اتباع تام لله ولرسوله، واتباع تام للقرآن والعترة، وهو بالنتيجة اتباع تام لأولي الأمر. وقد امر الله ورسوله باطاعة اولي الامر واعتبرا ذلك من ضروريات الطاعة التامة لله. وهذا هو ما أمر به الله تعالى في قرآنه الكريم من اطاعة الرسول واولي الأمر:
(أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ)
وهذا من مستلزمات طاعة أولي الامر وهم العترة الهادية الذين يحكمون على اساس القرآن والسنّة فقط.
ولهذا لا يمكن ان ينفصل القرآن عن أولي الأمر.

غير استثناء.

أما بالنسبة الى "النسائي" فقد نقل في خصائصه خلاصة لحديث غدير خم، ورغم ذلك فان هذه الخلاصة جاءت اكمل مما نقله "مسلم" واكمل مما نقله "البخاري" في تاريخه الكبير. ان ما نقله **"النسائي"** جاء في الحقيقة ملخّصاً جداً ونقل بالمضمون. وننقل في ما يلي نص ما كتبه النسائي في خصائصه في الفقرات التي ورد فيها حديث الثقلين:

"كأني دعيت فأجبت، واني تارك فيكم الثقلين احدهما اكبر من الآخر كتاب الله وعترتي اهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما فانهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض. ثم قال ان الله مولاي وانا ولي كل مؤمن ثم اخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فهذا وليّه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه".

ونقل محمد بن سعد في "كتاب الطبقات" عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال:

"اني اوشك ان ادعى فاجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله و"عترتي" كتاب الله حبل ممدود من السماءِ الى الارض وعترتي

اهل بيتي"[1].
"وان اللطيف الخبير اخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما".
نقل "الحاكم النيسابوري" أيضاً

---

1. وما يؤيد هذا المعنى انه من بعد علي (وهو من العترة الهادية) هم الأئمة من آل محمد أي الحسن والحسين سبطا رسول الله وسيدا شباب اهل الجنّة، ومن بعدهما تسعة من ذرية الحسين آخرهم مهدي الأمة من آل محمد وهو الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.
وهناك حديث متواتر عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حول الصلاة عليهم بعد الصلاة عليه. - ورد في ابواب الصلاة وفي التشهد وفي باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) وفي تفسير آية: (**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**).
قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قولوا: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد"؟ ولم يأمر بالصلاة على غيرهم. وهذا يدل على ان العترة الهادية والأئمة من آل محمد هم بعد الرسول قادة الأمة بحق من قبل الله ورسوله.
وقد نقل كل من البخاري في ابواب التفسير، عند تفسير سورة الاحزاب، وضمن نطاق تفسير الآية الشريفة: (**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**)، ومسلم في ابواب الصلاة، في باب الصلاة على النبي بعد التشهد وبقية كتب التفاسير والحديث وغيرها، ان الأحاديث الواردة في الصلاة على آل محمد بعد الصلاة على محمد، أحاديث متواترة، (واما غيرها من الأحاديث التي ورد فيها ذكر الصلاة على الصحابة او غيرهم فهي أحاديث غير متواترة. اضافي الى ان الصحابة كان فيهم منافقون، والصلاة على المنافق حرام).

العبارات المذكورة آنفاً عن زيد بن ارقم.

ونقل "احمد" في مسنده عن طريق البراء بن عازب ما يلي:

"ألستم تعلمون اني اولى بالمؤمنين من انفسهم؟ قالوا: بلى. قال: الستم تعلمون اني اولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى. قال: فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه".

ذكرنا سابقاً ان خطبة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في غدير خم كانت طويلة ومفصّلة، وقد نقل كل شخص قسماً منها. واكمل نقل جاء في المعجم الكبير للطبراني، وفي ما نقله الحموي في فرائد السمطين.

وكذلك نقل "احمد ابن حنبل" في المجلد الرابع من مسنده، في صفحة 281، و"الطبراني" في المجلد الثالث من تفسيره الكبير، في صفحة 636، و"ابن حجر" في صواعقه، و"الدار قطني"، و"البيهقي"، و"الخطيب البغدادي"، ان رسول الله بعد ذلك وضع عمامته على رأس علي وأمر الصحابة ان يهنئوه بذلك باعتباره أمير المؤمنين[1]. واليك في ما يلي نص ما

---

1. نقل الترمذي في سننه ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: انا دار الحكمة وعلي بابها.

نقلوه:

"ثم ألبسه عمامته وعقد له موكباً وامر اصحابه بتهنئته ففعلوا وفي مقدمتهم "أبو بكر" و"عمر" يقولان بخ بخ لك يابن أبي طالب اصبحت وامسيت ولي كل مؤمن ومؤمنة".

وهكذا فعل الصحابة وهنأوا علي بن أبي طالب وفي مقدّمتهم أبو بكر وعمر وباركوا له ولايته على الأمّة بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

قال رسول الله (صلى الله عليه و سلم): المهدي منا أهل البيت[1] [2] وقال أيضاً: المهدي من ولد فاطمة[3] يعني

---

1. سورة الرعد، الآية 7. (**إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**). لما نزلت هذه الآية وضع النبي صلوات الله عليه يده على صدر علي بن أبي طالب وقال: "انا المنذر ولكل قوم هاد"، واومأ على منكب علي بن أبي طالب فقال: "انت الهادي، بك يهتدي المهتدون بعدي". ***تفسير الطبري، تفسير الرازي، تفسير كنوز الحقائق، مستدرك الحاكم***،ج 3، ص 164؛ ***كنز العمال***، ج 6، ص 157. وهذا الحديث موافق لحديث الثقلين المتواتر الوارد في العترة الهادية.

2. سنن ابن ماجة، باب خروج المهدي؛ وسنن أبي داوود، الجزء الرابع، كتاب المهدي وكذلك في مسند احمد وغيره. وهذا الحديث أيضاً موافق لحديث الثقلين المتواتر الوارد في العترة الهادية.

3. سنن ابن ماجة، باب خروج المهدي؛ وسنن أبي داوود، الجزء الرابع، كتاب المهدي وكذلك في مسند احمد وغيره. وهذا الحديث ايضاً موافق لحديث الثقلين المتواتر الوارد في العترة الهادية.

ان المهدي من ائمة العترة "وائمة العترة" بعد علي بن أبي طالب تكون من ولد فاطمة الحسن والحسين ابنا فاطمة وبعدهما علي بن الحسين سبط فاطمة وبعده محمد بن علي الباقر وبعده جعفر ابن محمد الصادق وبعده موسى بن جعفر وبعده علي بن موسى وبعده محمد بن علي التقي وبعده علي بن محمد النقي الهادي وبعده الحسن ابن علي وآخرهم الثاني عشر من الائمة الاثنا عشر يكون المهدي.

الأيام الأخيرة من عمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

لم تمضِ مدة طويلة على عودة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الحج الى المدينة، أي بعد حوالي الشهرين دُسَّ له السُم ومرض على اثر ذلك، وكما استبان مما أُخبِرَ به عن طريق الوحي ان مرضه هذه المرّة ينتهي به الى الوفاة. فكان رسول الله آنذاك يقضي الأيام الاخيرة من حياته. وكان من الواضح ان محبّي الرئاسة كانوا يترقّبون وفاته من أجل الاستيلاء على السلطة بقوّة السيف بعد وفاته لتكون لهم الرئاسة على المسلمين. ومن هنا فقد كانوا يتتبعون مرض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بدقّة تامّة، ولم يبتعدوا عن المدينة ولا حتى عن اطراف منزل رسول الله. لكي يتسنّى لهم استغلال الفرصة بعد وفاته والمبادرة على الاستيلاء على السلطة بالتعاون مع حلفائهم.

وفي تلك الاثناء أمر رسول الله فجأة بتجهيز جيش بقيادة شاب اسمه اسامة وأمر ان يلتحق بهذا الجيش كبار الصحابة من امثال ابي بكر وعمر، وان يسير الجيش نحو تخوم بلاد الروم، وكان مكاناً بعيداً جداً[1].

وقد حاول أبو بكر وعمر ان لا يذهبا برفقة هذا الجيش بحجة قلقهما على

---

1. طبقات ابن سعد.

رسول الله وهو في هذه الحالة الخطيرة من المرض. لكن النبي امرهم ان يلتحقوا كلهم بهذا الجيش من غير استثناء ويسيروا نحو حدود بلاد الروم ويبتعدوا عن المدينة بأسرع ما يمكن.

واقام اسامة معسكراً خارج المدينة ليلتحق به افراد الجيش ويسير بهم عندما يجتمع إليه العدد الكافي منهم. ولكن أبا بكر وعمر تركا معسكر اسامة ورجعا الى المدينة والى منزل النبي. ولما رأى النبي انّهما رجعا تألّم واكّد عليهما مرّة اخرى بالالتحاق بجيش اسامة بأسرع ما يمكن وقال: جهّزوا جيش اسامة،لعن الله المتخلّف عن جيش اسامة[1].

كان من الواضح لكل ذي حنكة سياسية ان النبي كان يريد في هذا الوقت الذي شارف فيه على مفارقة الدنيا ان يبقى افضل الفرسان، وهو علي بن أبي طالب الى جانبه، ويريد في الوقت ذاته ارسال ابي بكر وعمر الى موضع بعيد عن العاصمة (وكان يريد لهما الخروج في اسرع وقت من المدينة والسير في ركب جيش اسامة الى مواضع بعيدة. وانه كان يريد من وراء ذلك ان تنتقل قيادة الامّة بعد وفاته ـ التي ظهرت علائم قربها ـ الى علي بن أبي طالب بسهولة وبدون وجود منافسين. خاصّة وانه لم يجعل قيادة

---

1. طبقات ابن سعد.

هذا الجيش الى ابي بكر وعمر، وانما جعل قيادته الى شاب اسمه اسامة، لكي لا تكون لديهما حجة او ذريعة بأن علي بن أبي طالب اصغر منّا سناً وانا اكبر منه سناً واولى بقيادة الامّة. وكانت في عمل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هذا اشارة واضحة الى ان الصحابة المنضوين تحت امرة هذا الجيش لا يصلحون حتى لقيادة هذا الجيش، فما بالك بقيادة الامّة.

موقف عمر، اثناء وصية النبي

عندما اراد رسول الله في آخر ايام حياته ان يكتب وصية للامة لكي لا تتفرق من بعده ولا تضل، ولكنه تألم عندما شاهد فجأة ان أبا بكر وعمر الذين أمرا بالالتحاق بجيش اسامة والسير في ركبه الى موضع بعيد، والابتعاد عن المدينة، قد رجعا مرّة اخرى وحضرا في مجلسه.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): اعطوني دواة وكتفاً لأكتب لكم ما لا تضلون بعده.

وهذه الجملة التي قالها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شبيهة تماماً بما قاله في الحج وفي غدير خُم حيث قال هناك: اني تارك فيكم شيئين: القرآن وعترتي، "ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا ابداً". وما ان سمع الحاضرون هذه الجمل من رسول الله "لأكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ابداً" حتى تذكروا ما قاله حول الثقلين في الحج وفي غدير خم، ومنهم عمر بن الخطاب الذي كان بين الحاضرين وادرك بأنّه لو تحوّلت هذه الوصية الى شيء مكتوب، لما بقي هناك مجال لاستيلاء ابي بكر وعمر على السلطة. ولهذا السبب سارع عمر الى القول بأن الوجع غلب على النبي وانه يهذي، وحسبنا كتاب الله، أي انه لا حاجة لوصية رسول الله. فصار قسم من الحاضرين يؤيد ما قاله النبي، وقسم يؤيد ما قاله عمر، واختلف

الناس فاستاء النبي من تنازع القوم، وقال لهم: "لا ينبغي التنازع عند نبي، قوموا عنّي"[1]، أي انني غير راض عنكم ولا اريد رؤيتكم.

هذا الحديث المتواتر نقله كل المسلمين، ونقله من عامة المسلمين، البخاري في كتابه المعروف، في كتاب العلم، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، وفي كتاب بدء الخلق، وأيضاً في كتاب المرض في باب قوموا عنّي، نقل ذلك عن ابن عباس كما يلي:

"لما حضر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي (صلى الله عليه وسلم) "هلم اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده". فقال عمر: "ان النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله". فاختلف اهل البيت فاختصموا منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبي (صلى الله عليه وسلم) كتاباً لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر فلما اكثروا اللغو والاختلاف عند النبي (صلى الله عليه وسلم). "قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قوموا".

ونقل البخاري أيضاً في كتاب الجهاد والسير ما يلي:

"فقال ائتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده

---

1. البخاري، كتاب العلم، وكتاب الاعتصام. وكذا نقل غير البخاري متواتراً.

ابداً فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ تنازع. فقالوا: هجر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال دعوني فالذي انا فيه، خير مما تدعوني اليه"[1].

ومعنى كلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو ان الموت خير لي من ان اريد ان اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده الى يوم القيامة وانتم (الذين تخالفوني) لا تريدون ان اكتبه لكم. وقد نقل البخاري هذا الحديث في باب الجزية والموادعة، وفي كتاب بدء الخلق.

ونقل مسلم أيضاً في كتاب الوصية، في باب ترك الوصية، ونقل احمد أيضاً في مسنده عن طريق جابر بن عبد الله الانصاري. ونقل محمد بن سعد في "الطبقات الكبرى" عن زيد بن أسلم متن اكمل، عن ابيه عن عمر بن الخطاب كما يلي:

كنا عند النبي (صلى الله عليه وسلم) بيننا وبين النساء حجاب فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اغسلوني بسبع قرب وائتوا بصحيفة ودواة اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ابداً فقال النسوة

---

1. نقل كل من البخاري ومسلم وابن سعد وامثالهم هذه العبارات التي قالها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اثناء وفاته للعمريّين، وهم بذلك يقولون بأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عند وفاته لم يكن راضياً عن المجموعة العُمرية وغضب عليهم واعتبرهم السبب في ضلال الأُمّة من بعده.

ائتوا رسول الله بحاجته (قال عمر) فقلت أسكتنَ فانّكنَ صواحبه اذا مرض عصرتنّ اعينكنّ واذا صح اخذتنّ بعنقه.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "هنّ خير منكم". أي ان النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: ان النساء أفضل منكم انتم الصحابة المخالفين لي[1].

ونقل ذلك كل من الهيثمي في مجمعه في المجلّد التاسع، والطبراني في المعجم الاوسط، والمتقي الهندي في كنز العمال، ج3، ص 138.

1. البخاري ومسلم وابن سعد وامثالهم ممن نقلوا هذه العبارات التي قالها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للمجموعة العمرية، يريدون القول بأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان عند وفاته ساخطاً على المجموعة العمرية وكان يعتبرهم سبباً لضلال الامة من بعده.

تساؤلات حول هذه الحادثة:

1ـ هل يكفي القرآن حقاً للحفاظ على وحدة المسلمين على طريق الحق، ولا حاجة لبيان أو وصية رسول الله؟ والجواب عن ذلك انه من غير الممكن ان يقول مسلم بأننا بوجود القرآن لا نحتاج الى السنة، او ان القرآن يكفي لصيانة وحدة المسلمين الى يوم القيامة، لأنه لو كان القرآن وحده كافياً لحفظ وحدة الأمّة على طريق الحق، لما وقعت الامّة في هذا الاختلاف والانشقاقات المذهبية والفئوية. ولو افترضنا بأنّها عندما تقع في الاختلاف يمكنها ان تحلّه بمجرد العودة الى القرآن، فأنّى يمكن لنا القول بأن القرآن كاف وحده لازالة الاختلاف، في حين ان تفسير القرآن فيه اختلاف، وكل واحدة من فرق المسلمين تتمسك بظهور من ظهورات القرآن لاثبات مدّعاها وصحة مذهبها، وتوظف القرآن لاظهار الحق الى جانبها.

نذكر على سبيل المثال ان احداها تستفيد من ظهور آيات لاثبات عقيدة الجبر، بينما تتمسك اخرى بآية غيرها لإبطال عقيدة الجبر، وتتمسك فرقة اخرى بآية لاثبات تجسيم الله، وتتشبّث فرقة اخرى بآية غيرها لاثبات بطلان التجسيم، وما شابه ذلك.

وكيف يكفي القرآن من غير الرجوع الى بيان النبي، في حين أن أياً من الاحكام الالهية كالصلاة والصوم

والزكاة والحج وغيرها لا يمكن فهم شروطها ومكوّناتها واوقاتها من القرآن؟ أي انه لا يمكن الاستغناء عن اقوال النبي في ذلك (باعتباره مفسّراً ومبيّناً للقرآن).

وقد صرّح الباري تعالى في كتابه الكريم بأن القرآن يحتاج الى توضيح وبيان النبي بقوله:

(وَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) [1].

(وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ) [2].

إذاً لقد اراد عمر او يُحتمل انه اراد ان يقول بهذه الجُمل ان رسول الله مريض، وقد فقد عقله وهو يهذي. والسؤال الذي يُوجّه الى عمر هنا هو هل يمكن من الرسول الهذيان في قضية تتعلق بهداية وضلال الامّة الى يوم القيامة، وقد قال عنه القرآن. سورة طه، الآية 123.

وهنا يتبادر الى الأذهان سؤالان، هما: هل قول كل مريض في حال المرض مرفوض مطلقاً؟ والجواب هو ان هذا الكلام باطل، وذلك لأن العقل مادام متزناً فكلام الإنسان مقبول، والمرض لا يمنع من ذلك. وقد قال البخاري في باب وصيّة المريض انه حتى ايماءة المريض حجّة. ولكن ربّما كان عمر يقصد

---

1. سورة النحل، الآية 44.
2. سورة النحل، الآية 64.

ان الرسول فقد عقله من شدة المرض والعياذ بالله، ولاسيما في قضية تتعلق بهداية الامّة الى يوم القيامة؟

نبحث في ما يلي قول عمر من جانبين: احدهما من جانب ما يقوله القرآن عمّا ينطق به النبي، وهل من الممكن ان ينطق عن هذيان أو عن هوىً" وخاصة في ما يتعلّق بهداية الأمّة؟ يقول القرآن: هذا غير ممكن، فقد ورد في سورة طه، الآية 123. أي مايقوله النبي وخاصة في مايتعلّق بهداية الأمّة ليس إلاّ وحياً ولا يأتي عن هوى ونزوة، ولا يمكن ان يكون هذياناً، لأن الله عز وجل يقول: (**إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**).

اذاً فمن يقول بأنّ كلام النبي هذيان ـ ولو لمرّة واحدة (وخاصة في ما له صلة بهداية الأمة) ـ وما يعنيه ذلك من انه ليس وحياً، فقوله مخالف لقول القرآن.

اما اذا بحثنا قول عمر من الناحية العقلية والعرفية فهو ان الهذيان يصدق على من يُحتمل منهم الهذيان، طبعاً فيما اذا صدر منهم كلام يخالف العقل. ولكن كلام رسول الله لم يكن مما يخالف العقل، اذ انه لم يكن سوى تكرار لجمل من حديث الثقلين، ومما كان النبي قد قاله من قبل في موسم الحج وفي غدير خم، أي ما إن تمسكت به الامة فلن تضل الى يوم القيامة، وهذا قول سبق ان اعلنه الرسول في الحج وفي غدير خم، وكان عمر حاضراً

هناك ولم يُقل ان النبي يهذي، لأنه كان بين مائة ألف من المسلمين الذين كانوا قد قَدِموا من مختلف بقاع العالم الاسلامي، ولو سمعوا كلاماً مغايراً للواقع بشأن الرسول لعاقبوا قائله شر عقاب. خاصة وان اكثرية الجموع التي حضرت يومذاك كانت قادمة من المدن الاخرى ولم تكن تعرف شخصاً آخر غير رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وعلى أية حال لم يظهر عمر مخالفة هناك، بل تفيد بعض الروايات انه هنّأ علياً بمناسبة تعيينه ولياً للمسلمين. إذاً فما قاله النبي اثناء مرضه لم يكن مما يخالف العقل.

ولو نظرنا الى موقف عمر من وصيّة أبي بكر في اثناء وفاته، وهل ان عمر لا يجيز حقاً وصية المريض حين وفاته، أم ان ذلك الموقف الحساس اتّخذه عمر بخصوص وصية رسول الله التي كان يريد فيها ان يوصي بالعترة؟

نلاحظ ان أبا بكر لم يكن في حالة طبيعية ـ كما حكى عمر نفسه ـ وقد أغمي عليه عدّة مرات اثناء الوصية. وقد اوصى أبو بكر بخلافة عمر من بعده وهو في حالة من الصحو والغيبوبة ـ كما نقل عمر نفسه ـ وقد كتب عثمان بن عفان الاموي وصيّة ابي بكر بحضور عمر.

ولم يمنع عمر من كتابة وصية ابي بكر مع ما كان عليه من حالة المرض الشديد حيث كان بين الصحو

والغيبوبة، ولم يصفه بالهذيان. في حين ان الهذيان ممكن لغير النبي. والهذيان غير ممكنٍ من الرسول فقط (وخاصة في ما يتعلق بهداية الأمّة)، بل ان كلام النبي ـ وفقاً لقول الله تعالى ـ ليس الا وحياً.

إذاً ينبغي الرجوع الى مفاد الوصيّتين وملاحظة الفارق بينهما، لمعرفة ما هو الفارق الهائل بينَ وصية النبي ووصية ابي بكر، بحيث حرص عمر على منع كتابة وصية النبي ولم يمنع كتابة وصية أبي بكر.

موقف عمر اثناء وصيّة ابي بكر:

كان محتوى وصية أبي بكر استخلاف عمر بن الخطاب من بعده. وأما محتوى وصية النبي فلم يكن تفويض الرئاسة لعمر ولا لابي بكر. بل كانت كتابة هذه الوصية حول العترة، وكان الرسول قد أدلى بها شفاهاً في موسم الحج وفي غدير خم، ومن الطبيعي ان كتابتها كانت ستؤدّي الى تفويت الفرصة على الجماعة العمرية ومنعها من الاستيلاء على السلطة من بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وذلك لأنه ورد في حديث الثقلين ان حفظ الامة من الضلال انما يكون بالاتّباع التام للعترة، أي الاتباع التام لعلي بن أبي طالب وابنائه من ذريّة النبي، وعند ذاك لا تبقى أية فرصة لتسلط ورئاسة الجماعة العمرية على الامة (سواء ابي بكر وعمر) وهذا هو محتوى وصية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) التي أغضبت عمر.

إذاً ليس هناك من حجّة على الله ورسوله في الاعلان عمّا ينبغي ان تتمسّك به الأُمّة لكي لا تضل الى يوم القيامة، وكما قال الله العظيم في كتابه الكريم:

(وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ) [1].

ان اتباع الامّة لغير العترة الهادية يعني اتباعهم لأبي بكر وعمر للذان فصلا القيادة السياسية عن

1. سورة التوبة، الآية 115.

العترة أي عن القيادة العلمية، وادّيا الى استبعاد العترة الهادية ومهّدا السبيل لمجيء بني أُمية الى الحكم مثل عثمان الاموي ومعاوية، وهو ما انتهى بالنتيجة الى وقوع حرب اهلية بين المسلمين وبلغت الفرقة غايتها، وقسِّمت الامة الاسلامية الى أجزاء صغيرة وغدت ضعيفة امام الكفار وواهنة حتى في مقابل ستة ملايين من اليهود.

تقسيمات المهاجرين:

1ـ فئة قربى رسول الله الذين كانوا أشد حماته والذابّين عنه، وهم بنو هاشم الذين لم يفارقوا النبي حتى في مكّة قبل الهجرة ولا حتى في شعب أبي طالب.

2ـ الفئة الثانية: مهاجرو قريش من غير بني هاشم. وكانوا قبل الهجرة يتظاهرون بالاسلام أمام النبي، ولكنهم لم يؤازروه ابداً في شعب أبي طالب، بل انهم تعاونوا مع المشركين عملياً في الحصار الاقتصادي ضد بني هاشم. وبعد الهجرة أيضاً اتخذوا موقفاً معارضاً من معركة بدر وما كانوا يريدون لها ان تحصل لأنّهم كانوا يكرهون محاربة اقاربهم القرشيين. وقد ورد وصف ذلك الحال في اول سورة الانفال في قوله تعالى: **(كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ)**[1] وفي معركتي احد وحنين فروا من ساحة المعركة بمجرّد ان شعروا بهزيمة المسلمين[2]، وتركوا النبي بين الاعداء. بل انهم اسرّوا البغض والضغينة لبني هاشم بعد مقتل اقاربهم على يد النبي وبني هاشم في

---

1. ذكر ذلك مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر، ج 5، ص 17. ***مسند احمد***، ج 3، صص 219 – 257.
ونص عبارة مسلم كالآتي: فتكلم أبو بكر فاعرض عنه، ثم تكل عمر فاعرض عنه...
2. البخاري ومسلم وغيرهما في باب غزوة حنين.

معركتي بدر واحد، مثلما حقد اقاربهم في مكّة على بني هاشم. وحتى بعدما اجبروا على التظاهر بالاسلام في اعقاب فتح مكّة بقي بعضهم مثل "بني أمية وبني مخزوم يحملون في قلوبهم ذلك الحقد والبغض لرسول الله ولبني هاشم وخاصة علي بن أبي طالب، وبقوا يتحيّنون الفرص للثأر من بني هاشم لدماء اقاربهم المشركين الذين قتلوا في معركتي بدر واحد".

وصف العباس بن عبد المطلب للنبي حالة قريش في التعامل مع بني هاشم قبل وبعد معركتي بدر وأحد، على النحو التالي: دخل العباس بن عبد المطلب على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مغضباً وانا عنده فقال: ما اغضبك؟ قال يا رسول الله ما لنا ولقريش اذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة واذا لقونا لقونا بغير ذلك، قال (ربيعة) فغضب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتّى احمرّ وجهه ثم قال: والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله. ثم قال: يا ايها الناس من آذى عمّي فقد آذاني فانما عمّ الرجل صنو ابيه[1].

3ـ الفئة الثالثة: المهاجرون من غير قريش، من امثال عمار بن ياسر وابوه وامه الذين كانوا من اليمن

---

1. الترمذي، ***سنن الترمذي***، باب مناقب العباس بن عبد المطلب، نقلاً عن عبد المطلب بن ربيعة.

أصلاً، والمقداد بن الأسود، وبلال الحبشي، وغيرهم. ولم يكن هناك ثمة عداء بين هذه الفئة (اي المهاجرين من غير قريش) وبين بني هاشم، الا الدهم من كان أصلهم من يهود خيبر ومن لف لفّهم، اذ ان هؤلاء اليهود قد اسرّوا في قلوبهم الحقد والضغينة بسبب مقتل أقاربهم من اليهود بأيدي المسلمين وخاصة علي بن أبي طالب، فأبغضوه وابغضوا بني هاشم. وهنالك أيضاً الفئة التي خرجت من ديارها من أجل الاستيلاء على الرئاسة والسلطة، وتنازعوا في السقيفة، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لهم: "ستحرصون على الامارة وتكون ندامة يوم القيامة".

ننقل ما يلي نص قول عمر بن الخطاب (وقد وردت فيه كلمة مخالفة علي من العترة لسلطة ابي بكر) الذي ورد في كتب الحديث، حيث جاء في ابواب الحدود، في باب حد رجم الحبلى، ما يلي[1]:

> ثم انه بلغني ان قائلاً منكم يقول والله لو مات عمر بايعت فلاناً، فلا يغترنّ أمرءٌ ان يقول انما كانت بيعة ابي بكر فلتة وتمت قد كان من خبرنا حين توفّى الله نبيّه (صلى الله عليه وسلم) "ان الانصار خالفونا"

1. البخاري، باب الحدود، باب حد رجم الحبلى.

واجتمعوا بسرهم في سقيفة بني ساعدة و "خالف عنا علي[1] والزبير ومن معهما" واجتمع المهاجرون[2] الى ابي بكر فقلت لابي بكر: انطلق بنا الى اخواننا هؤلاء من الانصار. فانطلقنا نريدهم فلما دنونا منهم لقينا رجلان منهم صالحان فذكرا ما تمالأ عليه القوم فقالا: اين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد اخواننا هؤلاء من الانصار. فقالا: لا عليكم ان تقربوهم، اقضوا امركم. فقلت: والله لنأتينهم. فانطلقنا حتى اتيناهم في سقيفة بني ساعدة فاذا رجل مزمّل بين ظهرانيهم فقلت: من هذا؟ قالوا: سعد بن عبادة. فقلت: ما له؟ قالوا: يوعك. فلمّا جلسنا قليلاً تشهد

---

1. الترمذي: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رحم الله علياً اللهم ادر الحق معه حيث دار؛ البخاري قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) علي مني وانا منه؛ الترمذي، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ان علياً مني وانا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي. ونقل البخاري في مناقب علي ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لعلي: انت مني بمنزلة هارون من موسى.
وقال رسول الله: اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ابداً.
2. المهاجرون القريشيون (من غير الهاشميين) الذين كانوا يبغضون بني هاشم حسب قول العباس.

خطيبهم فاثنى على الله بما هو اهله ثم قال:
"اما بعد فنحن انصار الله وكتيبة الاسلام وانتم معشر المهاجرين رهط وقد دفّت دافة من قومكم"، فاذا هم يريدون ان يختزلونا من اصلنا وان يحضنونا من الامر فلما سكتَ اردت ان اتكلم وكنت زودت مقالة اعجتني اريد ان اقدمها بين يدي ابي بكر، وكنت اداري منه بعض الجدّة. فلما اردت ان اتكلم قال أبو بكر على رسلك، فكرهت ان اغضبه. فتكلم أبو بكر وكان هو احلم مني واوقر. والله ما ترك من كلمة اعجتني في تزويري الا قال في بديهتها مثلها او افضل حتى سكت. فقال: ما ذكرتم فيكم من الخير فانتم له اهل، ولن يعرف هذا الامر الا لهذا "الحي من قريش" هم اوسط العرب نسباً وداراً وقد رضيت لكم احد هذين الرجلين فبايعوا ايّهما شئتم فاخذ بيدي وبيد ابي عبيدة بن الجراح ـ وهو جالس بيننا فلم اكره مما قال غيرها، كان والله ان اقدم فاضرب عنقي لا يقربني ذلك من اثم احب الي من ان اتأمّر على قوم فيهم أبو بكر الا ان تسول اليّ نفسي

عند الموت شيئاً لا اجده الان.
فقال قائل الانصار:
«انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا امير ومنكم امير، يا معشر قريش".
فكثر اللغط و"ارتفعت الاصوات" حتى فرغ من الاختلاف (قلت): ابسط يدك يا أبا بكر. فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الانصار. ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة. فقلت: قتل الله سعد بن عبادة.

والموضوع الذي يجب ان يبحث في هذا النص المتواتر الذي نقله البخاري ومسلم هو ما قاله أبو بكر وعمر في السقيفة من أجل ازاحة الانصار واستبعادهم عن الخلافة، حيث استندوا في ذلك الى قرابتهما من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، اذ قال أبو بكر وعمر للانصار: "فاذا هم يريدون ان يختزلونا من اصلنا وان يحضنونا من الامر ولن يعرف هذا الامر الا لهذا الحي من قريش". مع ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "يُهلكُ الناسَ هذا الحي من قريش"[1]. والذي يشير إليه قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هذا في المدينة من القريش ليس الا

1. البخاري، كتاب المناقب؛ مسلم، كتاب الفتن.

المهاجرين من قريش.

وعند مناقشة هذا القول تتبادر الى اذهاننا عدّة تساؤلات منها:

اولاً: استدل أبو بكر بالنسب والقرابة من رسول الله لاستحقاق الخلافة، فان كان الأمر كذلك فعلي بن أبي طالب احق الناس بها لأنه اقرب الناس قرابة الى رسول الله[1] وهو اقرب إليه من ابي بكر وعمر، وكان دفاعه عنه اكثر في شعب أبي طالب وفي المعارك والغزوات.

ثانياً: ان كانت الخلافة لا تكون الا في قريش، فلماذا قال عمر اثناء وصيّته الى شورى الخلافة: لو كان سالم مولى ابي حذيفة (وكان من انصاره على هضم السلطة) حياً لاستخلفته، ولو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته. ولما جعلت الخلافة الى الشورى، مع ان سالم مولى حذيفة كان اعجمياً غير عربي، فما بالك بان يكون قرشياً، أي ان سالم لم يكن من قريش[2].

وقال عمر أيضاً: لو كان معاذ بن جبل حياً لاستخلفته[3] ولما جعلتها الى الشورى. في حين ان معاذ بن جبل كان من الانصار وليس من قريش، بينما قال أبو بكر وعمر في السقيفة بأن الخلافة

---

1. ***العقد الفريد***، ج 4، ص 274؛ ***تاريخ الطبري***، حوار المهاجرين والانصار في السقيفة.
2. ***تاريخ الطبري***، قصّة الشورى (الشورى العمرية).
3. ابن شبّة، ***تاريخ المدينة***، باب مقتل عمر.

لقريش وليس للانصار. اذاً فكيف قال عمر عند وفاته: "لو كان سالم مولى حذيفة حياً لاستخلفته، او لو كان معاذ بن جبل حياً لاستخلفته"، مع انهما لم يكونا من قريش.

ثالثاً: اوصى أبو بكر بالخلافة الى عمر. وهذا العمل مخالفة صريحة من أبي بكر لسنّة رسول الله (صلى الله عليه وسلم). وذلك لأنه إن كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد عين عليَّ بن أبي طالب في غدير خم خليفة من بعده، فلماذا عارض أبو بكر وعمر وحالا دون وصول علي الى الخلافة؟ وان كانت سيرة رسول الله عدم تعيين خليفة من بعده، (وعدم الوصيّة الى أحد بعينه) وترك الأمة لتختار من ترتضيه، فلماذا لم يترك أبو بكر الأمر للامّة لتختار من بعده من تشاء؟ ولماذا خالف أبو بكر وعمر سيرة النبي أيضاً؟

وكذلك خالف عمر وصيّة النبي اثناء وفاته (عندما طلب النبي القلم ليكتب الوصية)، بينما لم يُخالف كتابة وصية ابي بكر، في حين كان أبو بكر في حالة مرض شديد بحيث كان يُغمى عليه بين الحين والآخر.

رابعاً: ان ما طُرح في السقيفة "عبارة عن ان كل فريق كان يريد الرئاسة لنفسه". أي انه كان عبارة عن حب الرئاسة، والأنانية، والمنافع الشخصية. وهذا ما ظهر بكل وضوح من خلال العبارات التي نقلها عمر نفسه

حول السقيفة حيث قال بأن الانصار كانوا يريدون الخلافة لأنفسهم، بينما كان المهاجرون الذين حضروا السقيفة يريدونها لأنفسهم. ولم يكن أي من هذين الفريقين يفكّر بمصلحة اكثرية الأمة ولا مصالح الاسلام ولا باستفتاء رأي المسلمين بشكل محايد ولا اتباع وصايا النبي الذي اوصى بعدم مفارقة القرآن والعترة، حيث كانت عترة رسول الله ـ حسبما نقل عمر ـ أي علي بن أبي طالب، في الجهة المعارضة تماماً لخلافة ابي بكر وعمر.

واما اتباع السلاطين الذين كانوا يريدون اضفاء المشروعية على حكم ابي بكر من خلال التمسّك بآية الشورى، فلابد من الردّ عليهم بالقول:

1ـ ان أبا بكر وعمر ما كانا يعتقدان "بانتخاب الحكومة من قبل الامّة" ولهذا السبب لم يفوّض أي منها قضية اختيار خليفته الى الامّة، بل ان أبا بكر اوصى لعمر بالخلافة مثلما اعلن عمر نفسه. كما ان عمر لم يترك الأمر للامّة لتختار من ترضاه وانما عين ستّة اشخاص وامرهم ان يختاروا واحداً من بينهم، وكان من الواضح حتى قبل ان تجتمع بأنها ستختار عثمان، لأنه لم يجعل أياً من اصحاب علي من امثال ابي ذر وعمار بن ياسر وغيرهما في تلك الشورى، في حين كان في تلك الشورى المؤلّفة من ستة اشخاص ثلاثة يُحسبون على بني امية، وهم عثمان

الاموي، والآخر صهر عثمان وهو عبد الرحمن بن عوف، والثالث ابن عم صهره وهو سعد بن ابي وقّاص الذي كان امويا أيضاً من جهة امّه، ولم يكن موالياً لعلي بل بالعكس كان شديد البغض له. ولذلك لم يبايع علياً بعدما صار علي بن أبي طالب خليفة. والشخص الآخر هو طلحة ابن عم ابي بكر الذي كان يبغض علياً واثبت بغضه له لاحقاً في محاربته له في معركة الجمل. وكما نقل الطبري في قصّة الشورى العمرية، ان عمر قال لهم اذا انقسمت الشورى الى مجموعتين متساويتين، فالرأي للمجموعة التي فيها (صهر عثمان وهو) عبد الرحمن بن عوف. واضربوا رقبة من يكون في الأقلية (ويبدو ان هدف عمر من ادخال علي في مثل هذه الشورى هو ان يكون مع الأقلية ويقتل).

اذاً لم يكن أبو بكر ولا عمر يعتقدان بالشورى والانتخاب الحر. ولهذا قلنا لو انهما كانا يعتقدان بمثل هذا المبدأ لترك أبو بكر الامر للمسلمين ولم يوص بالخلافة لعمر. ولو كان عمر يؤمن بالانتخابات الشعبية لكان:

أولاً: لم يعمل بوصية ابي بكر، او كان على الاقل يخالفها مثلما خالف وصية رسول الله، ويترك الامر للناس.

ثانياً: يترك للناس الحرية من بعده ولا يفرض عليهم تلك الشورى الخاصّة، التي كانت نتيجتها فرض عزلة على علي

ابن أبي طالب في تلك الشورى، واختيار عثمان.

ثالثاً: يجلس في داره من بعد رسول الله، بدلاً من منازعة الانصار، ومخالفة علي (وهو من العترة الهادية)، ليرى من الذي يختاره الناس وباب من يطرقون ومن يتّبعون. كان البعض يقول لو ان عمر كان يعلم بأنَّ الناس يقصدون دارهم وليس دار علي بن أبي طالب (المضحّي لرسول الله وله منه موقع كموقع هارون من موسى) لجلس في داره قطعاً. ولكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لهم من قبل: "ستحرصون على الامارة وتكون ندامة يوم القيامة".

ولكن اكثرية الناس التي كانت من غير قريش، سواء من الانصار أو من سائر الناس أو غيرهم كانوا يريدون علياً في قرارة نفوسهم. ومع انهم لم يتحركوا ضد هؤلاء المتآمرين خوفاً على ارواحهم، بيد انهم ثاروا عند انتهاء مدّة حكم رؤوس المتآمرين وخلعوا عثمان المنصوب من قبل حكومة المتآمرين، وقصدوا دار عليّ وانصاعوا لقيادته. ولكن كان الوقت متأخّراً، وذلك لأن معاوية الاموي المنصوب من قبل ابي بكر وعمر على بلاد الشام كان قد اخضع تلك البلاد لسلطته تماماً، وكان يرفض الانصياع لحكومة علي.

واما عائشة (التي ضرب الله لها ولحفصة مثلاً في سورة التحريم بامرأة لوط وامرأة نوح) فما كانت قادرة

ابداً على الرضا بحكومة علي. ورغم ان الله قد أمرها كزوجة للنبي في سورة الاحزاب (**وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**) الا انها تمرّدت على علي وتحالفت مع اعداء علي في الحجاز وتآمرت مع معاوية ولم تترك حكومة عليّ تبسط سلطتها على كل ارض الاسلام او تستتب لها الامور. واخيراً وفي اعقاب مقتل علي على يد الخوارج ـ وهي الحركة التي افرزها هذا التمرد وهذه الحروب ـ تسلّط الامويون على المسلمين ثانية.

وعلى اية حال، فان انثيال الناس من بعد عثمان على دار علي وليس دار أحد آخر، يكشف بحد ذاته على مدى محبّة المسلمين له. كما ان ثورة المسلمين على اثر شهادة الحسين بن علي، والقضاء على بني أميّة بيد الموالين للحسين بن علي (سبط رسول الله) يدل على مدى الوجاهة بين المسلمين لعلي وأولاده من آل محمد. ولذلك لو لم يخالف أبو بكر وعمر علياً والعترة الهادية منذ البداية، وفوّضوا زعامة المسلمين (طبقاً لوصايا النبي) بتمامها وكمالها الى علي بن أبي طالب والائمة من عترة آل محمد، لما حصلت اية فرقة وضلال يهدد الاسلام ـ كما صرّح بذلك نبي الله ـ بل لكان قد اتيح لعلي بن أبي طالب ان يبسط حكومة العدل التام ولجعل العالم كلّه ينعم بالعدل في ظل حكومة العدل الاسلامي الصحيح، ولما كانت هناك

ذريعة بيد اعداء علي باسم مقتل عثمان.

2ـ فضلاً عن قول الله تعالى في سورة الاحزاب:

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً).

أي ان رأي الناس واختيارهم انما يكون حيث لم يأمر الله ورسوله بأي حكم. ولكن حيثما أمر الله ورسوله بشيء، مثل الامر بخلافة العترة الهادية: وهم علي (وأولاده الأحد عشر من آل محمد بأمر الله ورسوله)، لا يبقى هناك ثمة موضع لرأي واختيار الامّة في مقابل امر الله ورسوله، لكي يختاروا شخصاً آخر. ولكن خلاصة الأمر هي ان أبا بكر وعمر ما كانا يعتقدان بآيات الشورى ولم يستندا اليها ولم يحتجّا بها، وانّما اوصيا بالخلافة لكي لا يتسنّى للناس ان يختاروا من يرتضون للخلافة، هذا اولاً. وأما ثانياً: فحتى لو اختار الناس من يشاؤون فان الله تعالى قد قال في سورة الأحزاب:

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ).

وقد بين الله للناس واجبهم عندما امرهم بطاعة العترة، ولا يحق لأحد ان يخالف امر الله بأن يختار احداً آخر من غير عترة النبي.

ـ ادّعى فريق آخر بأن خلافة ابي بكر

حظيت في ختام الامر بقبول جميع الصحابة واصبحت موضع قبول واجماع الامّة كلّها، وحتى علي بايع أبا بكر. وهذا القول ينقضه عمر نفسه في ما قاله حول منازعته للانصار في السقيفة، ومخالفة علي وانصاره له، حيث قال عمر صراحة: "لقد خالفنا علي واصحابه، وخالفنا الانصار أيضاً". اضافة الى ان رئيس الانصار من الخزرج، أي سعد بن عبادة لم يبايع أبا بكر وعمر قط الى ان اغتيل. واصابع الاتهام موجهة الى عمر في انه كلّف المغيرة بن شعبة بقتله، وقد قُتِل في الطريق واشيع بأن الجن هم الذين قتلوه (في حين لا يقر أي عاقل بأن الجن ترمي احداً سهماً وتقتله).

أما بالنسبة الى عليٍّ فقد هجموا على داره[1].

اضافة الى ذلك يعني ان الاجماع لم ينعقد على خلافة ابي بكر فقد ورد في كتب الحديث في باب حد رجم الحبلى، ان بيعة ابي بكر عن قول عمر كانت فلتة، أي ان اجماع الامة في زمن عمر بن الخطاب كان على ان بيعة ابي بكر كانت فلتة.[2]

---

1. راجع: ***الامامة والسياسة*** لابن قتيبة؛ ***تاريخ الطبري***، وغير ذلك.
2. البخاري، ابواب الحدود، باب رجم الحبلى.

ملحقات الكتاب

سورة الأحزاب، الآية 33

(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً).

هذه الآية شبيهة تماماً بالآية التاسعة والعشرين من سورة يوسف في تغييرها لوجهة الخطاب:

(يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَ اسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ).

فقد جاء الخطاب في اول الآية 29 من سورة يوسف، بصيغة المذكّر (**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا**) ثم تغيّر الخطاب فجأة الى صيغة المؤنث (**اسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**). وكذلك ورد الخطاب في اول الآية 33 من سورة الاحزاب بصيغة جمع المؤنّث، اضافة الى ان كلمة "بيوت" التي اضيفت اليهن وردت بصيغة الجمع، ولكن آخر الآية جاء الخطاب بصيغة جمع المذكّر مرّتين. ووردت كلمة البيت بصيغة المفرد المحلّى بالالف واللام وهو يفيد ان المراد هو بيت معروف بعينه، وليس كلمة بيوت التي وردت بصيغة الجمع (والمقصود من كلمة بيوت في اول الآية، بيوت زوجات النبي) وانما قصدت بيتاً معيّنا[1]

---

1. على ما روى جابر بن عبد الله الانصاري عن فاطمة انها قالت: دخل عليّ أبي رسول الله، أي ان البيت انما هو بيت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه

واكثر المخاطبين في هذا البيت من الذكور. ولهذا ورد الخطاب في هذه الآية بصيغة ضمير المذكر، وهم كما جاء في الحديث المتواتر: النبي، وعلي، والحسن بن علي، والحسين بن علي، وفاطمة الزهراء سيدة نساء اهل الجنّة.

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا).

الوجه الآخر من الشبه بين الآيتين المذكورتين آنفاً هو ان الخطاب الى يوسف (في سورة يوسف) جاء من غير تعريض بالضعف واظهار الخطأ من يوسف، واما في الخطاب الى زليخا ففيه تعريض بضعفها واظهار خطئها.

(يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا)ـ (وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ).

وفي الآية 33 من سورة الاحزاب وكذا الآيات التي سبقتها، جاء الخطاب الموجّه الى زوجات الرسول فيه تعريض واضح بحب البعض منهن للدنيا، واحتمال وقوعهن في فاحشة مبينة.

(يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ

وسلم) وان النبي هو الداخل على هذا البيت حين نزول الآية دون بيوتات ازواجه. فالمراد من اهل البيت في الآية هم اهل هذا البيت فقط دون غيرهم من اهل بيوتات نساء النبي، فلم تشمل ارادة الله التطهير الخاص بخطاب ضمير جمع المذكر الا اهل هذا البيت؛ يعني علي وفاطمة والحسنين ورسول الله الذي هو أبو فاطمة وسيدهم.

ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً). (وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لله وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً).

والظاهر من معنى هذه الآية انها قسّمت نساء النبي بحرف «من التبعيضية» الى قسمين: قسم منهن يقنتن لله ويعملن صالحاً، وقسم آخر ليس كذلك.

وهذه الآية التي فيها هذا التعريض بنساء النبي تذكّر المرء بما جاء في سورة التحريم حيث ذكر الله كلاّ من عائشة وحفصة بغضب وقال حتى وان كانت المرأة زوجة لنبي فان ذلك لا يمنع من دخولها النار فيما لو صدر منها عمل غير صالح، مثلما كان الحال بالنسبة الى امراة نوح وامرأة لوط اللتين لم يغن عنهما ذلك من الله شيئاً وادخلتا النار بسبب ما أتيتا به من منكر. وانتما في قلبيكما انحراف وميل الى محاربة الله ورسوله، ولو تظاهرتما على النبي مرّة اخرى فلن يترك الله نبيّه وذلك أنكما اذعتما اسرار بيت رسول الله الذي امركن بعدم اذاعتها وان لا تتجسسن عليه، فقد خنتما الرسول. اليك في ما يلي نص الآية الشريفة:

(وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ * إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ

صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ).

(عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً... ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ).

كما نتذكر أيضاً بأن عائشة عصت من بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمر ربّها الذي ورد في مستهل الآية الثالثة والثلاثين من سورة الاحزاب، وقال فيه عزّ من قائل: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) وخرجت من بيتها وجيّشت الجيوش من افراد من بني امية وغيرهم وخرجوا على الامام المفترض الطاعة علي بن أبي طالب. وهجموا على أهل البصرة الذين لم تكن لهم يد في مقتل عثمان، وقتلوا عدداً من الناس الابرياء ونهبوا بيت المال وجعلوا من انفسهم مصداقاً صريحاً "للمفسدين في

الارض والمحاربين لله"، والفئة الظالمة، مما حدا بعلي بن أبي طالب باعتباره الامام المفترض الطاعة الى محاربتهم وايقافهم عند حدّهم. ولكن عائشة بقيت تبغض علي بن أبي طالب الى آخر عمرها وحتى انها كانت تكره ذكره اسمه[1]. ولما سمعت خبر استشهاده فرحت وقرّت عينها[2] ولم يكن هناك من يبغض علياً كبغض عائشة له، رغم ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: لا يبغضه الا منافق أي ان من يكرهون علياً ليس فيهم مؤمن واحد وكلهم منافقون بغير استثناء.

ومن المحال ان يكذب رسول الله، فقد نصّت سورة النجم على ما يلي: **(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)** صدق الله و صدق رسوله النبي الكريم. وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد أخبر مسبقاً بخروج عائشة، حينما كان

---

1. البخاري في ابواب الغسل والوضوء، وفي ابواب الصلاة، باب حد المريض ان يشهد الجماعة؛ ***مسند احمد***، ج 6، ص 36، عن عائشة وص 228 وص 38؛ ومسلم في ابواب الصلاة باستخلاف الامام - النسائي، جلد 1، ص 134؛ وابن ماجة، ص 117؛ وابن سعد في الطبقات، المجلد 2، القسم الثاني، ص 28 - 29.

2. ابن سعد في الطبقات، المجلد الثالث، القسم الاول، ص 27؛ قالوا وذهب بقتل علي الى الحجاز... فبلغ ذلك عائشة فقالت:

والقت عصاها كما قرّ عيناً بالاياب
واستقرت بها النوى المسافر

(وهذا المثل يضرب اذا حصلت الراحة بعد الشدة وحصل الفرج بعد الكرب).

في المسجد فأشار الى دار عائشة وقال:
"ها هنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان"[1].
ولكن قد يُتَصَوَّر بأن الخطاب الذي ورد هنا (الآية 33 من سورة الاحزاب)

---

1. البخاري، في ابواب الخمس في باب ما جاء في بيوت ازواج النبي صلوات الله عليه، والمجلد الرابع، ص 46، قام النبي (صلى الله عليه وسلم) خطيبا فاشار نحو مسكن عائشة فقال: "ههنا الفتنة ثلاثاً من حيث يخرج قرن الشيطان".
مسند احمد، ج 2، ص 23، خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من بيت عائشة فقال: "رأس الكفر من ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان".
وكذلك في المجلد الثاني في صفحة 26، نقل ابن سعد في الطبقات، المجلد 8، ص 150، ان النبي (صلى الله عليه وسلم) قال لازواجه: ايكنّ اتقت الله ولم تأت بفاحشة مبينة ولزمت حصيرها فهي زوجتي في الآخرة.
وكذلك ابن سعد في نفس المصدر، المجلد 8، ص 150، بسند آخر، وبسند ثالث أيضاً.
البخاري في ابواب الفتن (المجلد الثامن، ص 97).
عن أبي بكرة قال لقد نفعني الله بكلمة أيام الجمل لما بلغ النبي (صلى الله عليه وسلم) ان فارساً ملكوا ابنة كسرى قال (صلى الله عليه وسلم) لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة.
البخاري في ابواب الفتن عن ام سلمة: قالت استيقظ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليلة فزعاً يقول: "سبحان الله ماذا انزل الله من الخزائن وماذا انزل من الفتن، من يوقظ صواحب الحجرات (يريد ازواجه لكي يصلين) رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة".
البخاري في المصدر نفسه ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال:"من حمل علينا السلاح فليس منا.
سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر"، (ولاشك أنّ علي بن أبي طالب كان مؤمناً فمن قاتله كان كافراً).

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) بصيغة جمع المذكّر قد يكون شاملاً لكل بيوت رسول الله ولا يختص بنسائه فقطوانما يشمله هو ونسائه على حد سواء، وبما انه (صلى الله عليه وسلم) يدخل ضمن هذه المجموعة، فقد ورد الخطاب بصيغة المذكر (مع فائق احترامنا وتبجيلنا لعظمة ومكانة النبي الكريم). الا ان هذا التصوّر مغلوط ولا يتطابق مع الواقع طبعاً، وان جاء الخطاب في آخر الآية الثالثة والثلاثين من سورة الأحزاب بصيغة المذكر، ووقع الرسول ضمن المخاطبين، ولكن عند النظر الى قرينة الحكم والموضوع نلاحظ ان الحكم لا يشمل نساء النبي لأن الله تعالى قد اشار في هذا الخطاب الجديد، الى مخاطبيه الذين خصّهم بالتطهير حصراً، ثم ان ارادة التطهير في هذه الآية ليست ارادة تشريعية، اذ ان الارادة التشريعية لله بالتطهير والخلوص من الاثم لا يختص بأية أسرة بعينها (بل ان الله قصد في ارادته التشريعية وفي اوامره ونواهيه الشرعية ان لا يذنب كل الناس سواء منهم المؤمن او المنافق او الفاسق، وان يجتنبوا المآثم، وان كان قد صدر منهم ذهب في الماضي وكانوا منافقين أو فاسقين فعليهم ان يتداركوا انفسهم بالتوبة ولا يقعوا في المآثم والذنوب مرّة اخرى. وان كانوا لم يقترفوا أي اثم

في الماضي فعليهم ان يحاولوا البقاء في الحاضر والمستقبل على ما هم عليه من الطهارة ولا يذنبوا).

وخلاصة القول هي ان الارادة التشريعية لله تعالى لا تختص بفرد معين ولا بأهل بيت بعينه، رغم ان جملة (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**) بدأت بكلمة "انما" التي تفيد الحصر، وهي ان ارادة التطهير من قبل الله خاصة بأهل هذا البيت دون سواهم.

كما تحدثت الآية 41 من سورة المائدة حول المنافقين وبعض الكفار الذين يكفرون بالله عن علم وعمد، وقالت بأن الله لا يريد ان يطهرهم:

(**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**)[1].

إذاً فمن غير الممكن ان تكون ارادة الله في هاتين الآيتين إرادة تشريعية؛ بل ان ارادته في هاتين الآيتين ارادة تكوينية قطعاً.

اما بالنسبة الى المخاطبين في آية التطهير (وهم النبي وفاطمة وعلي والحسنين) فبما انهم كانوا يسعون ويحاولون عدم الوقوع في الذنوب والآثام ولا يرتكبون أي ذنب عن علم وعمد، فقد تلطّف بهم الله وصانهم من كل خطأ أو سهو، وذلك بمساعدة ملائكته

1. سورة المائدة، الآية 41.

الذين تكلموا مع مريم العذراء، فهؤلاء الملائكة ينبّهونهم ويحذّرونهم حتى في الحالات الجزئية والطفيفة لكي لا يقعوا في الأثم حتى عن جهل وخطأ، ورغم ان ارتكاب الاثم عن جهل ليس عليه عقوبة اخروية، ولكنه على اية حال نقص للعبد الخالص لله، أراد الله ان يجنّب عباده المخلصين الخاصين الاخصين من الوقوع فيه، مثلما علّم مريم العذراء بعد ولادة عيسى ان تصوم ثلاثة أيام ولا تكلم الناس، حيث انطق الله وليدها وقال اني رسول الله، لكي يدفع عن امه تهمة الفحشاء، ويبيّن للناس ان آدم صفي الله قد خلق من غير أب وأم، وان الله الذي خلقه، قادر على ان يخلق نبياً من انبيائه من غير أب: "ان مثل عيسى كمثل آدم".

ورد في اخبار متواترة[1] ان النبي (صلى الله عليه وسلم) أدخل ابنته فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة، وعلياً هارون الأمّة، والحسنين سيدي شباب أهل الجنّة، تحت كساء وقال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي وحماتي... اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً".

وعند ذاك نزلت هذه الآية، وكان المخاطبون الخاصّون لضمير جميع المذكّر هم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

---

1. مسلم، ابواب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل البيت؛ الترمذي، ابواب المناقب، باب مناقب أهل البيت.

وفاطمة وعلي والحسنين، وهي لا تشمل نساء النبي. أي وفقاً للحديث المتواتر لا تدخل نساء النبي في خطاب جمع المذكّر الوارد في آخر الآية الثالثة والثلاثين من سورة الأحزاب.

اضافة الى ذلك فان مثل هذا الخطاب من المستحيل ان يشمل نساء النبي التي وردت الآية السابقة في بعضهن وخاصة عائشة، حيث كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) غاضباً عليهن لمدّة شهر عند نزول هذه الآية لأنهن كنّ يطمعن في الحصول على اكثر من حقهنّ من بيت المال ولهذا السبب كنّ يشمتن برسول الله ويؤذينه[1].

وكان الله قد ذكر في عدّة آيات قبلها انكن ان كنتنّ غير راضيات بهذا المستوى المعاشي والانفاق اليومي يمكنكن ان تطلبن الطلاق وتذهبن لحالكن. وكانت نساء النبي قبل شهر من نزول هذه الآية موضع غضب الله بسبب هذه المطاليب غير المشروعة. اضافة الى ان الله غضب أيضاً على عائشة وحفصة بسبب تجسسهنّ على النبي واذاعة اسراره خارج داره كما ورد في سورة التحريم. وبيّن الله ان المرأة اذا كانت زوجة نبي فان ذلك لا يمنع من دخولها

---

1. الترمذي، ابواب المناقب، باب مناقب أهل البيت؛ وروى ابن ماجة قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) انا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم.

النار ان كانت تستحق دخول النار[1].

وبالاضافة الى هذه الآيات هناك أيضاً أحاديث متواترة ضد نساء النبي، فقد ورد في حديث ان النبي اشار الى مسكن عائشة وقال: "من هنا يطلع رأس الكفر"[2]. وقال أيضاً: "هاهنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان". وقد اظهرت عائشة بسلوكها بعد النبي بأنّها على رأس اعداء علي وتبغضه اشد البغض. وكان رسول الله قد قال بأنه ليس بين من يبغضون علياً مؤمن واحد وكلهم منافقون من غير استثناء. وقد قال الله عز وجل في حال المنافقين:

(لَمْ يُرِدِ اللّه أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ)[3].

وبناء على قول رسول الله بأن علياً لا يبغضه الا منافق، فذلك يعني بأَنَّ عائشة من المنافقين بشهادة رسول الله (صلى الله عليه وسلم). وقد قال الله حول المنافقين بأنّه "لم يرد الله ان يطهّر قلوبهم". وبالنتيجة فذلك يعني ان الله جل وعلا لا يريد تطهير قلوب المنافقين ومنهم عائشة. واذا قلنا بأن آية التطهير التي وردت في سورة الاحزاب تشمل عائشة فاننا نكون قد وقعنا حينذاك في تناقض والحال ان كلام الله لا

---

1. وصف الله عز وجل في كتابه الكريم وضع هاتين المرأتين بالقول: (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) أي ان قلبيكما قد انحرفا.
2. البخاري، كتاب التفسير، سورة التحريم.
3. سورة المائدة، الآية 41.

يناقض بعضه بعضاً.

اذاً كما ورد في الحديث المتواتر بأن المخاطبين في المقطع الاخير من الآية الثالثة والثلاثين من سورة الاحزاب، الذي يبدأ بكلمة "انما" هم فقط رسول الله وابنته فاطمة و سبطيه الحسنين وابيهما، علي بن أبي طالب، ولا يشمل نساء النبي، وخاصة عائشة وحفصة اللتان كانتا تبغضان علي بن أبي طالب، ومن المحال ان يشمل التطهير مبغضي ومبغضات علي[1]، لأن من يبغض علياً ـ بنص شهادة النبي ـ من المنافقين، والمنافقون ابغض الخلائق الى الله، لأنهم مع تظاهرهم بالاسلام ومعرفتهم بأحقية الاسلام وصحّة اوامر ونواهي الله ورسوله، غير انهم في باطنهم اختاروا الكفر ومخالفة الله ورسوله.

و هؤلاء الاربعة الذين شملتهم آية التطهير الى جانب النبي هم عترة النبي واهل بيته، وهم من سماهم النبي سادة اهل الجنّة، وهم الذين حضر بهم المباهلة، بعدما وعد نصارى نجران بأن يباهلهم بأهل بيته حيث لم يأخذ معه الا فاطمة وعلي والحسنين، ولم يأخذ ولا واحدة من نسائه. وصرّح

---

1. لم يرد الله تطهير المنافقين. واضافة الى الآية 41 من سورة المائدة، فقد ورد أيضاً في اول سورة البقرة قوله تعالى: (**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً**) ولو اراد الله تطهيرهم لما قال "فزادهم الله مرضاً".

في حديث الثقلين الذي ادلى به في حجة الوداع وفي مرض وفاته حيث قال: "اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما فلن تضلّوا ابداً".

وقد نقل مسلم في كتابه عن الصحابي زيد بن أرقم بأن مصداق العترة وأهل البيت الذي ورد ذكرهم في هذا الحديث، لا يشمل زوجات النبي. فهذا تصريح ادلى به بعض الصحابة وهو ان كلمة العترة وأهل البيت التي وردت في هذا الحديث لا تشمل نساء النبي. بل ومن المحال عقلاً ان تشمل العترة وأهل البيت في هذا الحديث نساء النبي، اذ طبقاً لمفاد المقطع الاول من الآية الثالثة والثلاثين من سورة الاحزاب (**وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**)، لا يحق لهن الخروج من البيت وقيادة الأمّة. ومخالفة عائشة لمنطوق هذه الآية عملياً لا يعني الا الضلال، خاصّة وان معركة عائشة مع علي بن أبي طالب الامام المفترض الطاعة وقتل أناس ابرياء من اهل البصرة وذهب بيت المال هناك، غدا كل ذلك ذريعة بيد معاوية وبني امية ليتمرّدوا ويخرجوا على الامام المفترض الطاعة وهو علي بن أبي طالب ويقسّموا ارض الاسلام التي كانت حتى ذلك اليوم موحّدة وقوية تحت قيادة امام مفترض الطاعة، وكان جزءاً منها بيد معاوية الذي خرج على الامام المفترض الطاعة وأفسد في الارض، حتى

صار عمل عائشة وبني امية مثالاً يقتدي به كل المفسدين في الارض ليقسموا ارض الاسلام الكبرى والمقتدرة الى اجزاء ودويلات، وصار المسلمون مجزّءون ومتفرّقون وعلى درجة من الضعف بحيث يستطيع بضعة ملايين من اليهود اضطهادهم وممارسة ابشع انواع الظلم بحقّهم. ونتيجة لهذا التشتت الذي أصاب المسلمين ـ بسبب ما ورثوه عن عائشة وبني اميّة ـ فقد باتوا عاجزين عن لملمة شتاتهم وجمع كلمتهم والدفاع عن حقّهم.

اذاً فالخطاب الالهي الوارد في آخر الآية الثالثة والثلاثين من سورة الاحزاب حول التطهير يشمل اضافة الى النبي، اهل بيته الذين ذكر حديث الثقلين انهم ملازمون للهداية (وهم القادة الوحيدون للامّة من قبل الله ورسوله) ومن المستحيل ان يشمل قادة التفرقة والضلال.

وعلى الرغم ان البخاري كان يخفي بغضه لعلي، الا انه كشف هنا عن بغضه لعلي "في كتاب حديثه المعروف"، من أجل ان يجعل عائشة من المشمولين بالآية المذكورة آنفاً على الرغم من بغضها لعلي، فقال بأن رسول الله كلم عائشة بعد نزول الآية الثالثة والثلاثين من سورة الاحزاب، كلّمها بصيغة جمع المذكر وقال لها: السلام

عليكم يا أهل البيت[1]. في حين اتضح لنا في ضوء ما مَرَّ من الآيات القرآنية والاحاديث المتواترة بأنه من المحال ان يشمل صيغة جمع المذكّر في هذه الآية (وهي الآية الثالثة والثلاثين من سورة الاحزاب) عائشة، فما بالك بأن يخاطب النبي امرأة واحدة بصيغة جمع المذكر، وهو شيء مغلوط في اللغة العربية. وحتى انه من غير الممكن ان يخاطب النبي جميع نسائه بصيغة جمع المذكّر، فما بالك بأن يخاطب واحدة منهن بصيغة الجمع المذكر. وهذه واحدة اخرى من اكاذيب البخاري وهي تتناقض مع القرآن والسنّة المتواترة وقواعد اللغة العربية.

1. البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة الأحزاب، الآية الثالثة والثلاثين، وهذا يتطابق مع: البخاري، ج 6، ص 25 (طبعة اسطنبول من ثمان مجلدات).

تفسير آية أولي الأمر، والطاغوت بالاستعانة بسائر الآيات

الآية 59 من سورة النساء:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً).

في الآية المذكورة آنفاً أُمِرَ المسلمون الى يوم القيامة بطاعة ثلاث، وطاعة هؤلاء الثلاثة هي الواجبة فقط، وهم اللّه، والرسول، وأولي الأمر. ومن الطبيعي ان الناس يعرفون اللّه، ويعرفون الرسول. ولكن كلمة اولي الامر تحتاج الى تفسير، والذي يفسّرها هو رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم). مثلما أمر اللّه تعالى في كتابه الكريم بالصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، وفروع الدين، بشكل اجمالي وترك للنبي مهمة تفسيرها وبيان تفصيلها و شروطها وكيفيّاتها. و كذلك خاطب اللّه تعالى في سورة النحل رسوله بالقول:

(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ).

(وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ).

ولهذا فبعدما أمر اللّه بطاعته وطاعة الرسول واولي الامر، قال بعد ذلك مباشرة:

(فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ

وَالرَّسُولِ).

ولم يقل "وان تنازعتم في شيء فردّوه الى الله والرسول واولي الأمر".

لأنه من الممكن ان يقع النزاع في تشخيص اولي الامر، خاصة وان منزلة اولي الأمر ـ حسبما تفيد به الآية المذكورة آنفاً ـ منزلة رفيعة جدّاً وتأتي من بعد الله والرسول، وهو الوحيد الذي يبقى أمره واجباً على الامّة الاسلامية مطلقاً الى يوم القيامة. واذا لم يشخص بدقّة من هم هؤلاء أولي الأمر، فقد يطمع من لديهم حب الرئاسة في الاستيلاء على هذا المنصب بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ويدّعون ولاية الامر على الناس رغم انهم غير صالحين لهذا المنصب ولا مؤهلين له، وذلك لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "انا لا نولّي هذا الأمر من سأله ولا من حرص عليه"[1].

وبالنتيجة فان الله العالم بجميع الامور قد بيّن في هذه الآية الشريفة بأنكم إن اختلفتم في شيء فعليكم بالرجوع الى الله والى الرسول. وبعبارة اخرى ان تشخيص وتعيين اولي الأمر ـ وهو أمر قد يقع فيه نزاع واختلاف ـ ينبغي الرجوع فيه الى الله والرسول. أي ان الله والرسول هما المرجع وينبغي

---

1. البخاري، ج 8، ص 107. طبعة دار بيروت (وهي طبعة بالاوفسيت عن طبعة استانبول، 1401هـ، 8 مجلّدات).

الرجوع اليهما في حل أي اختلاف أو نزاع، وحتى انهما المرجع لحل الاختلاف حول تشخيص وتعيين من هم اولي الأمر. وبما ان عبارة "وان تنازعتم في شيء" وردت مطلقة، وقد تشمل حتى معرفة اولي الامر، لذلك لم يقل "إن تنازعتم في شيء فردّوه الى الله والرسول واولي الامر"؛ وذلك لأن اولي الأمر ان لم يكونوا قد عُرِّفوا وعيّنوا من قبل الله والرسول، ولم يكن هناك ثمّة اختلاف ونزاع بشأنهم، فقد يكون الموضوع المتنازع فيه مرجعاً لرفع الاختلاف بحد ذاته. ويمكن القول بعبارة اخرى يصبح الشيء الذي هو بحد ذاته موضع نزاع واختلاف، يصبح مرجعاً لحل الاختلاف. ولهذا السبب بيّن العزيز الحكيم في الجملة التالية لهذه الآية بأنه اذا وقع بينكم نزاع او اختلاف في شيء فالمرجع الوحيد الذي ينبغي الرجوع إليه لحلّه هو الله والرسول حتى وان كان موضوع التنازع والاختلاف هو مصداق اولي الامر. أي لو وقع بينكم نزاع واختلفتم في تعيين من هم اولي الأمر، لا ينبغي لكم اتخاذ القرار من تلقاء أنفسكم، بل لابد لكم من الرجوع الى الله والى الرسول من أجل التوصّل الى المعرفة الصحيحة لأولي الأمر. ومن المحال ان يعيّن الله مرجعاً لحل الاختلاف من غير ان تكون لدى ذلك المرجع القدرة على حلّه.

إذاً يتضح بأن الصحابة لو كانوا قد

رجعوا الى الله ورسوله لمعرفة اولي الأمر، لما وقع بينهم أي نزاع، وحتى لو كان قد وقع شيء من ذلك، لتيسّر لهم حلّه بمجرد الرجوع الى الله والرسول.

كما ويتبيّن أيضاً من الآية الشريفة المذكورة آنفاً بأن رسول الله كان يفسّر سائر الآيات التي تستلزم التفسير، فكان يشرح معناها ويعيّن مصداقها. كما انه بيّن بشكل دقيق المصداق الصحيح لأولي الامر باعتباره الموضوع الاكثر أهمية من بعد معرفة الله ورسوله، ولم يترك أي مجال او ذريعة للاختلاف والفرقة والشطط عن الوحدة التي أُمرت الامة بالمحافظة عليها الى يوم القيامة. ولكن قبل الدخول في بحث السنّة النبوية المتواترة في تعيين اولي الأمر، لابد ان نشير الى ان الآية الشريفة الآنف ذكرها قد كشفت بأن اولي الأمر يجب ان يعيّنوا ويُشخَّصوا من قبل الله ورسوله. وقد عَرض الله تعالى بين ايدينا مزيداً من التوضيحات الكفيلة بمعرفة اولي الأمر في الآية الثالثة والثمانين من السورة نفسها، وذلك في قوله تعالى:

(وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ

وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً) [1].

فقد بيّن الله عز وجل في هذه الآية بأنَّ الصحابة متى ما تناهى الى اسماعهم شيئاً يستشعرون منه الخوف أو ينطوي على مخاطر، يسارعون الى اشاعته وبثّه بين الآخرين، ولو انهم ـ بدل ان يشيعوا ذلك الخبر ويبثّوه بين الناس ـ يسارعون الى ردّه الى النبي أو الى اولي الأمر فقط، فهؤلاء يعرفون الطريق الصحيح للاستنباط من القرآن والسُنّة. أي ان الرسول واولي الأمر هم فقط الذين يعرفون القضايا الأمنية والمخاطر ـ وهي امور تتعلق بالسياسة والحكومة ـ عن طريق القرآن والسنّة. كما ان اولي الامر من بعد الرسول هم وحدهم (من بين الصحابة والتابعين) الذين يستطيعون استنباط اسس التعامل الصحيح من القرآن والسنّة لحلّ كل قضية سياسية وامنية. أيان اولي الامر من بعد رسول الله، هم العالمون الكاملون بالقرآن والسنّة، وهم وحدهم القادرون على التعاطي مع القضايا السياسية والأمنية عن طريق القرآن والسنّة. وعموم الصحابة والتابعين ليست لديهم مثل هذه القدرة الاستنباطية. أي ان اولي الأمر ـ كالرسول ـ افراد افذاذ لا نظير لهم في القدرة على معرفة مصاديق امر الله والرسول.

---

1. سورة النساء، الآية 83.

وعندما نضع هذه الآية الى جانب الآية السابعة من سورة الرعد، حيث يقول: (**إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**)، او الى جانب السنّة النبوية المتواترة حيث يخاطب النبي (صلى الله عليه وسلم) الامة بالقول: "اني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي، ما ان تمسكتم بهما لن تضلّوا ابداً" أي ان العترة من بعدي، هم فقط العالمون الكاملون بكل القرآن والسنّة. ويمكنهم استنباط الحكم الصحيح لكل واقعة وقضية امنية وسياسية، من الكتاب والسنّة.

وكذا ما ورد في حديث الثقلين الذي يقول فيه صلوات الله عليه بأن التمسّك بالقرآن والسنّة، ينجيكم من الوقوع في الضلال الى يوم القيامة. "ويفهم من كل ذلك بأن الله قد جعل بين الامّة اماماً من العترة الى يوم القيامة لتتمسّك به وتتبعه لكي لا تقع في الضلال". وهذا ما يقوله القرآن أيضاً في الآية الشريفة: (**لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**) وهو ان الله لا يترك أي قوم من غير هاد الى يوم القيامة، بل لابد ان يكون هناك بين الأُمّة هاد بحق وهو ـ بناءً على ما تفيد به السنّة النبوية ـ امام من العترة.

ويمكن ايجاز الكلام بالقول بأنه في ضوء ما تفيد به الآية: (**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ**) التاسعة والخمسين من سورة النساء

فان المرجع الذي يُصار إليه في رفع كل نزاع ومن جملة ذلك نزاع معرفة اولي الأمر، هو الله والرسول. وكذلك استناداً الى ما ذهبت إليه الآية الثالثة والثمانون من سورة النساء: (**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ**) **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ...**) بأن اولي الأمر هم وحدهم القادرون ـ بعد رسول الله ـ على الاستنباط الصحيح من القرآن والسنّة. وهكذا أيضاً بالنسبة الى الآية (لِكُلِّ قَوْم هَاد)، وكذلك ما ورد في حديث الثقلين حيث قال النبي بأنه من بعد القرآن، يبقى الأئمة من العترة النبوية هم وحدهم وسيلة الهداية وهم الهداة الذين رتّبهم الله لهذه المناصب بحق.

(**أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى**) [1].

هاتان الآيتان اعتبرتا الامام بحق واجب الاتّباع فحسب، وهم الانبياء والأئمة المعينون من الله وهم معصومون وعالمون كاملون. ويتضح من ذلك بأن اولي الأمر، المنصوبين لهذا المنصب من الله ورسوله، وهم وحدهم الهداة بحق، وهم فقط القادرون في جميع الحالات على الحكم استناداً الى القرآن

1. سورة يونس، الآية 35.

والسنّة، هم اولئك الهداة بحق الذين قال عنهم الله في كتابه الكريم: (**وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**). كما ان الرسول قال أيضاً بأن الائمة من العترة هم الهداة بحق الى يوم القيامة. وبالنتيجة من المحال ان يكون الهداة بحق غير اولي الأمر، وذلك لأن الجائز والواجب هو اتباع الهادي بحق فحسب. وبما انه بعد طاعة الله والرسول تكون طاعة اولي الامر واجبة فقط، فمن غير الممكن ان يكون ولاة الأمر غير الهداة بحق من العترة، وهم الذين عيّنهم الرسول بأمر الله ليكونوا قادة للامة من بعده، وهم معصومون طبعاً.

ونخلص من كل ذلك الى ان اتباع "غير الأئمة من العترة"، حرام، والأئمة من غير العترة كلهم ائمة ضلال بلا استثناء، ومن المحال ان يكونوا هم اولو الأمر.

أما على الصعيد التاريخي فقد ذكرنا من قبل بأنَّ خلافة ابي بكر وعمر قد انتهت الى خلافة بني امية الذين هدموا الدين ومنعوا كتابة الحديث. ولولا شهادة الامام الحسين بن علي سبط رسول الله (وأحد سيدي شباب اهل الجنّة والمشمول بآية التطهير وآية وجوب مودّة ذي القربى)، وهي الشهادة التي أدّت في ما بعد الى اندلاع تلك الثورة الشعبية التي انهت حكم بني اميّة، لاستمرت حكومة بني أمية التي يذكر بعض رموزها ـ كما كان الحال بالنسبة

الى يزيد ـ رسالة النبي، ولاستمر منع كتابة الحديث النبوي، وهو ما كان يعني بطبيعة الحال ان الاسلام كان سيطمَس بعد عدة قرون ولما كان له أي اثر.

وقد حرّم الله في كتابه الكريم طاعة الطاغوت:

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً) [1].

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَآ أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا) [2].

(فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا) [3].

كان هناك بعض اصحاب الرسول الذين يعتبرون انفسهم مؤمنين بالله وبالكتب السماوية، كان عندما يحصل بينهم وبين بعض اليهود نزاع حول اموال أو اشياء دنيوية اخرى، كان عليهم الرجوع الى قاض او الى حكم ليحكم بينهم. ورغم ان اليهودي كان على

---

1. سورة النساء، الآية 60.
2. سورة النساء، الآية 61.
3. سورة النساء، الآية 65.

استعداد لقبول التحاكم الى النبي، غير ان الصحابي الذي تشير إليه الآية طلب من اليهودي التحاكم الى قاض يهودي (على خلاف الرجل اليهودي الذي كان يريد الاحتكام الى النبي) لأن الحق كان للرجل اليهودي، والصحابي يعلم بأنهما لو تحاكما الى النبي فسيحكم عليه النبي باعادة الحق الى صاحبه، ولكن لو تحاكما الى قاض يهودي فهو يستطيع دفع القاضي اليهودي الى اصدار حكم لصالحه سواء بالرشوة او بما له من علاقة شخصية معه.

وقد ذم الله تعالى في الآية الستين من سورة النساء ذلك الصحابي مبيّناً بأنّ ذلك الصحابي كان يعتبر نفسه مؤمناً بالله ورسوله والقرآن والكتب السماوية، فكيف يريد التحاكم الى الطاغوت، وهو الحاكم بغير ما انزل الله ليحكم له بغير الحق؟ في حين انه أمر ان يكفر بالطاغوت.

ويفهم من خلال دراسة الآية الستين بأنها نزلت من غير شك في صحابي من صحابة رسول الله احتكم الى قاض يهودي. ومصداق الطاغوت في هذا المجال هو هذا القاضي اليهودي. ولكن ليس هناك ثمة شك أيضاً بأن المصداق الخاص لا يخصص الحكم بذلك الفرد في مجال الاحكام العامّة، وانّما يبقى الحكم عاماً، وخاصّة في الآية 256 من سورة البقرة التي اعتبرت الكفر بالطاغوت

بشكل عام ومطلق سبباً للنجاة:
(فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى)[1].

وكذلك ما ورد في الآية الستين من سورة النساء:
(يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ).

وهذا طبعاً حكم عام ولا يختص بهذا القاضي اليهودي بعينه، وانما يحرم التحاكم الى أي قاض يهودي آخر، بل الى أي شخص آخر يحكم بغير ما انزل الله، سواء كان يهودياً او غير يهودي، يعني كل حاكم لم ينصب من قبل الله. والكفر بمثل هذا الشخص واجب.

والقضية التي تثير التساؤل هنا هي ما معنى الطاغوت؟ وهل هذه الكلمة صفة مشبّهة أم صيغة مبالغة. والظاهر انها صيغة مبالغة مشتقّة من المصدر طغى، الذي يعني العصيان والتمرّد والخروج عن حد التعادل والاتزان، كما هو الحال بالنسبة الى النهر الذي يكثر ماؤه الى درجة انه يفيض على الدور والاراضي والمزارع المجاورة له ويدمّرها، وفي مثل هذه الحالة يقولون طغى النهر. أو كما وصف الله فرعون الذي ادّعى الربوبية وطغى وتمرّد على الله:
(اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى)[2].
أي ان فرعون قد طغى، فهو طاغ، بل

---

1. سورة البقرة، الآية 256.
2. سورة النازعات، الآية 17.

انه "طاغوت" أي في أعلى درجات الطغيان، لأنه ادّعى لنفسه اعظم مخالفة لله وهي ادعاء الربوبية.

ولاحظنا بأن وصف الطاغوت لا يختص بالقاضي اليهودي، بل ولا يختص بأي قاض لا يحكم بالحق، وانّما يشمل كل قاض لا يحكم بالحق وكل من لا يحكم بما انزل الله، سواء كان فرعون او غير فرعون، بل ويشمل حتى المسلم الذي يحكم بغير ما انزل الله كيزيد بن معاوية والحجاج بن يوسف الثقفي، لأن القرآن وصف كل من يحكم بغير ما انزل الله بأنه ظالم وفاسق وكافر، على النحو التالي:

(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [1].

(وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [2].

(وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [3].

ولأن الله تعالى قسم في الآية السادسة والسبعين من سورة النساء، المقاتلين الى مجموعتين:

1ـ المؤمنون حقاً الذين يقاتلون في سبيل الله.

2ـ الكفار الذين يقاتلون في سبيل الطاغوت.

---

1. سورة المائدة، الآية 45.
2. سورة المائدة، الآية 47.
3. سورة المائدة، الآية 44.

أي ان كل من قاتلوا ضد رسول الله كانوا اتباع الطاغوت سواءً كانوا يهوداً أو مسيحيين روم او مشركي قريش، أي ان ابا سفيان عندما حارب رسول الله كان طاغوتاً. وعندما تحالف اليهود مع ابي سفيان ـ رغم انهم (يعني اليهود) كانوا يعارضون عبادة الاصنام ولم يكن أي منهم يعبد الأصنام ـ كانوا يرون ان ابا سفيان الذي يعبد الأصنام خير لهم من محمد والمسلمين. وقد ردّ عليهم الله هذا الرأي المغلوط بقوله:

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاَءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلاً)[1].

وكذلك قسّم الله المقاتلين ـ حسبما تفيد الآية السادسة والسبعين من سورة النساء ـ الى:

1ـ مقاتلين في سبيل الله.

2ـ مقاتلين في سبيل الطاغوت.

وفي الآية 257 من سورة البقرة قسم الله الناس الى مجموعتين:

المجموعة الاولى: المؤمنون الحقيقيون، وهؤلاء وليّهم الله، لأن رسول الله لا ينطق بشيء من تلقاء نفسه **(وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى)**، و**(مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلَاغُ**

1. سورة النساء، الآية 51.

الْمُبِينُ) وانّما يبيّن احكام الله، والأئمة المنصوبون من قبل الله يبيّنون الاحكام الالهية فقط ويهدون بالحق وليس في حكمهم جهل ولا خطأ **(يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا)**. اذاً أتْباع الأنبياء والائمة الالهيين يأتمرون بأمر الله فقط ويخضعون لولايته.

المجموعة الثانية: تقع في مقابل المؤمنين بالله (الذين وليهم الله) وهم الكفّار وغير المؤمنين الحقيقيين، وهؤلاء وليّهم الطاغوت وهم يأتمرون بأمره. فقد ورد في سورة البقرة ما يلي:

(اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [1].

والآن بعد ان اتّضح لنا بأن كل حاكم لم يكن من قبل الله طاغوت، وان الحكومة الالهية هي فقط حكومة النبي والامام المنصوب من الله، وهو من نصبه الله ورسوله يحكم على أساس القرآن والسنّة الواقعية فقط، يتبيّن لنا عند ذاك بأن الله قد بعث الانبياء ليخرجوا الناس من طاعة غير الله الى طاعة الله ولكي يأتمروا بأمر الله وحده، وهذا هو معنى قوله تعالى:

(وَ لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ

---

1. سورة البقرة، الآية 257.

اعْبُدُواْ اللّهَ وَ اجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ) [1].

وخلاصة القول هي ان كل حاكم غير منصوب من قِبل الله ورسوله، طاغوت يجب الكفر به كائناً من كان [2].

ولدينا شهادة من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تفيد بأن الحاكم اذا كان من العترة الهادية، أي اذا كان منصوباً من قبل الله تعالى فهو لا يخطىء في قيادة الأُمّة وهو امام حق. وهذا يعني بالنتيجة بأن كل إمام من غير العترة، طاغوت، (يخرجون الناس من النور الى الظلمات عمداً لمنافعهم او خطاءٍ لجهلهم) فما بالك إن كان يحكم بغير ما انزل الله، ويفرض عزلة على عليّ بن أبي طالب الذي من العترة، ويأتي ببني اميّة الى سدّة الحكم، من بعدما [3] تبيّن من قبل انهم ظلمة ومنافقون استناداً الى شهادة رسول الله

---

1. سورة النحل، الآية 36.
2. الذين لم يتّبعوا العترة الهادية وازاحوها عن الساحة السياسية عالمين عامدين، لكي يستولوا على زمام الحكم. ورغم ان ازاحة العترة عن الساحة السياسية يوقع الامة في الضلال، ويكون في رقابهم اثم ضلال الامّة الى يوم القيامة، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لهم: ستحرصون على الامارة وتكون ندامة يوم القيامة، وقال لهم بأن حب الدنيا والرئاسة تهلككم كما اهلكتهم، وقال أيضاً بأنّ كثيراً من الصحابة يدخلون جهنم بسبب ما يبتدعون من البدع.
3. كما خالفوا النبي في بدر الكبرى بعدما تبيّن لهم ان الحق مع النبي (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) (سورة الانفال، الآية 6).

(صلى الله عليه وسلم) الذي قال: من يبغض علياً منافق.

ويمكن القول بايجاز:

1ـ حديث الثقلين حول العترة الهادية التي جعلها النبي من بعده بمثابة منار يُهتدى به ومَعْلَماً للتمييز بين فريق الحق وفريق الباطل. وهذا الحديث مروي بالتواتر وليس فيه من تناقض.

2ـ من غير الممكن ان يكون "اتباع السلطان الذي قد يكون جائراً وحاكماً بغير ما انزل الله وطاغوتاً"، "أو اتباع الجماعة (التي تخلّت عن النبي في ساحة المعركة وتركته وحده)"، دليلاً على الاحقية والنجاة من الضلال على الدوام.

ومن غير الممكن أيضاً ان يكون أبا بكر وعمر (اللَذين لم يكونا من العترة) إمامي هدىً وحبلاً يعصم الامّة من الضلال بعدما تخلّيا عن النبي حينما حوصر في شعب أبي طالب وفي ساحة المعركة عندما شعرا بالهزيمة، وخالفا النبي في غزوة بدر وفي صلح الحديبية وعندما اراد ان يكتب وصيّته، وبعد النبي ازاحا عترته عن الساحة، واستعملوا بني امية امثال معاوية وعثمان، مما أدى ذلك بالنتيجة الى تمهيد الظروف الكفيلة بتسلّط بني امية على رقاب المسلمين، فمحقوا دين الامّة ودنيا ها وفرّقوا شملها، ثم ان الفضائل التي نسبها

اليهما مبغضو علي، أي المنافقون تتناقض تماماً مع ماضيهم وتاريخهم وحتى مع بعض اقوالهم، ومن المحال ان تكون صحيحة[1]، كما مر من قبل.

وليس ثمة شك في ان معاوية بن ابي سفيان، هو قاتل عمار بن ياسر الذي شهد له رسول الله بأنه تقتله الفئة الباغية، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): يا عمار تقتلك الفئة الباغية. لقد تسلط معاوية لا بأمر من الله ورسوله وانّما بمعصية الله الذي أمر (**أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**) بل بمخالفته للامام المفترض الطاعة وهو علي بن أبي طالب، والهجوم على نفوس واموال واعراض المسلمين، واراقة دماء الابرياء ومنهم عمار بن ياسر. فصار معاوية بذلك حاكماً بغير ما انزل الله، وحتى انّه حسبما نقل "مسلم"، كان يأمر بأكل المال الحرام واراقة الدم الحرام"، وحتى انه دسَّ السم الى الحسن بن علي وهو من ائمة عترة رسول الله الواجبة الاتباع ومن ذوي القربى

---

1. الروايات التي وردت في فضائل ابي بكر وعمر اضافة الى انها متعارضات ومتناقضات كما اوضحناه في القسم الثامن من الكتاب بل ان هذه الروايات غير متواترة وغير مقبولة عند أتباع العترة الطاهرة؛ وذلك لأن الفرقة الجعفرية واتباعها لم ينقلوا شيئاً منها ولا يقرّون صحّتها، في حين ان جميع المسلمين نقلوا حديث المنزلة وحديث الثقلين " اني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي" وحديث الغدير.

الذين أوجب الله مودّتهم في كتابه وأحد سيدي شباب أهل الجنّة، وقتله، وأوصى بالخلافة من بعده لابنه الفاسق[1] يزيد الذي قتل الحسين بن علي، (وهو من عترة النبي الواجبة الاتباع وسبط النبي، والسيد الآخر لشباب أهل الجنّة ومن ذوي القربى الذين أوجب الله طاعتهم)، ومن بعد قتل الحسين أمر يزيد بن معاوية جيشه بالهجوم على مدينة النبي واستباحها ثلاثة أيام لجيشه ليفعل ما يشاء بأعراض المسلمين واموالهم وارواحهم، بحيث انه بعد تسعة أشهر من ذلك التاريخ انجبت نساء المدينة ألف ولد زنا. ومن المثير للاشمئزاز ان جيشه قتل هناك حتى الاطفال الرضّع وزنا بنساء الصحابة. وبعدما خرج ذلك الجيش من المدينة سار نحو مكّة فاحرق أستار الكعبة وهدمها. وكان يزيد يقول بكل صلافة بأنَّ محمداً لم يكن رسولاً وانما ادعى الرسالة ليصل الى الرئاسة، وقال أيضاً لعب بنو هاشم بالسلطة والملك:

لعبت هاشم خبر جاء ولا وحي
بالملك فلا نزل

وفي ضوء كل ذلك ألا يمكن القول بأنَّ

---

1. البخاري، غزوة بدر، ج 5، ص 20 -... ثم وقعت الفتنة الثانية يعني الحرّة (أي واقعة الحرة على يد جيش يزيد بن معاوية) فلم يبق من اصحاب الحديبية احد...0

يزيد بن معاوية، وأباه معاوية بن ابي سفيان، مخالفان لله ورسوله ومفسدان في الارض وطغيا على الله ورسوله بما ارتكباه من أعمال.

كما ان عثمان بن عفّان الاموي الذي جاء الى الخلافة بوصيّة من عمر وليس بأمر الله ورسوله وبعد موافقته على الشرط الذي عُرض عليه وهو ان يسير بسيرة ابي بكر وعمر، وان يطبّقها بحذافيرها بما يعنيه ذلك من عدم العمل بسنّة النبي التي كان تقوم على مبدأ تقسيم بيت المال بالسويّة، وانّما العمل بسيرة عمر الذي وضع فروقات في العطاء وميّز بينهم في تقسيم بيت المال، ولم يقسمه بين المسلمين بالتساوي[1]، او كما فعل أبو بكر الذي منع عن أولاد فاطمة الخمس وسهم ذي القربى، ولم يتمسك بالعترة التي أوصى الرسولُ بالتمسّك بها، وهو علي بن أبي طالب، واستمرّ في منع كتابة الحديث. (ولو اردنا سرد الحالات التي خالف فيها أبو بكر وعمر القرآن والسنّة للزم تدوين كتاب مستقل لهذا الغرض).

وعلى اية حال فانَّ عثمان الاموي لم يصل الى السلطة بوصية من النبي، بل بالعكس فان النبي قد أمر بالتمسّك بالعترة الهادية واتباعهم وعدم

---

1. البخاري، غزوة بدر، ج 5، ص 20؛ ج 6، ص 261؛ كتاب ***الاموال***، أبو عبيد.

اتّباع غيرهم، وخالف وصية النبي الذي امر باتباع العترة الهادية أي علي بن أبي طالب، ووصل الى السلطة بطاعته لابي بكر وعمر وهما من غير عترة النبي.

وعمل عثمان على استعمال اقاربه الفسقة والظلمة مثل الوليد بن عقبة الصحابي الشارب للخمر، وعبد الله بن ابي سرح الجائر الذي حكم مصر بالقسوة والاستبداد، اضافة الى ما قام به من تقسيم بيت المال بين بني امية من امثال مروان بن الحكم، وغير ذلك من الأعمال التي أثارت سخط الصحابة عليه من المهاجرين والانصار، وقد أمرت عائشة بقتل عثمان الاموي ووصفته بأنه طاغوت. ثم ان أهالي مصر الذين خرجوا على عثمان بسبب دعمه لأخيه الجائر عبد الله بن ابي سرح، قتلوه وانصرفوا، وقد منع أصحاب النبي دفن جنازة عثمان في قبور المسلمين، لا لأنهم كانوا يعتبروه منافقاً بل انهم كانوا يعتبرونه كافراً. وحتى علي بن أبي طالب (هارون الامة وعترة النبي والمشمول بآية التطهير) لم يقدم على تكفين ودفن عثمان باعتباره مسلماً (لانه لم يكن يعتبره مسلماً والا فانَّ علياً وهو عترة النبي (صلى الله عليه وسلم) واعظم من دافع عنه وضحّى لأجله من غير الممكن ان يتنصّل ولم يتنصّل قط عن واجب شرعي وهو تكفين الميت المسلم).

لقد كان أبو بكر وعمر، وفقاً للتاريخ المتواتر الذي مرَّ ذكره، أول من خالف النبي في بدر، وفرّا في أُحد، واول من خالف صلح النبي في الحديبية، وفرّا في حنين وخيبر، واول من خالف كتابة وصية النبي عند طلب النبي الدواة للوصية[1] وأول من خالف

---

1. كما تركا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحده في شعب أبي طالب، وهذا يعني انهما قد اعانا المحاصرين عملياً.
ـ وفي غزوة بدر عارضا فكرة الحرب وجادلا النبي عن علم وعمد كما شهد الله بذلك.
(كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ)
(سورة الانفال، الآيتان 5 – 6).
ـ وفي غزوة أحد وحنين فرّا من المعركة خلافاً لأمر الله.
ـ وفي صلح الحديبية عارضا الصلح الذي قال به الله ونبيّه.
ـ وفي مرض النبي الذي توفّي فيه، خالفا أمر النبي حينما أمر باحضار دواة وكتف ليكتب لهم كتاباً لا يضلون بعده (البخاري، ج 8، ص 16) ومات النبي وعنهما غضبان.
ـ ومن بعد النبي، خالفا أمر النبي الذي أوصى بالتمسك بعترته وهما علي وفاطمة، وخالفا حكم الله الذي جاء في القرآن باعطاء ذي القربى الخمس، ولم يدفع لفاطمة شيئاً من الخمس، وعطّل حكم القرآن بشأن فاطمة، حكم بغير ما انزل الله، وهو منع سهم ذي القربى.
ـ نقل البخاري، في كتاب الحدود، باب حد الحبلى، بان عمر قال: خالف عنا علي. أي انه عارض خلافة ابي بكر.
ونقل البخاري أيضاً في كتاب بدء الخلق في كتاب غزوة خيبر ما يلي: ان فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وسلم) ارسلت الى ابي بكر تسأله:
1- ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مما

العترة الهادية الواجبة الاتّباع بعد النبي، وأول[1] من عمل على استبعاد

افاء عليه بالمدينة.
2- فدك.
3- وما بقى من خمس خيبر.
(الى ان قال) فابى أبو بكر ان يدفع الى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على ابي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) ستة اشهر فلما توفّيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها زوجها.
- ونقله مسلم في كتاب الجهاد والسير.
- ونقله ابن سعد في ***الطبقات الكبرى***، ج 2، ص 84.
- ونقله احمد في مسنده، المجلد الاول، ص 9.
- ونقله الترمذي، المجلد الاول، باب ما جاء في تركة النبي (صلى الله عليه وسلم).
1. اصبح الحال في زمن ابي بكر وعمر على العكس مما كان عليه في زمن النبي.
ففي زمن النبي كان معاونو النبي والمحيطين به علي وبنو هاشم. ولكن في عهد ابي بكر وعمر أضحى اكثر معاونوهم من بني أميّة واستُبعد علي وبنو هاشم.
وفي عهدهما أيضاً اصبح حكم الشام ملكاً لأبناء ابي سفيان، وصار عثمان الاموي هو الحاكم على جميع المسلمين بواسطة عمر، وعثمان هذا هو الذي ادّى بتصرفاته واعماله المخالفة للقرآن والسنّة الى ان يثور الصحابة من المهاجرين والانصار وسائر المسلمين، فكان بذلك هو الذي أسس التفرقة الى يوم القيامة.
- وقد سار أبو بكر خلاف سيرة رسول الله عندما أوصى بالخلافة من بعده الى عمر الذي فرَّ في غزوات النبي، وهو يعلم بأن علياً لم يفر قط في اية معركة، وانه من عترة النبي، وان اتّباعه والانضواء تحت لواء قيادته يعصم الأمّة من الضلال.
قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا. ولو فرضنا - وفرض المحال ليس بمحال - انه كان غير مطلع على سنّة النبي في هذا

المجال، وظَنَّ ان النبي لم يوص بالخلافة لأحد من بعده ولو فرض ان رسول الله لم يوص لأحد، فلماذا ترك سنّة رسول الله في عدم الوصية لأحد، وعمد هو الى الوصية بالخلافة لعمر من بعده، ولم يترك الناس لحالهم؟ لقد كان أبو بكر يعلم تماماً بأن النبي عيّن العترة من بعده ائمة بالحق وهداة للناس وقادة للأُمّة، ولكنه خالف سيرة النبي واوصى عليهم خليفة من بعده - وهذا أمر محال طبعاً - لماذا لم يتّبع أبو بكر هذه السنّة النبوية، وجعل قيادة الأمة من بعده لأحد الفارّين من جبهة القتال.

وبالاضافة الى علمه بأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "انّا لا نولّي هذا الأمر أحداً سأله، ولا أحداً حرص عليه". ان من يطلب الرئاسة لا يليق لها. فلماذا ترك أبو بكر وعمر المشاركة في دفن النبي وهرعا من دارهما لطلب الرئاسة ودخلا في نزاع مع الأنصار، ومع علي بن أبي طالب عترة النبي واحرقا داره، وسلّا السيف عليه وحاربا واستوليا على السلطة بهذا الاسلوب؟ أي انهما استوليا على الحكم بالتآمر وبتهديد الأمّة، رغم قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "من حمل علينا السلاح فليس منّا", وهي تلك المؤامرة التي أريق فيها دم أعز المسلمين؛ أعني تلك المؤامرة التي انتهت بمقتل فاطمة الزهراء سيّدة نساء أهل الجنّة.

فقد هجمت المجموعة العمرية بتوجيه من أبي بكر على دار فاطمة الزهراء الشابّة، رغم أنها كانت مشغولة بالعزاء على النبي، وبعد ان هجموا على الدار وكسروا الباب أحرقوا الدار، واقتادوا علياً موثوق اليدين الى ابي بكر وسلّوا عليه السيف وهددوه بالقتل ان لم يبايع. (ومن جهة اخرى فانهم عندما هجموا على الدار كانت فاطمة وراء الباب فدفعوا الباب بقوّة وسبّبوا لها اذىً بليغاً، بحيث انها فارقت الحياة بعد بضعة أشهر نتيجة لهذه الجراح وعلى اثر كسر ضلعها؛ فماتت شهيدة وسقط الطفل الذي في بطنها). وقد أوصت فاطمة علياً عندما شارفت على الموت، ان لا يخبر أبا بكر وعمر بوفاتها، لكي لا يحضرا جنازتها ولا يصلّيا عليها، كما اوصته ان لا يعلمهما حتى بموضع قبرها لكي لا يحضرا عند قبرها. وكانت

وتهميش العترة الهادية، والتمهيد لمجيء الحكم الاموي (عثمان) الذي أساء الى دنيا المسلمين ودينهم. فقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم): يُهلك امتي هذا الحي من قريش.

(هذا ما نقله البخاري في كتابه، في ابواب المناقب، ونقل مسلم في كتاب الفتن، وغيرهما متواتراً) رغم ان أبا بكر قال بعد رسول الله في السقيفة "ان السلطة تكون لهذا الحي من قريش" يريد نفسه وابا عبيدة وعمر من غير بني هاشم.

ونظراً الى وجوب اتباع العترة الهادية امتثالاً لما أمر به النبي في حديث الثقلين المتواتر الصحيح، فالنتيجة التي نصل اليها من خلال ذلك هي ان القريشيين من غير عترة النبي تسبّبوا في ضلال وفرقة الامّة و هلاك الناس، إستناداً الى ما أخبر به رسول

فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة عندما فارقت الحياة غاضبة على ابي بكر وعمر وتدعو عليهما في صلاتها ولم ترض عنهما ابداً، مثلما ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) منعته الجماعة العمرية من تدوين وصيّته عند وفاته، حتى انه قال لهم: قوموا عنّي... وهذا يعني انه فارق الدنيا وهو غير راضٍ عن الجماعة العمرية؛ أي عن ابي بكر وعمر. وكان غاضباً على ابي بكر وعمر، اللذين آذياه بأعمالهما. وقد نقل البخاري في غزوة خيبر ما يلي: فأبى أبو بكر ان يدفع الى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على ابي بكر حتى توفّيت. وجاء في سنن الترمذي، في باب الخمس، في باب تركة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما يلي: فغضبت فاطمة فهجرت أبا بكر حتى توفّيت.

الله (صلى الله عليه وسلم) وشهد به التاريخ.

ما لا يمكن تجاوزه:

لا يمكن ان يكتب المرء كتاباً حول الصحابة من غير ان يعرّج على ذكر فاطمة الزهراء سيّدة نساء اهل الجنّة، لأنه على الاقل ان فاطمة كان لها في زمن أبيها (رسول الله) عدّة أولاد، ثم انها لم تكن صبيّة غير بالغة، ومن يكون هذا حاله ينبغي ان يعد في عداد الصحابة من غير ترديد. أي ان السيدة فاطمة من الصحابة لاسيما وانها هي وزوجها علي لم تكن لهما سابقة شرك ولا عبدا صنماً، أضف الى انها من اهل بيت النبي و من ذوي القربى الذين اوجب الله مودّتهم.

الا ان الشيء الذي كان يميّز فاطمة عن بقية الصحابة هو ليس الصحبة، اذ كل المسلمين من النساء والرجال الذين كانوا حول النبي، يدخلون في عداد الصحابة. كما ان كونها بنت الرسول لا يُعد امتيازاً خاصاً لفاطمة، اذ ان زينب وام كلثوم كما ينقل البعض هما أيضاً من بنات الرسول. (وان كان بعض المحققين يرى بانَّ زينب وام كلثوم، ابنتا اخت خديجة، أي ابنتا هالة). وعلى فرض ان زينب وام كلثوم كانتا ربيبتي النبي، الا انهما لا تصلان الى منزلة وأهمية فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة، ولم تكن لهما مثل هذه الأهمية قط، بحيث يصطحبهما النبي الى المباهلة، عندما وعد نصارى نجران أن يباهلهم بأهل بيته. وانما

اصطحب فاطمة سيدة نساء اهل الجنّة، والحسنين سيدي شباب أهل الجنّة، وعلي بن أبي طالب (هارون الأمّة)، ولم يأخذ معه زينب او ام كلثوم، وكذا لم يأخذ معه أياً من نسائه.

وفي قصّة نزول آية التطهير أيضاً، ضم النبي إليه تحت كسائه فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة، والحسن والحسين سيدي شباب اهل الجنة، وعلياً هارون الأمّة، ونزلت عند ذاك آية التطهير فيهم وحدهم وليس في زينب وام كلثوم ولا في نساء النبي (اللاتي نزلت آيات من سورة الاحزاب في ذم بعضهم، وكان بعضهن موضع غضبه كما ورد في اول سورة التحريم وضرب مثلاً لهن بامرأة لوط وامرأة نوح اللتين لم يغن عنهما كونهما زوجتي نبيّين شيئاً، ولم يمنع من دخولهما النار، وقد شهد القرآن بانحراف قلبيهما: (**فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**)).

إذاً فالسيدة فاطمة سيّدة نساء اهل الجنّة متميّزة على جميع بنات النبي وأفضل منهن، وأفضل من ازواجه، بل أفضل من جميع نساء العالمين وأهل الجنّة.

بيد ان الشيء الذي جعلها تفضل جميع نساء العالم من الأولين والآخرين، ويجعلها افضل حتى من مريم العذراء هو ما شهد به لها النبي الذي لا ينطق عن الهوى، بأنها "سيّدة نساء أهل الجنّة". ومن المؤكد ان

مريم العذراء في الجنّة، ولكن فاطمة تكون هناك سيّدة عليها، لأن فاطمة سيّدة كل نساء الجنّة بشهادة النبي الذي (**وَ مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**) وهي لم تنل هذه المرتبة الا لعلو ايمانها وطاعتها لربّها، فجعلها ربّها أفضل من سائر النساء وحتى افضل من مريم العذراء (مريم التي كانت تكلم الملائكة ونزلت عليها مائدة من السماء) وهذا (يعني وجود فاطمة بما انها سيدة نساء أهل الجنّة) واحد من عوامل افضلية الاسلام على المسيحية، اذ ان افضل امرأة في الاسلام تتفوق في الأفضلية على افضل امرأة عند المسيحية وعند سائر اهل الكتاب.

وقد نقل عن طريق أهل البيت وآل محمد حول السيّدة فاطمة انها كانت تكلم الملائكة وتكلم حتّى جبرائيل ـ كما كان الحال بالنسبة الى مريم ـ ومن ألقاب السيّدة فاطمة "المحدّثة" أي انها تتحدث مع الملائكة. وكذلك ورد في أحاديث أهل البيت وفي أحاديث الأئمة من عترة النبي، ان علي بن أبي طالب هارون الامّة، وامام العترة الهادية (الذي هو اول القوم اسلاماً واكثر الصحابة تضحية وفداءً للنبي)، كان مثل مريم يحدّث الملائكة أيضاً. وعندما تكون السيّدة فاطمة محدّثة للملائكة، لا يُستبعد أبداً ان يكون علي ابن أبي طالب (الذي تعتبره فاطمة

امامها وافضل منها وهارون الأمّة واكثر الصحابة فداءً وتضحية للنبي) بطريق أولى محدّثاً للملائكة أيضاً.

وعلى أية حال فان فاطمة سيّدة نساء اهل الجنّة كانت مفخرة الاسلام، وجميع الصحابة، وكان لها مكانة متميّزة بين الصحابة مثلما لمريم مكانة خاصة في المسيحية، ومثلما لها من احترام واهتمام عند اتباع المسيحية.

ولكن يبقى هناك ثمة تساؤل يسترعي اهتمام المسلمين وغير المسلمين، وهو لماذا نُسيت هذه المرأة التي تعدّ اعظم مفخرة للمسلمين، بعد وفاة ابيها مباشرة، وأدرج ذكرها طي النسيان؟

1ـ رغم انها كانت شابّة، توفّيت مبكراً؟

2ـ لماذا لم يذكر سبب وفاتها في صفحات التاريخ؟ في حين ان أسباب الوفاة تُذكر عادة.

ويقتصر البعض على ذكر هجوم الجماعة العمرية بأمر أبي بكر على دار فاطمة وأمر ابي بكر باقتياد علي راغماً ومنهم البلاذري، والأمر باحراق دار فاطمة حتى وان كانت هي فيها (وحتّى وان كان فيها الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة وعلي هارون الامّة، وهو الذي قال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم): انت منّي وانا منك. وقد ورد هذا في تاريخ الطبري، وتاريخ أبي الفداء، والعقد الفريد،

وابن عبد ربّه وغيرهم).

ويعتبر الشيعة فاطمة شهيدة. وقد ورد في "*تهذيب الشيخ*"، في زيارتها، ما يلي: "ايتها الصدّيقة الشهيدة".

وذكر الصدوق في كتاب "*من لا يحضره الفقيه*"، وفي عبارة حديث "*الكافي*" في خطاب علي بن أبي طالب لقبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "وستُنبؤك ابنتك بتظافر امّتك على هضمها، فاحفها السؤال واستخبرها الحال ويحكم الله وهو خير الحاكمين".

وعن "*كتاب سليم بن قيس*" الذي كان حاضراً في واقعة حرق الدار، ان المغيرة ضرب فاطمة بالسوط.

وجاء في "*كتاب الملل والنحل للشهرستاني*" عن الظام ان عمر ضرب بطن فاطمة حتى القت المحسن من بطنها. ثم ان تاريخ ويوم وفاتها مجهول، وفيه اختلاف بين المسلمين، فلماذا كل ذلك؟

3ـ كما ان موضع قبرها مجهول أيضاً، رغم ان قبور سائر أولاد النبي معلومة.

4ـ نقل كتاب تاريخ المدينة المنوّرة لابن شبّة، عن محمد بن علي بن عمر انه كان يقول: قبر فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في البقيع، وكذلك روى عن غير واحد كما انه روى ابن شبّة عن جعفر بن محمد عن ابيه قال دَفَنَ عليٌ فاطمة ليلاً في منزلها الذي دخل في المسجد. فقبرها

عند باب المسجد. وعن عبد العزيز بن عمران انها دفنت ليلاً ولا يعلم بها كثير من الناس. وحتى ان أبا بكر وعمر لم يحضرا تشييع جنازتها والصلاة عليها، ولا يعلمان حتى موضع قبرها. وكانت فاطمة سيدة نساء اهل الجنّة غاضبة عليهما. وصادر أبو بكر كل اموالها. وحرمها من ميراث أبيها، وأخذ منها فدك التي كان ابوها قد نحلها اياها، وقطع عنها حتى سهم ذوي القربى الذي جعله الله لها في القرآن من الخمس واحرقوا دارها.في حين لم يكن هناك في عهد رسول الله أي تنافر بين فاطمة وابي بكر سوى في السنة الاخيرة التي أوصى فيها رسول الله الامة في موسم الحج وفي غدير خم بالعترة وذوي القربى، وأوجب التمسّك بالقرآن وبالعترة الهادية من بعده، واعتبر التمسّك بهما سبيلاً لصيانة الامة من الضلال، وعندما شارف على الرحيل اراد ان يدوّن لهم تلك الوسيلة التي تعصمهم اذا تمسكوا بها من الضلال، وهي تعني طبعاً زعامة العترة. وكان من الطبيعي ان يقف أبو بكر وعائشة في هذا النزاع الذي احتدم بين الجماعة العمرية وبعض اهل بيت رسول الله، الى جانب عمر، في حين وقفت "فاطمة سيدة نساء اهل الجنة الى جانب هارون الامة" في تأييد تدوين وصية رسول الله التي يُعيّن فيها الوسيلة الكفيلة بصيانة الامة من الضلال من

بعده. فكان هذا اول تنافر بين النبي وفاطمة وعلي وجماعة آخرين من أهل بيت النبي من جهة، وبين ابي بكر وعمر من الجماعة العمرية من جهة اخرى، حيث كان النبي في استياء شديد من الجماع العمرية، وقد عبّر عن هذا الاستياء بقوله لهم: "قوموا عني"[1] (أي انني لا اريد حتى رؤية وجوهكم). ولكنّ القضية لم تقف عند هذا الحد، حيث اتخذت فاطمة من بعد رحيل ابيها - امتثالاً لوصيّته - موقف المدافع عن امامة علي (هارون الامة). وقد كان هذا الموقف ثقيلاً على أبي بكر الذي انتزع الرئاسة بصعوبة وبعد تناحر مع الانصار ومعارضة من قبل عليّ واصحابه، فكان موقف فاطمة (باعتبارها سيّدة نساء اهل الجنّة) المؤيد لامامة وخلافة علي[2]، شديد الوطأة على ابي بكر وعمر.

ولا يُستبعد ان يكون سخط ابي بكر

---

1. نقل البخاري في كتاب المرضى، باب قول المريض: قوموا عني - طبقات ابن سعد، المجلد 2، الصفحة 37- عن عمر نفسه: ... قال عمر: فقلت أسكتنَ فانّكنَ صواحبه اذا مرض عصرتنّ اعينكنّ واذا صح اخذتنّ بعنقه. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "هنّ خير منكم". أي ان النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: ان النساء أفضل منكم انتم الصحابة المخالفين لي.

2. ذكر البخاري في باب رجم الحبلى ان عمر صرّح بمخالفة علي لخلافة ابي بكر. وجاء في تاريخ الطبري ان اصحاب علي اجتمعوا في دار علي، وكره الانصار خلافة ابي بكر (تاريخ الطبري).

وعمر من مخالفة فاطمة بصفتها سيدة نساء اهل الجنّة، لرئاستهما هو السبب وراء الاستيلاء على جميع اموالها وحرمانها من سهم ذوي القربى في خمس خيبر وغيره، وقد أدّى هذا الاجراء وما نجم عنه من حرمانها من ذلك الحق الى ان تعيش فاطمة وعلي والحسنين من اهل بيت النبي (والعترة الهادية وذوي القربى الذين أوجب الله مودّتهم) في غاية الفقر والعسر، وكانت الامور تضيق عليهم يوماً بعد آخر، ودفع فاطمة الى محاكمة ابي بكر في المسجد، حيث حاكمته حول ثلاثة[1] قضايا هي:

1ـ حرمانها من سهم ذي القربى في الخمس، حيث حرمها أبو بكر من سهم ذي

---

1. جاء في سنن ابي داوود، ج 8، باب الخمس: أبو بكر لم يكن يعطي قربى رسول الله ما كان النبي يعطيهم ـ كتاب تاريخ المدينة لابن شبّة، باب فصل بن هاشم ـ البخاري ـ باب غزوة خيبر: فاطمة بنت النبي (ص) ارسلت الى ابي بكر
تسأله ميراثها من رسول الله (ص).
وفدك.
وما بقي من خمس خيبر.
فقال أبو بكر ان رسول الله (ص) قال: لا نورث ما تركناه صدقة...
فأبى أبو بكر ان يدفع الى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على ابي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت. وعاشت بعد النبي (ص) ستّة اشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها علي.
ونقل مسلم هذا الحديث في كتابه، في كتاب الجهاد، ومحمد بن سعد في كتاب ***الطبقات***، وآخرون غيرهم، وكلهم نقلوا هذا الحديث متواتراً.

القربى في خمس خيبر وغيره خلافاً لصريح القرآن.

2ـ قضية فدك التي نحلها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لفاطمة سيّدة نساء اهل الجنّة، وكانت فدك في عهد رسول الله بيد فاطمة، وكانت تنفق من المال الذي يأتيها من فدك. وقد اعاد بعض الحكام الامويين مثل عمر بن عبد العزيز، وبعض الحكام العباسيين مثل المأمون، فدك الى ذرية فاطمة.

3ـ حول ارث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من اراضي بني النضير التي كان النبي في حياته ينفق من واردها ولكن أبا بكر اخذ من فاطمة كل هذه الاراضي التي كانت ارثاً من رسول الله، واخذ منها فدك التي كانت نحلة من ابيها لها، وحتى انه حرمها من سهمها في خمس ذي القربى.

لم يقدّم أبو بكر اية اجابة حول السبب الذي دعاه الى حرمان فاطمة من سهم خمسها[1] في بيت المال. واجاب

---

1. عن جبير بن مطعم قال: لما قسم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سهم ذي القربى من خيبر بين بني هاشم وبني المطلب، اتيته انا وعثمان بن عفان فقلنا: يارسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ينكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم، ارأيت اخواننا من بني عبد المطلب اعطيتهم ومنعتنا وانما نحن وهم منك بمنزلة واحدة. فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) "انهم لم يفارقوني في جاهلية ولا في الاسلام وانما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد، وشبك النبي بين اصابعه". ***تاريخ المدينة*** لابن شبّة، باب ذكر فضل بني هاشم؛ وكتاب ***الاموال***، أبو

فقط عن السؤال الثالث، اراضي بني النضير التي كانت للنبي، فقال أبو بكر: ان النبي لا يورث[1]. ولكن فاطمة (التي رأت انه يكذب) ردّت عليه بالقول: أفعلى عمد تركتم كتاب الله اذ يقول:

(فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) [2].

واذ يقول:

(وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) [3].

ونقل ابن سعد في الطبقات الكبرى: فقال علي: ورث سليمان داود، وقال زكريا: يرثني ويرث من آل يعقوب[4].

اي ان فاطمة قالت بأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يقول شيئاً يتعارض مع القرآن. فها هو القرآن يقول بأن الانبياء يرثون، وانك يا أبا بكر

عبيد، باب الخمس. وكتب اخرى.

1. قسم عمر اراضي بني النضير التي كانت من ارث النبي، بين ازواج النبي، حيث نقل البخاري ما يلي: نقل عبد الله بن عمر ان النبي (صلى الله عليه وسلم) عامل خيبر بشرط ما يخرج منها من ثمر زرع فكان يعطي ازواجه مأة وسق شعير. فقسم عمر خيبر، فخيّر ازواج النبي (صلى الله عليه وسلم) ان يقطع لهن من الماء والارض او يمض لهن، فمنهنّ من اختار الارض، ومنهن من اختار الوسق. وكانت عائشة قد اختارت الارض (ج 3، ص 68). لكن عائشة وضعت يدها على بيت النبي بتمامه واستحوذت حتى على سهم فاطمة ولم تعط منه شيئاً لورثة فاطمة ولم تأذن بدفن الحسن سبط النبي هناك.
2. سورة مريم، الآيتان 5 – 6.
3. سورة النمل، الآية 16.
4. ***الطبقات الكبرى***، ابن سعد، ج 2، ص 315.

بشهادة آيات القرآن تكذب على الرسول حين تقول بان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: نحن الانبياء لا نورث، ورسول الله لم يقل هذا قط.

ولم يرد أبو بكر على كلام علي وفاطمة، ولم يعد لفاطمة اموالها، وحرمها من سهمها من الخمس. وبقيت فاطمة ساخطة على ابي بكر وعمر ولم تكلّمهما الى ان توفيت[1] وكانت تدعو عليهما في صلاتها. وقد كتب اتباع الأئمة الاثني عشر من العترة الهادية، وكذلك نقل بعض اتباع ابي بكر وعمر من امثال الطبري وابن قتيبة الدينوري وغيره ان أبا بكر بعد هذه الحادثة امر بالهجوم على دار علي، واحراق دار علي (هارون الامة) وفاطمة (سيّدة نساء أهل الجنّة من العترة الهادية)، وبعد ان هجم عمر بأمر ابي بكر على دار علي وفاطمة سيدا اهل الجنّة واحرقها[2]، وكسروا الباب،

---

1. البخاري في باب الخمس؛ ***تاريخ الطبري*** في حوادث السنّة الحادية عشرة.

2. اء في ***تاريخ الطبري*** نقلاً عن زياد بن كليب قال: ذهب عمر بن الخطاب الى دار علي وكان فيها طلحة والزبير وجماعة من المهاجرين وقال: والله لأحرقن عليكم او لتخرجن.
ـــ العقد الفريد، ج 2، ص 250؛ تاريخ ابي الفداء، ج 1، ص 156.
قال ابن عبد الله: فاما علي وعباس فقعدا في بيت فاطمة وقال أبو بكر لعمر بن الخطاب: ان ابيا فقاتلهما، فاقبل بقبس من نار على ان يضرم عليهما، فلقيته فاطمة فقالت: يا ابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟ قال نعم. كتاب الجمل: انفذ

اقتادوا علياً مغلول اليدين الى ابي بكر.

البخاري ـ عن عمر بن الخطاب: ... انما كانت بيعة ابي بكر فلتة وتمت الا وانها قد كانت كذلك... انه قد كان من خبرنا حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الانصارخالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة وخالف عنا علي والزبير ومن معهما...[1].

تاريخ الطبري نقلاً عن زياد بن كليب قال:

ذهب عمر بن الخطاب الى دار علي وقال: «والله لأحرقن عليكم او لتخرجن».

جاء في كتاب البدء والتاريخ: ولدت

عمر بن الخطاب قنفذاً وقال له: اخرجهم من البيت فان خرجوا والا فاجمع الحطب على بابه واعلمهم انهم ان لم يخرجوا للبيعة اضرمت البيت عليهم ناراً. ثم قام بنفسه في جماعة منهم المغيرة بن شعبة الثقفي وسالم مولى ابن حذيفة حتى صاروا الى باب علي فنادى: يافاطمة بنت رسول الله اخرجي من اعتصم ببيتك ليبايع... كتاب ***الامامة والسياسة*** تحت عنوان: كيف كان بيعة علي بن أبي طالب؟ قال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن او لاحرقنّها على من فيها. فقيل له يا أبا حفص فيها فاطمة، قال: وإن.

وكتاب ***انساب الاشراف*** للبلاذري؛ وكتاب ***الملل والنحل*** للشهرستاني، فصل النظام. وقد نقل بن ماجة في مناقب اهل البيت وفاطمة والحسن واحسين - ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لفاطمة وعلي والحسن والحسين اني سلمٌ لمن سالمكم وحربٌ لمن حاربكم.

1. البخاري، المجلّد الثامن، الصفحة 26 - كتاب الحدود، باب حدّ رجم الحبلى من الزنا.

فاطمة محسناً وهو الذي يزعم انها اسقطت من ضربة عمر وفي كتاب الفصول لابن الصباغ ذكر ان في أولاد علي بن أبي طالب محسناً الذي كان ساقطاً.